

المُنتقى من كتاب ذمّ الكلام وأهله

تأليف شيخ الإسلام
أبي إسماعيل الهروي
عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري
(٣٩٦ - ٤٨١هـ)

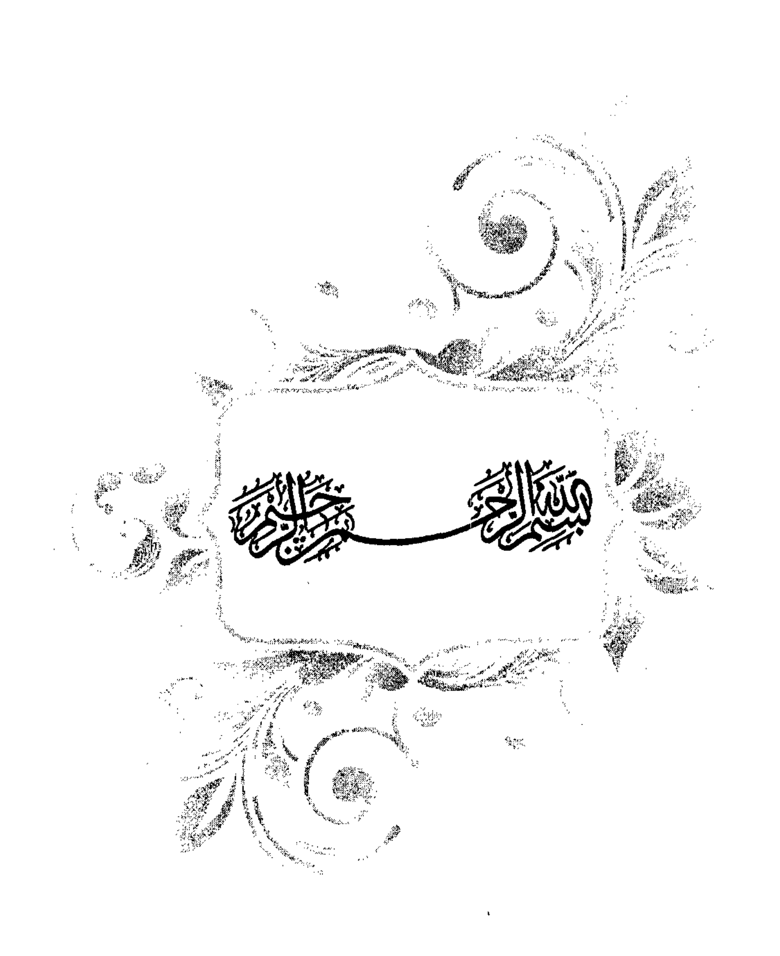
انتقاه وعلّق عليه
أحمد بن نضال بن عبد الوهاب القطيشات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



من كتاب

«ذم الكلام وأهله»


بسم الله الرحمن الرحيم

المُنتقى

من كتاب

« ذمّ الكلام وأهله »

تأليف شيخ الإسلام

أبي إسماعيل الهَرَويّ

عبد الله بن محمد بن عليّ الأنصاريّ

(٣٩٦ - ٤٨١ هـ)

انتقاه وعلّق عليه

أحمد بن نضال بن عبد الوهاب القطيشات

-الطبعة الأولى-

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

مقدمة

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله؛ فَلا مُضِلَّ لَه، وَمَنْ يُضْلِلْ؛ فَلاَ هَادِيَ لَه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله -وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فإنَّ خيرَ الكَلامِ كَلامُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمورِ مُحدثاتُها، وكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعة، وكُلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكُلَّ ضَلالةٍ في النَّار.

وبعد:

فإنَّ اللهَ -سُبحانه وتعالى- بعثَ محمداً ﷺ ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. وَدَاعِيًا

إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾، فبلَّغَ الرِّسالةَ أتمَّ البَلاغ، وحذَّرَ أُمَّتَهُ سُبُلَ المغضوبِ عليهم والضالِّين، وتَرَكَهُم على المَحَجَّةِ البيضاء؛ لَيلُها كَنهارِها، لا يَزيغُ عنها إلّا هالِك، ولا يَتنكَّبُها إلّا ضالّ.

فكان الوحيُ يَتنَزَّلُ عليه مِن رَبِّهِ قُرآناً يُتلَى، وحديثاً يُرْوَى، فتلَقّاهُ الصَّحابةُ غضًّا طَرِيًّا كما أُنزِلَ، مِن غيرِ تكَلُّفٍ ولا تَمَحُّل ولا تردُّد، بل ما كانَ لهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمْرِهِم إلّا أن يقولوا -بصَدْرٍ مَنْشَرِحٍ بالإيمان- سَمِعْنَا وأَطَعنا، كما قال رَبُّنا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

فكانُوا آخِذِينَ لهذا الدِّين في جميعِ جوانِبِهِ، مُسلِمين مُسْتَسْلِمِينَ له مُطمئنِّينَ مُقْبِلِين عليهِ بكليّتِهم، كما قال -جلَّ وعَلَا-: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥].

حتّى نَشَأَ نُشوءٌ مِن أهلِ الأهواءِ والبِدَعِ بسببِ بُعْدِهِم عن هذه اليَنابيعِ الصّافيةِ، فكدَّرُوهَا بِنَتَنِ بِدْعَتِهِم، فأدخَلُوا في الدِّين ما لم يَأذَنْ به اللهُ، وعطَّلُوا منهُ الشَّيْءِ الكَثير خاصَّةً بعدَ اعتمادِهِم على الكُتُب المُترجَمَةِ عن فلاسفةِ اليُونان وزنادِقةِ المَجُوس، وحُكَماء الهِند، فأضحَوْا شِيَعاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

وقد سمّاهُم عُلماء السَّلَف: (أهل الكلام)، وحذَّرُوا منهُم أيّما تحذير

-سالكِينَ سبيلَ البشير النَّذِير- فحذَّرُوا مِن مُجالستِهم ومُخالطتِهم حَذَرَ الوُقوع في مَغَبَّةِ بِدَعِهِم وضَلالِهِم -كما أُثِرَ عن عائشةَ-رضي الله عنها-، أنّ النّبيّ ﷺ تلا هذه الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾[آل عمران:٧]، قال: «هُم الّذين سمَّى اللهُ، فاحذرُوهم»[(١)].

أمّا لفظ الكلام فهو مُجْمَل، قد يُرادُ به الخير، وقد يُرادُ به الشَّرّ، لذا قال شيخُ الإسلام:

«فالكلامُ الذي ذَمَّهُ السَّلَفُ يُذَمُّ لأنَّه باطِل، ولأنّه يُخالِف الشَّرع، ولكن لفظ الكلام لَـمّا كان مُجمَلاً لم يَعرِفْ كثيرٌ مِن الناس الفَرْقَ بين الكلام الذي ذمُّوه وغيره... وطائفة تظنُّ أنّ الكلامَ الذي ذَمَّهُ السَّلَفُ هو مُطلَق النَّظَر والاحتجاج والمُناظَرَة... وهؤلاء أيضاً غالِطُون... والقُرآن فيه مُناظرة الكُفّار والاحتجاج عليهم ما فيه شفاء وكفاية... والمقصود هنا أنَّ المُبتدِعِين الذين ابتدعُوا كلاماً وأُصولاً تُخالِفُ الكِتابَ، وهي أيضاً مُخالِفَةٌ للميزانِ، وهو العدل، فهي مُخالفةٌ للسَّمعِ والعَقل»[(٢)].

وقال أيضاً:

«فالسَّلَفُ ذمُّوا أهلَ الكَلام الذين هُم أهل الشُّبُهات والأهواء، لم يذمُّوا أهلَ الكلامِ الَّذِينَ هُم أهل كلام صادق، يتضمَّن الدليل علىٰ معرفةِ الله -تعالىٰ- وبيان ما يستحقُّه وما يمتنعُ عليه»[(٣)].

---

(١) وانظُر تخريجَه (ص٢٤).

(٢) «النُّبوّات» (١٥٦-١٥٧) -باختِصار-.

(٣) «درء التَّعارُض» (٧/ ١٨١).

◻ خصائص كلام السَّلَف الصَّالح:

لقد تَمَيَّزَ كلامُ السَّلَف الصّالح عن غيرِه مِن أهلِ الكلام والبِدَع بخصائص تُظهِر الحقَّ والعَدْلَ الذي عندَهم بسببِ حُسن اتِّباعِهم لِـمَا أُنزِلَ عليهم، كما قال -جلَّ وعَلَا-: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزُّمَر:٥٥]، وقال: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾[الأعراف:٣].

وعليه؛ فكلامُ السَّلَف الصَّالح يتميَّز بخصائصَ نُوجِزُها بما يلي:

١- تعظيم نُصوص الكتاب والسُّنَّة:

فالسَّلَف الصَّالح وقَّافُون عند نُصوص الكِتاب والسُّنَّة، فلا يتجاوزُوهما ولا يُعارِضُوهما برأيٍ أو قياسٍ ولا بِذَوْقٍ ووجدٍ ومُكاشفة، ولا قال أحدٌ منهُم أَلْبَتَّة -وحاشاهُم- أنّ النَّقلَ يتعارضُ مع العقل، فضلاً عن أن يُقدِّمُوا العقل على النَّقل، وما هذا إلّا لتعظيمِهم لِنُصوصِ الوحيين استجابةً لِقولِه -تعالى-: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠]، وامتِثالاً لِقولِه ﷺ: «**فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي**»(١).

ولِذا؛ استفاضَ مِن كلامِ السَّلَف الصَّالح لُزوم الكتاب والسُّنَّة وعدم مُخالفتها وأنكروا أشدّ النَّكير على مَن لم يأخذ بهما، ومِن أروع ما يُذكر في ذلك: ما أُثِرَ عن الإمام الشافعيِّ لـمَّ ذَكَرَ له رَجُلٌ حديثًا، فقال: أتقولُ به؟ فقال: أرأيتَ في وسطِي زُنَّارًا؟ أتراني خرجتُ مِن كنيسة حتّى تقول لي هذا!

---

(١) رواهُ البُخاري في «صحيحِه» (٥٠٦٣)، ومُسلم في «صحيحِه» (١٤٠١).

٢- وُضوح العبارة:

يمتاز كلام السَّلَف الصَّالح بوُضوح وسُهولة العبارة وسلامتِها مِن الألغاز والتَّعمية والتعقيد وبالبُعد عن العِبارات والألفاظ المُجمَلَة المُحتملَة -المُشتمِلَة على حقٍّ وباطِل-، فهو أُسلوبٌ سَهْل مُقْتَضَب شيِّق رشيق، فيه رُوح الهداية، فتراهُ قد بَلَغَ مِن حُسن العَرْض، وسلاسة الأسلوب، وجودة الترتيب، ومطابقته لمدلولاته بأوجز عبارة وألْـمَح إشارة، وما ذاك إلّا بسبب تأثُّرهم بأسلوب القرآن والسُّنَّة فهما قائدهم وسائقهم إلى الصراط المستقيم، كما قال -تعالى-: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص:٨٦]، وقوله -تعالى-:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف:٢]، وقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩]، وامتِثالاً لقولِه ﷺ: «**إنّ الله يبغض البليغَ مِن الرِّجال، الّذي يتخلّلُ بلسانه تخلّل الباقرة بألسنتِها**»[١].

ويَتجلَّى هذا في مدلول عباراتهم وقصرها وسهولة فهمها على ما سوف يأتي ويمر معنا في ثنايا هذا الكتاب، وهكذا الحال في البعد عن الألفاظ المُجمَلة الموروثة للخلاف.

فقد قال شيخُ الإسلام:

«ولهذا يُوجد كثيراً في كلام السَّلَف والأئمّة النَّهي عن إطلاق موارد النزاع بالنفي والإثبات، وليس ذلك لِخُلُوِّ النَّقيضَين عن الحقّ ولا قُصور أو تقصير في بيان الحق، ولكن لأن تلك العبارة من الألفاظ المُجملَة المتشابِهة المُشتمِلَة على حق وباطل، ففي إثباتها إثبات حق وباطل، وفي نفيها نفي حق وباطل، فيمنع

---

(١) انظُر ما سيأتِي (ص١٦).

من كِلا الإطلاقَين، بخلاف النُّصوص الإلهيَّة؛ فإنّها فرقان فَرّقَ اللهُ بها بين الحقّ والباطل، ولهذا كان سَلَفُ الأُمّة وأئمّتها يجعلون كلام الله ورسوله هو الإمام والفرقان الذي يجب اتِّباعُه، فيُثبتُون ما أثبتَه اللهُ ورسولُه، ويَنفون ما نفاهُ اللهُ ورسولُه، ويجعلونَ العبارات المُحْدَثَة المُجمَلَة المُتشابِهَة ممنوعاً مِن إطلاقِها: نَفْياً وإثباتاً، لا يُطلِقُونَ اللَّفظ ولا يَنفونَهُ إلّا بعد الاستفسار والتَّفصيل»[1].

وقال في «مجموع الفتاوَى» (٥/ ٢٦٠):

«وأصل ضلالهم تكلُّمهم بكلمات مُجمَلَة، لا أصلَ لها في كتابِه، ولا سُنّة رسولِه، ولا قالَها أحدٌ مِن أئمَّة المُسلِمين كلفظ التحيُّز والجسم والجهة ونحو ذلك».

٣- الثَّبات والاستقرار:

ذلكم أنّهم لـمّا أعرضُوا عن أيِّ شيءٍ يصدُّ عن الحقِّ مِن فلسفة أو كُتُب الأُمم الماضية ونحوها؛ عاشُوا عُمْرَهُم مع الوحيَيْن، فنشأُوا عليه صِغاراً، وماتُوا عليه كِباراً، فخالَطَت هاتِيك المعاني والعِلَل دماءَهم وتلكَ النُّصوص أرواحَهُم، فوقَفُوا على رأس مقاصد العُلوم وكُلِّيَّاتِه، وتبصَّرُوا بجُزئيَّاته، فانتظمَت العلاقةُ بينهُما -انتِظاماً على مقصود الشارع- ممّا أَوْرَثَهُم سجيَّة في فَهم النُّصوص على مُراد الشّارع، فإذا بهم قد تقرَّرَ وتحرَّرَ في أَفهامِهم متَى تُقدَّم الألفاظ على المعاني، ومتَى تُقدَّم المعانِي على الألفاظ، وهل اللَّفظ أوسع مِن المعنَى؟ ونحوها من دلالات النُّصوص.

---

(١) «دَرْء التعارُض» (١/ ٧٦).

فميَّزَهُم ذلك بالثَّبات والاستقرار ومعرفة الحقّ والعدل، لذا قال شيخُ الإسلام ابن تيمية:

«وبالجملة فالثَّبات والاستقرار في أهل الحديث والسُّنَّة أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة».

وأمّا أهل الكلام فمُتخبِّطُون في مُستنقع بِدَعِهم، وغارِقُون في بحر شُبهاتِهم، تَعْلُوهُم الحَيرة والشَّكّ، والتِّيه والحَسْرَة، والتنقُّل بَيْنَ المذاهب والطُّرُق بلا فائدة، لذا كان مِن بديعِ وَصايا الرّازي -مِن كبارِ المُتكلِّمِين- أنْ قال:

«لقد اختبرتُ الطُّرُقَ الكلاميَّة، والمناهج الفلسفيَّة، فما رأيتُ فيها فائدةً تُساوي الفائدة التي وجدتُها في القُرآن؛ لأنّه يَسعَى في تسليم العَظَمَة والجَلالَة لله، ويمنع عن التَّعمُّق، فتتلاشَى في تلكَ المضايق العميقة والمَناهج الخفيَّة»[1].

وقال الشّهرستاني مُعبِّراً عن ذلك:

لَعَمْرِي لقد طُفْتُ المَعاهِدَ كُلَّها ... وسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تلكَ المعالِمِ
فلَمْ أَرَ إلّا واضِعاً كَفَّ حائرٍ ... على ذَقْنٍ أو قارِعاً سِنَّ نادِمِ[2]

٤- اعتناء السَّلَف الصَّالح بالرَّبط بين أعمال الجوارح وأعمال القُلوب:

ذلك أنّ الإيمان قولٌ وعملٌ ونِيَّةٌ، فكان هَمُّهُم الأكبرُ الحفاظ على سلامة القُلوب والأعمال، لذا؛ كان مِن بديعِ عِباراتِ سَهْل بن محمّد الصُّعْلُوكيّ أن

(١) انظُر «طبقات الشافعيَّة الكُبرَى» (٨/ ٩٠).

(٢) «نهاية الإقدام» (٣).

قال: أقلُّ ما في الكلام مِن الخَسَارة: سُقوط هيبة الله مِن القلب.

ومِن حفاظهم على قُلوبِهم عدم سماعهم لشيءٍ مِن البِدَع، كما نُقِلَ عن أبي منصور الحاكم لـمّا ذُكِرَ بين يديه شيءٌ مِن الكلام، فأدخلَ إصبعيه في أُذُنَيْه...

فكان دَأْبُهُم العِلمَ والعَمَلَ، بخلافِ حالِ أهلِ البِدَع، لذا قال ابنُ عُمَر -رضيَ اللهُ عنهُما-: «إنّا كنّا صدورَ هذه الأمّة، وكان الرَّجُلُ مِن خيارِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ وصالِحِيهم ما يُقيم إلّا سُورةً مِن القرآن، أو شِبه ذلك، وكان القُرآنُ ثقل عليهم، ورُزِقُوا عِلماً به أو عَمَلاً، وإنَّ آخِرَ هذه الأمّة يُخَفَّف عليهم القرآنُ، حتّى يَقرأَهُ الصّبيُّ والعجميُّ لا يَعْلَمُونَ مِنْهُ شيئاً».

ومِن أروعِ ما قيل في هذا ما أُثِرَ عن عليِّ بنِ أبي طالب -رضيَ اللهُ عنه-: «هتفَ العِلْمُ بالعَمَل فإن أجابَهُ وإلّا ارْتَحَل».

٥- اهتمام السَّلَف الصّالح بعبارات الاعتقاد:

إنّ مِن أخصِّ خصائص كلام السَّلَف الصَّالح عنايتهم بألفاظ وعبارات الاعتقاد، كيف لا والاعتقاد أصلُ الأُصول، الذي بعثَ اللهُ لأجلِهِ الرَّسول، وهو الذي في القبر عنه أول مسئول، وما عنهُ مِن أمرٍ يَحُول، فهو دعوةُ الأنبياء والرُّسُل، والذي مِن أجلِهِ خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ، وأنزَلَ الكُتُبَ، وفَرَضَ الجِهادَ، لِهذا كانت عباراتُهم في الاعتقاد في الكُتُب -كُتُبَ الاعتقاد والسُّنَّة- طافحةً كثيرةً، على خِلافِ ما يظنُّه أهل البِدع والضَّلال.

فتراهُم يُقعِّدُونَ القواعد في صفات الرَّبِّ -سبحانه وتعالى- مِن نحو ما صحّ عن أبي بكر الصِّدِّيق -رضي اللهُ عنه- في قولِه -تعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾-؛ قال: «النَّظَر إلى وَجْه الله -تعالى-».

وكما صحّ عن ابنِ عبَّاس -رضي الله عنهُما- أنّه قال: «إنّ الله -عزَّ وجلَّ- اصطفَى إبراهيمَ -عليه السَّلام- بالخُلّة، واصطفَى مُوسى -عليه السَّلام- بالكلام، واصطفَى مُحمَّداً ﷺ بالرُّؤيا».

وما ورَدَ عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ -رضي الله عنهُما- أنّه قال: «خلقَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- أربعةَ أشياءَ بيدِه: آدمَ -عليه السَّلام-، والعرش، والقَلَم، وجنَّاتِ عَدْن، ثمّ قال لسائرِ الخَلْق: كُن؛ فكان»[1].

وكذلك ما ورد عن الإمام مالك وشيخه ربيعة لـمّا جاءَهُ رجلٌ يَقول له: يا أبا عبد الله! ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوَى؟ قال -أحدُ الرُّواة-: فما رأيتُ مالكاً وَجَدَ -أي: غَضِبَ- مِن شيءٍ كموجدته مِن مقالتِه، وعلاه الرُّحضاء- أي: العَرَق- وأطرقَ القَوْمُ، فسُرِّيَ -أي: انكشفَ الهمُّ- عن مالك، وقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمانُ به واجب، والسُّؤال عنه بِدعة، وإنِّي أخافُ أنْ تكونَ ضالًّا! وأَمَرَ به فأُخرِجَ.

ومِن ذلك ما صحَّ عن إسحاق بن راهويه لـمّا حَضَرَ مجلسَ ابن طاهر، سُئل عن حديث النُّزول أصحيحٌ هو؟ قال: نعم، فقال له بعضُ القُوّاد: كيف ينزلُ؟ فقال: أَثْبِتْهُ حتّى أصِفَ لكَ النُّزول! فقال الرَّجُل: أُثْبِتُهُ فوق، فقال إسحاق: قال الله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾، فقال ابن طاهر: هذا يا أبا يعقوب -قلت: وهو إسحاق- يومَ القيامة، فقال: ومَن يجيءُ يومَ القيامة مَن يمنعُه اليوم؟!

---

(١) وانظُر هذه الآثار السابقة في «الشَّريعة» للآجُرِّي(٣٤٨ و٣٦٣ و٣٧٧)، تحقيق: الوليد سيف النَّصر، المكتبة الإسلاميَّة - القاهرة.

وهكذا في القَدَر وغيرِه فيما نُقِلَ عن أبي قِلابة، حيثُ قال: يا أيُّوب! احفظْ عنِّي أربعة: لا تَقُل في القرآن برأيك، وإيّاك والقَدَر، وإذا ذُكِرَ أصحابُ محمّدٍ ﷺ فأَمْسِك، ولا تُمَكِّنْ أصحابَ الأهواءِ مِن سَمْعِك، فيَنبِذُون فيه ما شاؤوا.

لِذا؛ كان الحَذَر في هذا الباب أشدّ مِن غيرِه.

كما قال المُزني: سمعتُ الشّافعيّ يقول للرّبيع: يا ربيع! اقْبَلْ منّي ثلاثة أشياء: لا تخوضنَّ في أصحاب رسول الله ﷺ؛ فإنَّ خصمَك النّبيُّ ﷺ يوم القيامة، ولا تشتغِل بالكلام؛ فإنّي قد اطّلعت مِن أهل الكلام على التَّعطيل.

زاد المُزنيّ: قال: ولا تَشتغلْ بالنُّجوم، فإنّه يجرّ إلى التَّعطيل.

ولما كان الأمرُ كذلك؛ ناسبَ أنْ يُضرَبَ أهلُ الكلام بالجَريد والنِّعال، كما قال الإمامُ الشافعيُّ: حُكْمِي في أهل الكلام أنْ يُضرَبُوا بالجريد، ويُحمَلُوا على الإبِل، ويُطافَ بهم في العشائر والقبائل، ويُنادَى عليهم: هذا جزاءُ مَن تَرَكَ الكتابَ والسُّنّة، وأَقْبَلَ على الكلام.

وغير ذلك الكثير الكثير ممّا يضيقُ به مُصنَّفٌ، واللهُ المُوفِّق للصَّواب، بأيسرِ الأسباب.

٦- التَّحذير مِن البِدَع:

لـمّا كانت البِدَعُ أشدَّ فتنةً مِن فِتنةِ الدّجَّال، وداءً عُضالاً أَلْصَقَ مِنَ الجَرَبِ وأَحْرَقَ للقُلوبِ مِن اللَّهَبِ، اشتدَّ نَكيرُ السَّلَفِ والأئمَّة للبِدَعِ وأهلِها، وصاحُوا بأهلِها كُلَّ مَطاف وحذَّرُوا مِن فِتْنَتِهِم أشدَّ التَّحذير، وبالَغُوا في ذلك

بما لمْ يُبالِغُوا في إنكارِ الفَواحِشِ والمُنكَرَات، إذ مضرَّة البِدعة وهدمِها للدِّين ومُنافاتِها له أشدّ مِن المعاصِي والآثام؛ لذا البدعة لا يُتابُ مِنها والمعصية يُتابُ منها، فمِن هُنا كانت البدعة بَريداً للكُفْر وطَريقاً إليه، والعياذُ بالله[1].

فمِن هذه الآثار التي تكشفُ حالَ المُبتدع وما يحملُه مِن غِلٍّ وحِقدٍ دَفين قول أحمد بن سنان، حيثُ قال: ليسَ في الدّنيا مُبتدِعٌ إلّا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدعَ الرّجلُ بِدعةً نُزعَت حلاوةُ الحديثِ مِن قَلْبِه.

وقد ضَبَطَ لنا الإمامُ مالِك -رَحِمَهُ اللهُ- حدَّ البِدَعِ حيثُ قال: إيّاكُم والبِدَع، قيل: يا أبا عبد الله! وما البِدَع؟ قال: أهلُ البِدَع: الذين يَتكلّمونَ في أسماءِ الله وصفاتِه، وكلامِه، وعِلْمِه، وقُدرَتِه، ولا يَسكُتون عمّا سَكَتَ عنه الصّحابةُ والتّابعون لهم بإحسان.

وقال: لمْ يَكُن شيءٌ مِن هذه الأهواء على عهد النّبيِّ ﷺ، ولا أبي بكر، ولا عُمَرَ، ولا عثمانَ.

وحال المبتدع أنّه لا يَزداد ببدعتِهِ إلّا ضلالاً وانحرافاً؛ فأنتَ ترَى المُبتدِع ينتقلُ مِن بِدعةٍ إلى التي هي أضرّ منها، قال الأوزاعيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- مُقرِّراً هذا الأصل-: إنّكم لا تَرجِعُون عن بدعةٍ إلّا تعلّقْتُم بأُخرى هي أضرُّ عليكم منها.

وكذا قال حسّان بن عطيّة: ما ابتدعَ قومٌ في دينِهم بدعةً، إلّا نَزَعَ اللهُ مِثلَها مِن السُّنَّة، ثمّ لا يَردُّها عليهم إلى يوم القيامة.

---

(١) وانظُر «لفتة قُرآنيّة منهجية» (ص١٠٠).

لذا؛ حذَّرُوا مِن البِدَعِ أيَّما تحذير، فمن ذلك:

ما قالَهُ الإمامُ المُبجَّل أحمد بن حنبل: إذا سَلَّم الرَّجلُ على المبتدع فهو يُحبُّه، قال النَّبيّ ﷺ: «**ألا أدُلكم على ما إذا فَعلتُموه تَحاببتُم: أفشوا السَّلامَ بينكم**».

وما قالَهُ الأوزاعيُّ: مَن وَقَّر صاحبَ بدعةٍ؛ فقد أعان على مُفارَقةِ الإسلام، ومَن وَقَّر صاحبَ بدعةٍ؛ فقد عارض الإسلام برَدّ.

وقال الفضيل بن عياض: مَن أحبَّ صاحَب بدعةٍ أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَه، وأخرجَ نورَ الإسلامِ مِن قَلبِه.

وغيره الكثير الكثير، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله العزيز القدير.

□ الكتاب المُختصَر «ذمُّ الكلام وأهله»:

بين يديك -أخي الكريم- كتابٌ مِن أهمِّ الكُتُب في المنهج والاعتقاد، أظهرَ فيه مُصنِّفُهُ الحقَّ بدلائلِه، وطمسَ فيه الباطلَ بحُجَجِه، وَضَعَهُ شيخُ الإسلام أبو إسماعيل الهروي حيثُ ذَكَرَ فيه الأحاديثَ والآثارَ -بأسانيدِها- إلى قائلِيها في ذمِّ البِدَعِ وأهلِها، وبيانِ عظيمِ خطرِها وكبيرِ شَرَرِها، وقد أطنبَ وتوسَّعَ في ذلك أيّما إطناب، ممّا جَعَلَهُ مِن الكُتُب الأُصول الأُمّات التي عليها المُعوَّل، وعليها المفزَع.

وقد أثنَى على الكتاب جَمْعٌ غفيرٌ مِن العُلماء، منهُم شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة -رَحِمَهُ اللهُ-، حيثُ قال في «دَرْء التَّعارُض» (٧/ ١٤٥):

«لكِن؛ كثيرٌ مِن النّاس لَمْ يُحيطُوا عِلماً بكثيرٍ مِن أقوالِ السَّلَفِ والأئمَّةِ -في

ذلك- ومعانِيها، وقد جَمَعَ النّاس مِن كلامِ السَّلَفِ والأئمَّة -في ذلك- مُصنَّفاتٍ مُفردَة؛ مثل: ما جَمَعَهُ الشيخُ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ، ومِثل المُصنَّف الكبير الذي جمَعَهُ الشيخُ أبو إسماعيل عبدُ الله بن محمد الأنصاريُّ، المُلَقَّب بشيخ الإسلام، الذي سمّاهُ «ذمّ الكلامِ وأهله»».

والحافظ السُّيُوطيّ في «صَوْن المنطِق» (ص٣٣):

«اعلَمْ أنَّ أئمَّة أهل السُّنَّة ما زالُوا يُصنِّفون الكُتُب في ذَمّ عِلم الكلام، والإنكار على مُتعاطِيه، وأجلُّ كتابٍ أُلِّفَ في ذلك كتاب «ذمّ الكلام وأهلِه» لشيخِ الإسلام أبي إسماعيل الهرويِّ».

□ طبعات الكِتاب:

طُبِعَ الكِتاب عِدّة طَبعات؛ منها:

* طبعة مكتبة الغُرباء، تحقيق: أبي جابر عبد الله بن محمد الأنصاري، وقد استفدتُ منها كثيراً، جزى الله صاحبَها خيرَ الجَزاء.

* وطبعة مكتبة العُلوم والحِكَم، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد العزيز الشِّبل.

□ منهجي في «المنتقى»:

١- حَذْف الأسانيد -اختصاراً وتسهيلاً- للعامَّة، وإلّا فقد أُثِرَ عن عبدِ الله ابنِ المُبارَك أنْ قالَ: لو لا الإسناد لَقالَ مَن شاء ما شاء.

٢- حَذْف الأحاديث والآثار الضَّعيفة والموضوعة.

٣- حَذْف الأحاديث والآثار المُكرَّرة لَفظاً ومعنى.

٤- علَّقتُ على بعض الأحاديث والآثار مُبتغِياً في ذلك ما يلي:

أ- رَبْط كلام السَّلَف بعضه ببعض.

ب- التَّوجيه والفَهم الصَّحيح لكلام السَّلَف.

ج- تنزيل كلام السَّلَف على الواقع المُعاصِر الذي نعيش.

د- شَرْح غريب الألفاظ.

هـ- ردّ المُتشابه إلى المُحكَم.

و- تَفنيد بعض الشُّبهات التي يتمسَّك بها أهل الأهواء والبِدَع سواء أكانت في النُّصوص الشَّرعيَّة أو مِن بعض كلام السَّلَف الصّالح -رضوان الله عليهم-.

ز- العناية بأعمال القلوب.

ح- التَّأصيل والتَّقعيد لكثيرٍ مِن المقاصد والمسائل الكُبرَى الكُلِّيَّة المُهِمَّة.

ك- بيان المنهج الحقّ ومُعتقَد الفِرقة الناجية وصفاتها التي تختصّ بها، والتّحذير مِن أهل البِدع والكَشف عن أوصافهم وعوار استدلالهم.

ل- وضعتُ عناوين لبعض الأبواب بخطٍّ عريض مُيِّزَت عن عناوين الأبواب الأصليَّة.

ترجمة موجزة

* هو عبدُ الله بنُ محمّد بنِ عليٍّ بن محمَّد بـن أحمـد بـن علـيّ بـن جعفـر بـن منصور بن مت.

* لقد كان أنصاريًّا، من ذُريّة أبي أيوب الأنصاري الصَّحابي الجليل -رضي الله عنه-.

* نُسِبَ إلى مدينة هَراة، التي كانت مسقط رأسه، ونشأ فيها.

* لُقِّب بناصر السُّنّة، وشيخ الإسلام، وخطيب العَجم، وشيخ خُرَاسَان.

* وُلِدَ في شهر شعبان مِن سنة سِتّ وتسعين وثلاث مئة.

* بدأ طلب العلـم منـذ صـغره، فحَفِـظَ القـرآن، وتَعَلَّـم التفـسير، وجَمَـع الحديث.

* رَحَلَ -رَحِمَهُ اللهُ- طَلَباً للعلـم إلى بقـاعٍ شـتَّى، منهـا: نيـسابور، وطُـوس، وبسطام، والرَّي، وبَلْخ، وغيرها.

* **شيوخه كثيرون، منهم**: أحمد بـن الحـسين البيهقـي، وأحمـد بـن سـليمان النَّيسابوري، وإسماعيل بن عبد الرَّحمن الصَّابوني، وخَلْقٌ كثير.

* **ومِن تلاميذه**: حسين بن محمد بن علي الكتبيّ، وحنبل بن علي البخاري، وعبد الجليل بن أبي سعد المعدل.

* امْتُحِنَ -رَحِمَهُ اللهُ- كثيراً، لِـمَا كان عليه مِن المُعتقَد السليم، ودعوته إلى المنهج الحق، ونُصرته لذلك، وشِدَّته على أهل الأهواء والبدع .

ولذا؛ قال الحافظ الذهبي في «العُلُوّ» (٢٦٠) : «وقد هُدِّد بالقتل مرات لِيُقْصِر عن مبالغته في إثبات الصفات، وليكفَّ عن مخالفيه مِن علماء الكلام، فلَمْ يَرْعَوِ لتهديدهم، ولا خاف مِن وعيدهم».

* تُوفّي - رحمه الله - يوم الجمعة مِن شهر ذي الحجة، لعام إحدى وثمانين وأربع مئة، ودُفِن يوم السبت بـ(كازيا ركاه) مقبرة بقرب هراة.

هذا وآخرُ دعوانَا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين.

وكتبَ

أحمد بن نضال بن عبد الوهاب القطيشات

الأردن / السَّلط - البلقاء المحروسة

بسم الله الرحمن الرحيم

كمال الشريعة، وتمام النعمة

[١] عن طارقِ بن شهابٍ، قال: «قال رجلٌ مِن اليهود لعمرَ بنِ الخَطَّاب -رضي الله عنه-: يا أميرَ المؤمنينَ! لو علينا نَزَلَتْ هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]؛ لاتَّخذنا ذلكَ اليومَ عيداً! فقالَ عمر -رضي الله عنه-: إنّي لَأَعلمُ أيّ يومٍ نَزَلَت هذه الآية: يومَ عرفة، في يومِ جُمُعَة»[١].

[٢] قال الهرويُّ: سَمِعْتُ أحمد بن الحسن الفقيه الحنبليّ يقول: «كلُّ ما أُحْدِثَ بعد نزول هذه الآية فهو فَضلٌ وزيادة وبدعة»[٢].

[٣] عن عائشة – رضي الله عنها – قالتْ: قال رسول الله ﷺ: «مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنا ما ليس منه فهو ردٌّ»[٣].

قال أبو مروان: يعني: البدع.

---

(١) أخرجهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٤٥)، ومسلم في «صحيحه» (٧٤٤١).

«قال ابنُ المَاجِشُون: سمعتُ مالكاً يقول: مَن ابتدعَ في الإسلام بدعةً يراها حَسَنَةً؛ فقد زَعَمَ أنّ محمَّداً ﷺ خانَ الرِّسالةَ؛ لأنَّ اللهَ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فما لمْ يَكُنْ يَومَئِذٍ دِيناً؛ فلا يكونُ اليوم ديناً». «الاعتصام» للعلّامة الشّاطبيّ (١/ ٦٢).

(٢) قلتُ: أيْ: ما أُحْدِثَ مِن شيءٍ في الدِّين بعد نزول هذه الآية؛ فهو (فَضْل)؛ أي: زائد عن الشّريعة بما لمْ يأذنْ به الله، وعليه فهو بدعة.

(٣) أخرجهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٢٦٩٧)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٤٤٦٧).

[٤] قال أبو عُبيد: «جَمَعَ النَّبيُّ ﷺ جميعَ أمر الآخرة في كلمة: «مَن أحدثَ في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ»، وجميعَ أمرِ الدُّنيا في كلمة: «إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات»؛ يدخلان في كلِّ باب»(١).

[٥] قال عبدُ الله بنُ عَدِيّ الصّابونيّ : «الكتاب والسُّنَّة والإجماع، أو الزُّنار والعَسَلِيّ والجزية»(٢).

---

(١) قلت:

وَجْهُ جَمْعِ جَميعِ أَمْرِ الآخرة والدُّنيا في هذَيْن الحديثَيْن: ما قالَ الحافظُ ابنُ رجب في «جامع العلوم والحِكَم» (٧٧):

«وهذا الحديثُ -أي: «مَن أحدثَ في أمرِنا...»- أصلٌ عظيمٌ مِن أصولِ الإسلام، كما أنَّ حديثَ: «الأعمالِ بالنيّات» ميزانٌ للأعمالِ في باطنِها، وهو ميزانٌ للأعمالِ في ظاهرِها، فكما أنَّ كُلَّ عَمَلٍ لا يُرادُ به وَجْهَ الله -تعالى-؛ فليسَ لِعامِلِه فيهِ ثوابٌ، فكذلك كلُّ عَمَلٍ لا يكونُ عليه أَمْرُ الله ورسولِه؛ فهو مَردودٌ على عامله».

(٢) والزُّنار: ما يَلبسُه الذِّمي، ويَشُدُّه على وسَطِه. انظر «لسان العرب» (٤/ ٣٣٠).

وعَسَلِيّ اليهود: هو لباسٌ لَونُه عَسَليّ؛ يَلبسونَه لِيَتَميَّزُوا به عن المسلمين.

انظُر «مطالب أُولي النُّهى» (٢/ ٦٠٦ - المكتب الإسلامي).

والمعنَى: إمّا أنْ تَأخُذَ بالكتابِ والسُّنّة والإجماع، أو الزّنار والعَسَليّ، وهذا لا يَعنِي أنَّ الذي يأخُذ بالكلام والهوى والرأي المذموم والحزبية (الذي نال الزُّنار والعَسَلِيّ) أنه كافرٌ خارجٌ مِن المِلّة، بل هو التّرهيبُ مِن هذا الفعل، وإن كانَ مآلُه الكفر- والعياذ بالله -، إنْ لمْ يكُنْ ردُّ الكتابِ والسُّنَّة والإجماع ممّا يكفر به صاحبه، وليس هذا محلّ تفصيلِه، واللهُ أعلم.

الباب الأول

كيف الطريق إلى الله عز وجل؟

باب البيان أن الأمم السَّالفة إنَّما استقاموا على الطّريقة ما اعتصموا بالتَّسليم والاتِّباع[1]، وأنهم لمّا تكلّفوا وخَاصموا؛ ضَلُّوا وهَلَكوا

---

(١) سُئِل أبو علي الحسن الجُوْزَجَانيّ: كيف الطَّريق إلى الله؟ فقال:

«الطُّرُقُ إلى الله كثيرةٌ؛ وأوضحُ الطُّرقِ وأبعدُها عن الشُّبهِ: اتِّباعُ السُّنَّة قولاً، وفعلاً، وعزماً، وعقداً، ونيَّةً؛ لأنّ اللهَ يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النّور:٥٤]. فقيل له: كيف الطَّريقُ إلى السُّنَّة؟ فقال: مجانبةُ البِدَع، واتِّباعُ ما اجتمع عليه الصَّدرُ الأوَّلُ مِن علماء الإسلام، والتَّباعدُ عن مجالس الكلامِ وأهلِه، ولزومُ طريقةِ الاقتداء، وبذلك أُمِرَ النَّبيُّ بقولِه-تعالى-: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣]». «الاعتصام» (١/ ١٥٢).

قلتُ:

والطَّريقُ إلى الاتِّباعِ ومُجانَبة الابتداع، إنّما يتأتَّى بكمال المتابعة والموافقة للشَّريعة، وتحقيقه في ستة أمور:

١- الموافقَة للشَّريعة في السَّبب: فإذا تعَبَّدَ الإنسانُ لله عبادةً مقرونةً بسبب ليس شرعيًّا فهي بدعةٌ مردودةٌ، مِن مِثل: إحياء ليلة السّابع والعشرين مِن رجب بحُجَّة أنّها اللّيلة الّتي عُرِج فيها برسول الله ﷺ، فهذه العبادة لـمّا قُرِنَت بهذا السَّبب كانتْ بدعةً؛ لأنه بَنَى هذه العبادة على سببٍ لمْ يَثْبُت شَرْعاً.

٢- الموافقة للشريعة في الجنس: فلا بُدّ أنْ تكونَ العبادةُ موافقةً للشرعِ في جِنْسِها مِن=

[٦] عن أبي هُريرةَ -رضي الله عنه-، أنّ رسول الله ﷺ قال: «دَعوني ما تَركتُكم؛ فإنّما هَلَكَ مَن كانَ قَبلكم بسؤالِهم، واختلافِهم على أنبيائِهم، فإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أَمرتكم بشيءٍ فأْتُوا منه ما اسْتَطعتم»(١).

=مِثل مَن ضحَّى بفَرَسٍ فلا تَصِحُّ أُضحيتُه؛ لأنَّه خالفَ الشريعةَ في جِنْسِ المُضَحَّى به، فالأضاحي لا تَكونُ إلَّا مِن بهيمةِ الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم.

٣- الموافقة للشريعة في القَدْر: فلو أرادَ إنسانٌ أنْ يَزيدَ صلاةً على أنها فريضةٌ فنقولُ: هذه بدعةٌ غير مقبولة؛ لأنّها مُخالِفةٌ للشرع في القَدْر.

٤- الموافقة للشريعة في الكيفيَّة: فلو أنَّ رَجُلاً تَوَضَّأَ، فبدأ بغسلِ رجلَيْه، ثم مَسَحَ رأسَه، ثمّ غسل يدَيْه، ثُمّ وَجْهَه، فنقولُ: وُضوؤُه باطلٌ؛ لأنّه مخالِفٌ للشرعِ في الكيفيَّة.

٥- الموافقة للشريعة في الزّمان: فلو أنَّ رَجُلاً ضحَّى في أول أيامِ ذي الحجة؛ فلا تُقْبَلُ الأضحيةُ لمخالفةِ الشَّرْعِ في الزّمان.

٦- الموافقة للشريعة في المكان: فلو أنَّ رَجُلاً اعْتَكَفَ في غير مسجدٍ؛ فإنَّ اعتكافَهُ لا يَصِحُّ؛ وذلك لأنَّ الاعتكافَ لا يكونُ إلّا في المساجِدِ.

انظُر «الإبداع في بيان كمال الشَّرع وخطر الابتداع» (٢١) لشيخِنا العلّامة الفقيه محمد ابن صالح العثيمين -رحمهُ الله رحمةً واسعة-.

(١) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٧٢٨٨)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٦٠٦٨) بلفظ: «ذَروني ما تَركتُكم...».

قال النَّوويُّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ١٠٨-دار المعرفة) -بتصرُّفٍ يسير-:

«... إنه ﷺ نهاهُم عن إكثار السؤال، والابتداء بالسؤال عمّا لا يَقَع، وكَرِهَ ذلك لمعانٍ: منها: أنّه ربما كان سبباً لتحريمِ شيءٍ على المسلمين فيَلْحَقُهم به المشقَّة، وقد بيَّن هذا=

[٧] عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: خطبَنا رسولُ الله ﷺ، فقال: «أيُّها النّاس! إنّ الله فرض عليكم الحجّ».

فقام رجلٌ، فقال: يا رسول الله! في كلِّ عام؟ فسكتَ، ثم عادَ ثانية، فسكتَ عنه رسول الله ﷺ، ثم عاد الثّالثة، فقال النَّبيُّ ﷺ: «لو قلتُ: نَعَم؛ لَوَجَبَت، ولو وَجَبَت ما قمتُم بها.

ذروني ما تركتكم مِن كثرة السُّؤال، فإنَّما هلك مَن قَبْلَكم بسؤال أنبيائهم واختلافهم عليهم، فإذا أمرتُكم بشيءٍ؛ فأتوا منه ما استطعتُم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ؛ فاجتنبوه»[١].

[٨] عن أبي أمامة، عن النَّبي ﷺ قال: «ما ضلَّ قومٌ بَعْدَ هُدىً كانوا عليه إلّا أوتوا الجدل»[٢].

[٩] قال عبدُ الله بنُ عمرو -رضي الله عنهما- قال: هجَّرتُ إلى رسول الله

=بقوله ﷺ: «أعظمُ المسلمين جُرماً مَن سألَ عن شيءٍ لمْ يُحَرَّمْ على المسلمين، فحُرِّمَ عليهم مِن أَجْلِ مَسألتِه».

ومنها: أنّه رُبَّما كان في الجوابِ ما يَكْرَهُهُ السائلُ ويَسُوؤُه، ولهذا أَنزلَ اللهُ -تعالى- في ذلك قولَه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾[المائدة:١٠١].

ومنها: أنهُم ربما أجفُوه ﷺ بالمسألة، وأَلحقُوه المشقَّةَ والأذى، فيكون ذلك سبباً لهلاكهم».

(١) أخرجهُ مسلمٌ في «صحيحه» (٣٢٤٤).

(٢) حديثٌ حَسَن. انظُر «صحيح الجامع» (٥٦٣٣).

ﷺ فسمع رجلَيْن اختلفَا في آيةٍ ارتفعَتْ أصواتُهما، فخرجَ يُعرَفُ الغضبُ في وجهه، قال: فقال: «إنّما هلك مَن كان قبلكم بالاختلاف في الكتاب»(١).

[١٠] عن ابن عبّاس -رضي الله عنهما-؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والغلوَّ في الدِّين؛ فإنّما هلك من كان قبلكم بالغلوّ في الدِّين»(٢).

[١١] عن مرّة الهمدانيّ، أنَّ أبا قُرَّة الكنديّ أتى ابنَ مسعود -رضي الله عنه- بكتاب، فقال: إنّي قرأتُ هذا بالشّام فأعجبني، فإذا هو كتابٌ مِن كُتُبِ أهل الكتاب، فقال عبد الله -رضي الله عنه-: إنَّما هلك مَن كان قَبْلكم باتّباعهم الكتُب، وتَركِهم كتابَ الله. فدعا بطَسْتٍ وماء، فوضعَه فيه، وأماثَه(٣) بيدِه، حتى رأيتُ سواد المداد.

[١٢] عن زيد بن رُفيع، قال: بَعَثَ اللهُ نوحاً -عليه السّلام-، وشَرَعَ له الدِّين، فكان النّاسُ في شريعة نوح، فما أطفأها إلّا الزّندقة، ثم بَعَثَ اللهُ موسى -عليه السّلام-، وشرع له الدِّين، فكان النّاس في شريعته، فما أطفأها إلّا

---

(١) أخرجَهُ مسلمٌ في «صحيحه» (٦٧١٨).

(٢) صحيح. انظُر: «صحيح سُنن النَّسائيّ» (٣٠٥٧)، و«صحيح سُنن ابن ماجه» (٣٠٢٩)، كلاهُما لشيخِنا الإمام الألباني -رحمه الله-.

(٣) صحيح. ومعنى (أماثه)؛ أي: أذابه، انظُر «الدلائل في غريب الحديث» (٢/ ٦١٢) للسَّرَقُسْطِيّ.

الزّندقة، ثمّ بعثَ اللهُ عيسى -عليه السّلام-، وشرع لـه الـدّين، فـما أطفأهـا إلّا الزّندقة.

فإذًا زيد بن رُفيع لا يَخافُ على هذا الدّين إلا الزّندقة.

[١٣] عن إبراهيمَ النّخعيِّ: أنّه قال في قوله -تعالى-: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾[المائدة:١٤]: أُغرِيَ بعضهم ببعض في الجدال في الدِّين.



الباب الثاني

ما يهدم الإسلام!!

باب ذكر شدَّة ما كان رسول الله ﷺ يَخَافُ على هذه الأمَّة من الأئمَّة المُضِلِّين، والمُجَادِلين في الدِّين، وخُطباء المنافقين

[١٤] عن ثوبان -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَخْوَفُ ما أخافُ على أمَّتي: الأئمَّةُ المضلُّون»(١).

[١٥] وقال عمرُ بنُ الخطّاب -رضي الله عنه-: «يَهْدِمُ الإسلامَ ثلاثٌ: زَلَّةُ عالِمٍ، وجدالُ منافِقٍ بالقرآن، وأئمّةٌ مُضِلُّون»(٢).

---

(١) إسنادُه صحيحٌ على شرط مُسلم. انظُر «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٥٨٢).

(٢) صحيح. انظُر: «مُسنَد الفاروق» (٢/ ٦٦٢) للحافظ ابنِ كَثير، و«مشكاة المصابيح» (١/ ٨٩) تحقيق شيخنا المحدِّث الألبانيِّ -رَحِمَ اللهُ الجميعَ-.

قال الطِّيبي: «المُراد بهَدْم الإسلام: تعطيل أركانه الخمسة، في قولِه -عليه السَّلام-: «بُنِيَ الإسلامُ على خَمس... -الحديث-»، وتعطيله إنَّما يحصل مِن زَلَّة العالِم، وتَرْك الأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكَر باتِّباع الهوَى، ومِن جدال المُبتدِعة وغُلُوّهم في إقامة البدع بالتَّمسُّك بتأويلاتهم الزائغة، ومِن ظُهور ظُلم الأئمَّة المُضلِّين، وإنَّما قُدِّمَت زلَّة العالِم؛ لأنَّها هي السَّبَبُ في الخصلتَين الأخيرتَين...» اهـ. مِن «مِرعاة المفاتيح» (١/ ٣٥٦).

قال العلَّامةُ وليُّ الله الدِّهلويّ في «حُجَّة الله البالغة» (١/ ٢٧٦ - دار المُؤيَّد)، عقب هذا الأثر: «والمُرادُ بهذا كُلِّه ما ليس استنباطاً مِن كتاب الله وسُنَّة رسولِه».

أخرجَ حافظُ المَغرِب بسندِه إلى سلمان أنّه قال:

«كيف أنتُم عند ثلاث: زلَّة عالِم، وجِدال مُنافق بالقُرآن، ودُنيا تَقطعُ أعناقَكُم؟

فأمّا زَلَّة العالِم: فإن اهتدَى؛ فلا تُقلِّدُوه دينكم، وأمّا مُجادَلَة مُنافق بالقُرآن: فإنّ للقُرآن مَناراً كمنار الطَّريق، فما عرفتُم منهُ؛ فخُذوا، وما لَم تَعرِفُوه؛ فكِلُوهُ إلى الله، وأمّا دُنيا تَقطعُ=

[١٦] عن عمرَ بنِ الخطّاب -رضي الله عنه-، عن النبيِّ ﷺ؛ قال: «**إنّ أخوفَ ما أخافُ على هذه الأمّة كلُّ منافقٍ عليمِ اللسانِ**»[١].

[١٧] عن حُذيفةَ -رضي الله عنه-، قال: «المنافقون اليوم شَرٌّ منهم على عهد رسول الله ﷺ. قيل: وكيف ذاك؟ قال: إنّهم كانوا على عهد رسول الله ﷺ يُخفونَهُ، وهُم اليوم يُظهرونَه»[٢].

[١٨] عن أبي هُريرةَ -رضي الله عنه-، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**خَصْلتانِ لا تَجتمعانِ في منافقٍ: حُسنُ سَمتٍ، ولا فِقهٌ في دِين**»[٣].

[١٩] وعن عثمان بن أبي شيبة، قال: فُسّاقُ أصحابِ الحديث خيرٌ من عُبّادِ غيرهم.

=أعناقَكُم: فانظُروا إلى مَن هو دُونَكم، ولا تَنظُروا إلى مَن هو فوقَكم».

وشبّه العُلماءُ زَلَّة العالِمِ بانكِسار السَّفينة؛ لأنّها إذا غرقَت؛ غَرِقَ معها خَلْقٌ كثير».

«جامع بيان العِلم» لابن عبد البَرّ (٢/ ١٦٤) تحقيق الزُّهيري.

(١) صحيح. انظُر «صحيح الجامع» (١٥٥٤).

(٢) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحِه» (٧١١٣).

قال الحافظُ ابنُ حَجَر في «الفتح» (١٣/ ٧٩): «قال ابنُ بطّال: إنّما كانُوا شرًّا ممّن قَبْلَهُم؛ لأنّ الماضِين كانُوا يُسِرُّونَ قولَهم، فلا يَتَعَدَّى شرُّهم إلى غيرِهم، وأمّا الآخرُون؛ فصارُوا يَجْهَرُونَ بالخُروج على الأئمّة، ويُوقِعُونَ الشَّرَّ بين الفِرَق فيتعدَّى ضَرَرُهُم لغيرِهم.

وقال ابنُ التِّين: أرادَ أنّهم أظهرُوا مِن الشَّرِّ ما لم يُظهِر أُولئك، غير أنّهم لم يُصرِّحُوا بالكُفرِ، وإنّما هو النَّفث يُلْقُونَهُ بأفواهِهِم، فكانُوا يُعرَفُونَ به».

(٣) صحيح. انظُر «صحيح سُنَن الترمذيّ» (٢٦٨٤).

قُلْتُ: قال العلّامةُ المُباركفوريّ في «تُحفة الأحوذي» (٧/ ٣٧٨): «(ولا فِقه في الدِّين)؛ عَطَفَ بـ(لا)؛ لأنَّ (حُسْن سَمْت) في سِياق النَّفي، فـ(لا) لتأكيد النَّفي المساق».

الباب الثالث

إياك وآراء الرجال

بابُ كراهية تشقيقِ الخُطبِ، وترقيق الكلام والتكلمِ بالأغاليط

[٢٠] عن أبي ذرّ -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّكم اليوم في زمانٍ كثيرٌ علماؤُه، قليلٌ خُطباؤُه، مَن تَرَكَ عُشْر ما يَعرِف؛ فقد هوى، ويأتي من بعد زمان كثيرٌ خطباؤُه، قليلٌ علماؤُه،مَن استمسَكَ بعُشْر ما يعرِف؛فقد نَجَا»**(١).

[٢١] عن عبدِ الله بن عَمْرِو بنِ العاص -رضي الله عنهما-، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إنّ اللهَ يبغض البليغَ مِن الرِّجال، الّذي يتخلّلُ بلسانه تخلّل الباقرة بألسنتِها»**(٢).

---

(١) صحيح. انظُر «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة» (٢٥١٠).

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «جواب الاعتراضات المصريّة» (٢٥) في نحوِ هذا: «فبيَّن أنّ الزمان المحمود هو الذي يكون فيه فقهاء يفقهون معاني القراءةِ والخطاب، أمّا كثرة مَن يقرأ القول ويتكلَّم بالخطاب بلا فِقهٍ؛ فإنّ ذلك مذموم».

(٢) صحيح. انظر «صحيح سنن التِّرمذيّ» (٢٨٥٣). لكن بدل «الباقرة»: «البقرة».

قال المُناوِيُّ في «فيض القدير» (٢/ ٣٥٩) عند شرح الحديث: «أي: المظهر للتفصُّح تيهاً على الغير، وتفاصحاً، واستعلاءً، ووسيلةً إلى الاقتدار على تصغيرِ عظيمٍ أو تعظيمِ حقيرٍ، أو بقَصدِ تعجيز غيره، أو تزيين الباطل في صورة الحق، أو=

[٢٢] عن أبي أُمامةَ -رضي الله عنه-، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الحياءُ والعِيُّ: شُعبتان مِن الإيمان، والبذاءُ والبيانُ: شُعبتان مِن النّفاق**»[١].

[٢٣] عن الضَّحَّاك بنِ مزاحم، قال: أولئك يتعلَّمونَ الورع، أَمَا إنّه سيأتي عليكم زمانٌ يتعلَّمون فيه الكلام.

[٢٤] عن إبراهيمَ[٢]، قال: كانوا يَكرَهُون غريبَ الكلام، وغريبَ الحديث.

[٢٥] قال الأوزاعيُّ: عليك بآثار مَن سَلَف، وإيّاك وآراءَ الرّجال، وإنْ زَخرَفُوها بالقول[٣]!

=عكسه، أو إجلال الحكام له، ووجاهته، وقَبول شفاعته، فلا يُنافِي كَوْن الجمال في اللسان، ولا أن المروءة في البيان، ولا أنّه زينةٌ مِن زينة الدنيا، وبهاءٌ مِن بهائها، ولا يُناقض هذا: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ .عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[الرحمن:٣-٤]؛ لأنّ جَعْلَهُ مِن نِعَم الوهّاب آيةٌ، أن **موضعَ البغض ما كان على جهة الإعجاب والتعاظُم**، فمَن فَهِمَ تناقُض الخبر والآية؛ فقد وَهم.

وإلى ذلك المعنى المراد يشير قوله: «**الذي يتخلّل بلسانِه تخلل الباقرة**»: جماعة البقر، (بلسانه)؛ أي: الذي يَتشدَّق بلسانِه كما تتشدَّق البقرةُ، ووجهُ الشَّبَه إدارة لسانه حول أسنانه وفمه حال التكلُّم، كما تفعلُ البقرةُ بلسانها حالَ الأكل».

(١) صحيح. انظر «صحيح سنن التِّرمذيّ» (٢٠٢٧).

قال التِّرمذيُّ -رَحِمَهُ الله-:

«العيُّ: قِلّةُ الكلام، والبَذَاءُ؛ هو: الفُحْشُ في الكلامِ، والبيانُ؛ هو: كثرةُ الكلامِ، مِثل هؤلاءِ الخطباءِ الذين يَخْطُبُون فيُوسِّعُونَ في الكلام، ويَتَفَصَّحُونَ فيه مِن مدحِ الناس، فيما لا يُرضي الله».

(٢) النَّخعيّ.

(٣) حَسَن. انظر «مُختصَر العُلُوّ» (١٢٨) لشيخنا الألباني.

الباب الرابع

أول مراتب الفساد: الجدال

باب ذم الجدالِ، والتغليظ فيه، وذِكر شُؤْمِه

[٢٦] عن عائشةَ -رضي الله عنها-، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ أبغضَ الرّجالِ إلى الله: الألَدُّ الخَصِم**»(١).

---

(١) أخرجَه مسلمٌ في «صحيحه» (٦٧٢٢).

قلتُ: قال العلّامةُ النّوويُّ في «المنهاج» (١٦/ ٤٣٦):

«قولُه ﷺ: «**أبغضُ الرّجالِ إلى الله الألدُّ الخَصِمُ**»؛ هو بفتح الخاء، وكسر الصَّاد، و(**الألَدُّ**): شديدُ الخصومة، مأخوذٌ من لَدِيدَي الوادي، وهو جانباه؛ لأنّه كلّما احتجَّ عليه بحجّة أخذ في جانب آخر، وأمّا (**الخَصِم**)؛ فهو: الحاذق بالخصومة.

والمذموم هو الخصومةُ بالباطل في رَفْع حقٍّ، أو إثبات باطل».

قلتُ:

وعليه فالمجادِل -بغير حقّ- قد سلكَ طريقاً مَبغُوضاً عند الله، لا يُوصِلُه إلى الحقّ، فإنْ أصابهُ -وهو نادر- فلا يُعَدُّ مِن أهل الحق! حتى يَدَعَ الجَدَل، ويُسلِّم بالحقِّ الذي جاءه.

ولهذا؛ أُثِرَ عن الإمام المُبجَّل أحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني في اعتقادهما فيما نقلَهُ اللَّالَكَائِيُّ في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٥٧-١٦٥)، حيثُ قالَا:

«لا يُخاصِمُ أحداً ولا يُناظِرُه، ولا يَتعلَّم الجدل؛ فإنّ الكلام في القَدَر، والرؤية، والقرآن، وغيرها مِن السُّنَن مَكروهٌ مَنهيٌّ عنه، ولا يكونُ صاحبُه -إنْ أصابَ بكلامه السُّنّة- مِن أهل السُّنّة حتى يَدَعَ الجَدَلَ ويُسَلِّم .....».

[٢٧] عن عليِّ بنِ أبي طالب -رضي الله عنه-، أَخْبَرَ أنّ رسول الله ﷺ طَرَقَهُ وفاطمةَ بنت رسول الله ﷺ ليلةً، فقال: «ألا تُصلِّيان؟!». قلتُ: يا رسول الله! إنّما أنفسنا بِيَدِ الله، فإذا شاء أنْ يَبعثَنا بَعثَنا! فانْصَرَفَ حين قلتُ ذلك، ولم يُرجِع إليَّ شيئاً، ثم سمعتُه وهو مُولٍّ يَضرِبُ فخذَهُ! وهو يقول: «﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤]»[١].

[٢٨] عن ابنِ عبّاس -رضي الله عنه-، قال: لَمّا حَضَرَت رسولَ الله ﷺ الوفاةُ، وفي البيتِ رجالٌ منهم عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه-، قال ﷺ: «هَلُمُّوا أَكْتُبُ لكم كتاباً لنْ تَضِلُّوا بعدَه»[٢]، فقال عمر -رضي الله عنه-: إنّ رسول الله ﷺ لوَجِعٌ، وعندكم القرآن، حَسْبُنا كتاب الله[٣]، فاخْتَلَفَ أهلُ البيت

---

(١) أخرجهُ البخاريُّ في «صحيحه» (١١٢٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٨١٥).

(٢) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «منهاج السُّنَّة» (٦/ ٢٣):

«وأمَّا قصة الكتاب الذي كان رسول الله ﷺ يُريدُ أنْ يَكْتُبَهُ فقد جاءَ مبيَّناً، كما في «الصحيحَيْن» عن عائشةَ -رضي الله عنها-، قالت: قال رسولُ الله في مَرضِه: «ادْعِي لي أباكِ وأخاكِ حتى أَكتُبَ كتاباً، فإنِّي أخافُ أنْ يتمنَّى مُتمنٍّ، ويقولُ قائل: أنا أَوْلَى، ويأبَى اللهُ والمؤمنون إلّا أبا بكر»».

(٣) قال شيخُ الإسلام -أيضاً- في «منهاج السُّنَّة» (٦/ ٢٤):

«وأما عمر: فاشتبه عليه هل كان قولُ النبيِّ ﷺ مِن شدّة المرض، أو كان مِن أقواله المعروفة، والمرضُ جائزٌ على الأنبياء، ولهذا قال: «مالَه؟ أهَجَر؟»، فشكَّ في ذلك، ولم يجزم بأنه هَجَر، والشكُّ جائزٌ على عُمَر، فإنه لا مَعصومَ إلّا النبيَّ ﷺ، لا سِيَّما وقد شَكَّ بشُبهة؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ كان مريضاً فلَمْ يَدْرِ أكلامهُ كان مِن وهج المرض -كما يعرض للمريض- أو كان مِن كلامه المعروف الذي يَجِبُ قبوله، وكذلك ظنّ أنه لمْ يَمُت حتّى تبيَّن أنه قد مات».

واختصمُوا، فمنهم مَن يقول: قرِّبوا يَكتُب لكم رسولُ الله ﷺ، ومنهم مَن يقول ما قال عمر -رضي الله عنه-، فلمّا أكثروا اللَّغط والاختلاف عند رسول الله ﷺ؛ قال: «قومُوا عنِّي»[1].

قال عُبَيدُ الله -الرَّاوي عن الزُّهري-: فكان ابنُ عبّاس -رضي الله عنهما- يقولُ: «إنّ الرَّزيَّة كلَّ الرَّزيّة ما حالَ بين رسول الله ﷺ وبينَ أن يَكتبَ لهم ذلك الكتاب، مِن اختلافِهم ولغطِهم»[2].

---

(١) فإنْ قلتَ: لِمَ قال ﷺ: «قومُوا عني»، ولمْ يَكتُب كتاباً لحلِّ النزاع!

قلت: إنما قال هذا تَرجيحاً للمصلحةِ والحكمةِ التي استجلبَهُما، بل لو كَتَبَ كتاباً؛ ما كان لعمر ولا غيره -رضي الله عنهم- أنْ يُقدِّموا بين يَدَي الله ورسوله ﷺ شيئاً إلّا السمع والطاعة، بل عدم الكتابة فيها مِن المِنَح والمِنَن ما الله به عليم، عَلِمَهُ مَن عَلِمَهُ، وجَهِلَهُ مَن جَهِلَه.

حتّى أنَّ شيخَ الإسلام ابن تيميَّة قال في «منهاج السُّنَّة» (٦/ ٢٥):

«فلمّا رأَى أنَّ الشكَّ قد وَقَعَ، عَلِمَ أنَّ الكتابَ لا يَرفعُ الشَّكَّ[أ].

فلَم يَبْقَ فيه فائدةٌ، وعلم أنَّ اللهَ يجمعهم على ما عَزَمَ عليه كما قال: «ويَأْبَى اللهُ والمؤمنون إلا أبا بكر».

وانظُر «منهاج السُّنَّة» (٨/ ٥٧٣).

(٢) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٤٤٣٢). =

....

(أ) فإنْ قالَ قائل: بل يَرفَعُ الشكَّ! لأنه نَصٌّ في المسألة، فيُقدَّم قول النبي ﷺ على قول غيره؟! يقال: ليسَت القضية في الكتابة أو عدمها؛ لأن عمر اشتبَهَ عليه الأمرُ، كما تقدَّم مِن كلام شيخِ الإسلام ابن تيميَّة.

فلمْ يكُنْ للكتابة في هذه الحالة فائدةٌ لِرَفْعِ الشكِّ والنزاعِ، فترَكَهُ ﷺ رَحمةً ورأفةً بالأُمَّةِ، ومضَى قدَر الله بأنَّ الخلافَ حاصلٌ لا بُدَّ منه، والله الموفِّق.

[٢٩] قال ابنُ عبّاس -رضي الله عنهما-: يوم الخميس! وما يوم الخميس؟! ثمّ بكى، حتّى بلَّ دَمعُه الحصَا، قلتُ: يا ابنَ عبّاس! وما يوم الخميس؟ قال: يوم اشتدّ برسول الله ﷺ وَجَعُهُ، فقال ﷺ: «**ايتُونِي أَكتُب لكم كتاباً لا تضلُّوا بَعْدَه أبداً**»، فتنازعوا - ولا ينبغي عند النَّبيِّ التَّنازُع- وقالوا: ما لـه؟ أهَجَرَ؟![1] استفهِمُوه، فذهبُوا يَرُدُّون عليه، فقال: «**دَعُوني، فالَّذي أنا فيه خيرٌ مِمَّا تَدعُونِي**

= قال شيخُ الإسلام في «منهاج السُّنَّة» (٨/ ٥٧٣):

«... فإنّ ذلك رَزِيّة في حقِّ مَن شَكّ في خِلافةِ الصدّيق، وقَدَحَ فيها، إذْ لو كان الكتابُ الذي هَمَّ به أمضاه، لَكانَت شُبهة هذا المرتاب تزولُ بذلك، ويقول: خلافتُه ثبتَت بالنصِّ الصريحِ الجليِّ، فلمّا لمْ يُوجَد هذا؛ كان رَزِيّةً في حقِّه، مِن غير تفريطٍ مِن الله ورسولِه، بل قد بلَّغ رسولُ الله البلاغَ المُبين، وبيَّن الأدلةَ الكثيرة الدالَّة على أنَّ الصدِّيقَ أحقُّ بالخلافةِ مِن غيرِه، وأنّه المقدَّم، وليست هذه رَزِيّة في حقِّ أهل التقوى الَّذِين يَهْتَدُون بالقرآن، وإنما كانت رزيَّةً في حَقِّ مَن في قَلبِه مَرَضٌ، كما كان نَسْخُ ما نَسَخَهُ اللهُ وإنزالُ القرآن، وانهزامُ المسلمين يومَ أُحُد، وغير ذلك مِن مصائبِ الدُّنيا رزيّةً في حقِّ مَن في قلبِه مَرَضٌ.

قال -تعالى-: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧].

وإنْ كانت هذه الأمورُ في حقِّ مَن هداهُ اللهُ ممّا يزيدهم اللهُ بِهِ علماً وإيماناً».

(١) أي: اختلفَ كلامُه بسببِ المرض، على سبيل الاستفهام؛ أي: هلْ تَغيّر كلامُه واختلطَ لأجلِ ما به مِن المرض؟ وهذا أحسنُ ما يُقالُ فيه، ولا يُجعَلُ إخباراً، فيكونُ إمّا مِن الفُحْشِ أو الهذيان، والقائل: عمر، ولا يُظنُّ به ذلك.

انظُر: «المجموع المغيث» (٣/ ٤٧٩) لأبي موسى الأصفهاني، و«النهاية» (٢/ ٨٩٤) لابنِ الأثير.

إليه»، قال: وأوصاهم عند موته بثلاث، قال: «أَخرِجوا المشركينَ مِن جزيرة العرب، وأَجيزُوا الوفدَ بنحو ما كنتُ أجيزهم»، والثَّالثة لا أدري أقالها؟! أم نسيتها(١).

[٣٠] عن كعبِ بنِ مالك، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ: «مَن طَلَبَ العلمَ لِيُجاريَ به العلماء، أو لِيُماريَ به السُّفهاء، ويَصرِفَ به وُجوهَ النّاس إليه؛ أَدْخَلَهُ اللهُ النّار»(٢).



---

(١) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٤٤٣١)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٤٢٠٨).

(٢) حَسَن. انظر «صحيح سُنَن التِّرمذيّ» (٢٦٥٤).

قال المُباركفوريُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في «تُحفة الأحوذيّ» (٧/ ٣٤٦):

«(مَن طلب العِلْمَ)؛ أي: لا لله بل (لِيُجاريَ به العلماء)؛ أي: يجريَ معهم في المُناظَرة والجدال لِيَظْهَرَ عِلمُه في النّاس رِياءً وسُمْعَةً، (أو ليماريَ به السّفهاء): جَمْعُ (السَّفيه)؛ وهو: قليلُ العقل، والمرادُ به: الجاهل؛ أي: لِيُجادِلَ به الجُهّال، والمماراةُ من (المِرْية)؛ وهي: الشّك، فإنّ كلّ واحد مِن المتحاجَّيْن يشكُّ فيما يقولُ صاحبُه ويُشكّكه ممّا يورد على حجّته، أو مِن (المَرْي)؛ وهو: مَسْحُ الحالِب لِيستنزل ما به مِن اللَّبن، فإنّ كُلًّا مِن المتناظرَيْن يستخرج ما عند صاحبه، (ويَصْرِفَ به وجوهَ النّاس إليه)؛ أيْ: يطلبُه بنيَّةِ تحصيلِ المال، والجاه، وإقبال العامّة عليه».

الباب الخامس

الأخذ بمعالي الأمور

باب فضلِ تركِ المراءِ وإن كان المماري مُحِقًّا

[٣١] عن أبي أمامة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زَعِيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنَّة: لمنْ تَرَكَ المراءَ وإنْ كان مُحِقًّا، وببيتٍ في وَسَطِ الجنَّة: لمنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإنْ كان مَازِحاً، وببيتٍ في أعلى الجنَّة: لمنْ حَسَّنَ خُلُقَه»[١].



(١) حَسَن. انظر «صحيح سُنَن أبي داود» (٤٨٠٠).

قلتُ: جاء في «عون المعبود» (١٣/ ١٩):

«(أنا زعيم)؛ أي: ضامن وكفيل، (في رَبَضَ الجنَّةَ) بفتحتين؛ أي: ما حولها خارجاً عنها، تشبيهاً بالأبنية الّتي تكون حول المدن، وتحت القلاع، (المِرَاء)؛ أي: الجدال، كسراً لِنَفْسِه؛ كَيلَا يَرْفَعَ نَفْسَهُ على خَصْمِه بظُهورِ فَضْلِه».

الباب السادس

الحذر من البدع وأهلها

باب تغليظ المصطفى ﷺ في الجدال في القرآن، وتحذيره أهله

[٣٢] عن عائشةَ -رضي الله عنها-، أنّ النّبيّ ﷺ تلا هذه الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران:٧]،قال:«هُم الّذين سمّى اللهُ، فاحذرُوهم»[1].

---

(١) أخرجهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٤٥٤٧)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٦٧١٧).

قال الحافظُ ابنُ حجر في «فتح الباري» (٨/ ٥٩) -ما صُورتُه-:

«والمرادُ: التحذير مِن الإصغاء إلى الَّذِين يَتَّبِعُون المتشابه مِن القرآن، وأول ما ظهر ذلك مِن اليهود، كما ذَكَرَهُ ابنُ إسحاق في تأويلِهم الحروفَ المُقطَّعة، وأنّ عددها بالجُمَّل: مقدار مُدّة هذه الأمة، ثُمّ أول ما ظهر في الإسلام مِن الخوارج، حتّى جاء عن ابنِ عباس أنه فَسَّر بهم الآية...».

قُلتُ:

وعلى هذا النَّسق في هذا الزَّمان: الذين يتبعون الإعجاز العددي! -زعموا-، وبعض المراهقات الفكريّة في تحديد نهاية دولة (يهود)، أو انهيار العالَم، أو خروج الدّجال، أو بعض علامات السّاعة، بنوعِ هَوَسٍ وخَلَلٍ منهجيٍّ لبعض الكُتَّاب! أو المفكِّرين! أو الدّكاترة! ولا حولَ ولا قُوّةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

ثمّ نقولُ أخيراً: الحمدُ لله الذي عافانَا ممّا ابتلاهُم به، وفضَّلَنا على كثيرٍ ممّن خَلَقَ تفضيلاً.

[٣٣] عن ابن عبّاس -رضي الله عنهما- في قولِه -تعالى-: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾؛ قال: هُم أصحابُ الخصومات والمِراء في دينِ الله.

[٣٤] عن أُبيّ -رضي الله عنه-، قال: ما استبانَ لك؛ فاعمَل به، وانتفِع به، وما شُبّهَ عليك؛ فآمِنْ به، وَكِلْه إلى عالِمِه(1).

---

(١) إسنادُه حَسَن؛ لأجل عبد الله بن عبد الرحمن، فهو حَسَن الحديث، كما قال الإمامُ أحمد.

قال العلّامةُ ابنُ القيّم في «الإعلام» (٣/ ٥٦٣) -تعليقاً على أثر أُبيّ -رضي الله عنه-:

«فهذا حقٌّ، وهو الواجبُ على من سِوَى الرسول؛ فإنّ كلّ أحدٍ بعدَ الرَّسول لا بُدّ أن يشتبه عليه بعض ما جاء به، وكلّ مَن اشتبهَ عليه شيءٌ؛ وَجَبَ عليه أن يَكِلَه إلى مَن هو أَعْلَمُ منه... فهذا هو الواجبُ علينا في كتابِ ربِّنا وسُنَّة نبيّنا وأقوال أصحابه، وقد جعل اللهُ -سبحانَهُ- فوق ﴿كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾...».

قلتُ:

ويُحتملُ أنْ يَكونَ مُراد أُبيّ بقوله: (فكِلْهُ إلى عالِمِه)؛ أي: فكِلْ عِلْمَهُ إلى الله -عز وجل-، فمُرادُه -حينئذٍ- (بما اشتبه): المتشابه المطلَق، ومرادُه بـ(عالِمِه): الله -سبحانه وتعالى-.

وهو الذي استظهرَهُ العلّامةُ الشنقيطيُّ في «أضواء البيان» (٧/ ٣٤٥ -دار الكتب العلمية).

والتّحقيق: أنَّ اللفظَ يُحمَلُ عليهما، ويُصار إليهما، ولا تعارُض بينهما، هذه طريقة الموفّقين: التوفيقُ بين النصوص، والجمعُ بين دلالاتها، والإعمال لها، وعدم الإهمال للمعاني والمباني، واللهُ الموفّق الملك المتعالي.

[٣٥] عن عبدِ الله بن مسعود-رضي الله عنه-، قال: لا تختلِفُوا في القرآن، ولا تَنازَعُوا فيه، فإنه لا يختلفُ لكثرة الرّدّ، ألَا تَرَوْنَ أنَّ شرائعَ الإسلام فيه واحدةٌ: حدودها، وفرائضها، وأمر الله فيها؟! فلو كان شيءٌ مِن الحرفَيْن يَأمُر بشيءٍ يَنْهَى عنهُ الآخرُ؛ كان ذلك اختلافاً، ولكنّه جامع ذلك كلّه.

[٣٦] عن عثمان بن حاضر، قال: سألتُ ابنَ عبَّاس -رضي الله عنهما- عن شيء، فقال: عليك بالاستقامة واتباع الأثر، وإيّاك والبدع[1].



(١) حَسَن. انظر «إعلام الموقعين» لابن القيّم (٦/ ٢٧) تحقيق شيخنا مشهور حسن.

الباب السابع

الإيمان بمحكم القرآن والثبات عند متشابهه

بابٌ في تعظيم المصطفى ﷺ الجدال في القرآن، ونهيه عنه

[٣٧] عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «المِراءُ في القُرآنِ كُفْرٌ»[١].

[٣٨] عن ابن عبَّاس -رضي الله عنهما-، قال: لا تَضربوا كتابَ الله بعضَه ببعض؛ فإنّ ذلك يُوقع الشّكَّ في قلوبكم[٢].

[٣٩] عن ابن عبَّاس -رضي الله عنهما- في قولِه -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١]؛ قال: آمَنُوا ببعضِه، وكَفَرُوا ببعضِه[٣].

[٤٠] قال سعيدُ بنُ جبير: هُم أهلُ الكتاب؛ جَزَّؤوه أجزاء، آمَنُوا ببعضِه، وكَفرُوا ببعضِه.

---

(١) حَسَنٌ صَحِيح. انظر «صحيح سُنَن أبي داود» (٤٦٠٣).

(٢) قال الإمامُ البَرْبَهارِيُّ في «شرح السُّنّة» (٩٤):

«اعلَمْ -رحِمَكَ اللهُ- أنه ما كانت زَندقةٌ قطّ، ولا كُفر، ولا شك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدِّين إلا مِن الكلام، وأهل الكلام، والجَدَل، والمِراء، والخصومة».

(٣) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٣٩٤٥) و(٤٧٠٥).

[٤١] عن عُبَيدِ بنِ سعد قال: خرج ابنُ عبَّاس -رضي الله عنهما- على رجلَيْن يَمترِيان في آية، فقال: ما امْتَرَى رجلان في آيةٍ إلا جَحَدَها أَحدُهما.

[٤٢] عن ابنِ مسعودٍ -رضي الله عنه-، قال: مَن جَحَدَ آيةً مِنهُ فقد جَحَدَهُ كُلَّه.

[٤٣] عن إياسِ بنِ عامر: أنّ عليَّ بنَ أبي طالب -رضي الله عنه- قال: إنَّك إنْ بقيتَ فستَرَى القرآنَ على ثلاثة أصناف: صنفٌ لله، وصنفٌ للدُّنيا، وصنفٌ للجدال.

[٤٤] سَمِعَ أنسُ بنُ مالك -رضي الله عنه- ابنَه عبدَ الله يُخاصمُ الأشتَر، فقال: لا تُخاصِم بالقرآن، وخاصِم بالسُّنَّة(١).

[٤٥] عن جُندُب -رضي الله عنه-، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«اقرَؤُوا القرآنَ ما ائْتَلَفَت عليه قلوبُكم، فإذا اختلفتُم فيه فقُوموا»**(٢).

---

(١) قال مُحقِّقُ «ذمّ الكلام» الشيخُ عبدُ الله الأنصاريُّ:

«ربّما يَستغرِبُ شخصٌ كيف يَنْهَى أنسٌ ابنَه عن المُخاصَمَة بالقرآن، وقد قال -تعالى- لنبيِّه: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ...﴾ [الفرقان: ٥٢]، ولكنَّ أمرَ أنس لابْنَه ليس مِن هذا الباب، وإنَّما أَرْشَدَ أنسٌ ابنَه إلى المُخاصَمَةِ بالسُّنَّة، ربَّما لأنَّه رأى أنَّ الأشتر استدلَّ على ابنِه بمتشابه القرآن، فحينئذٍ أرشدَ أنسٌ ابنَه إلى المخاصمة بالسُّنَّة، لأنَّ السُّنَّةَ موضحةٌ لِـمُشكِلِه، ومقيِّدَةٌ لِـمُطْلَقِه، ومُخصِّصةٌ لِـمُجْمَلِه، وغير ذلك.

قال -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

والأشتر؛ هو: ممّنْ خرجَ على عثمان، وألَّبَ عليه. انظُر ترجمتَهُ في «السِّيَر» (٤/ ٣٤)».

(٢) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٥٠٦٠)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٧١٩). =

[٤٦] عن يزيدِ بنِ أبي حبيب، قال: لا تُنَاظِرْ بكتابِ الله ولا بكلام رسول الله ﷺ. يقول: لا تَنْتزِع بكَلامٍ يُشْبِهُه.

[٤٧] عن عمرَ بنِ الخطّاب -رضي الله عنه-، قال: إنَّه سيأتي قومٌ يجادِلُونَكم بشُبُهات القرآن، فخذُوهم بالسُّنن؛ فإنَّ أصحاب السُّنن أَعلَمُ بكتابِ الله.

[٤٨] عن أَبِي العالية، قال: آيتان في القرآن، ما أشدَّهما على الّذين يجادلون في القرآن: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر:٤]، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ

= قال الحافظُ ابنُ حجر -شارحاً- (٨/ ٧٢٠):

«قولُه: (فإذا اختلفتُم)؛ أي: في فَهْم معانيه، (فقوموا عنه)؛ أي: تفرَّقُوا لئلّا يَتمادَى بكم الاختلاف إلى الشر.

قال عياض: يحتملُ أنْ يكونَ النهيُ خاصًّا بزمنه، لئلّا يكونَ ذلكَ سبباً لنزولِ ما يَسُوؤُهم، كما في قوله -تعالى-: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة:١٠١].

ويحتملُ أنْ يَكونَ المعنَى: اقرَؤُوا والْزَمُوا الائتلافَ على ما دَلَّ عليه وقاد إليه، فإذا وَقَعَ الاختلاف، أو عرض عارضُ شُبْهَةٍ يَقتضِي المنازعة الداعية إلى الافتراق؛ فاتْرُكوا القراءة، وتمسَّكُوا بالمُحكَم المُوجِب للأُلْفَة، وأعرِضُوا عن المتشابه المؤدِّي إلى الفُرْقة...».

قلتُ:

هذا فيما يَتَعَلَّقُ بالحقّ -كلام الله-، فكيف بالأهواء والآراء؟! أَوَليس الإعراضُ عنها مِن بابِ أَوْلَى وأَوْلَى، فضلاً عن الآياتِ، والأحاديثِ، والآثارِ الناهيةِ عن الحزبية ومع هذا أعرضَ عنها كلُّ الأحزاب والجماعات المعاصرة! ...﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢].

ولا شك أنهم في جَهْلِهم يتخبَّطون! وفي غَيِّهم غارقون!

فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة:١٧٦].

[٤٩] عن طاووس، قال: ذَكَرْتُ الخوارجَ عند ابنِ عَبَّاس -رضي الله عنهما- وقراءتَهم، فقال: «يؤمنُونَ بمُحْكَمِه، ويَهْلكون عند مُتَشابهه.

[٥٠] عن أبي إياس، قال: الجِدالُ في القرآن يُحبطُ العمل[1].

[٥١] عن سعيدِ بنِ جُبير في قولِهِ -تعالى-: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦]، قال: أهلُ الحرب ادْعُوهم، فإنْ أَبَوْا؛ فجادِلُوهم بالسَّيف[2].

[٥٢] عن مَسرُوقٍ، قال: «ما أَحَدٌ مِن أصحاب الأهواء، إلَّا في القرآن ما يَرُدُّ عليهم، ولكنَّا لا نَهتَدِي له».

---

(١) حَسَن. ولذا؛ قال معروف الكرخي -كما في «حلية الأولياء» لأبي نُعَيْم (٨/ ٣٦١)-:

«إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً؛ فَتَحَ له بابَ العَمَل، وأغلقَ عنه باب الجَدَل، وإذا أراد الله بعبدٍ شرًّا أغلق عنه باب العمل، وفتح له باب الجَدَل».

(٢) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في «الرَّد على المنطقيِّين» (١/ ٤٦٨):

«وأما الجدال فلا يُدعَى به، بل هو من باب دفع الصّائل، فإذا عارضَ الحقَّ معارِضٌ جُوْدِلَ بالتي هي أحسن، ولهذا قال: (وجادِلهم)؛ فجعلَهُ فعلاً مأموراً به مع قوله: (ادعهم)؛ فأمرَهُ بالدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمرَهُ أنْ يُجادِلَ بالتي هي أحسن، وقال في الجدال: (بالتي هي أحسن)، ولم يقل: بالحسنة، كما قال في الموعظة؛ لأنَّ الجدال فيه مدافعة ومغَاضبة فيحتاجُ أنْ يكونَ بالتي هي أحسنُ حتى يصلح ما فيه مِن الممانعة والمدافعة، والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل، فما دام الرجلُ قابلاً للحكمة، أو الموعظة الحسنة، أو بهما جميعاً؛ لمْ يَحْتَجْ إلى مجادلة، فإذا مانَعَ؛ جُوْدِلَ بالتي هي أحسن».

الباب الثامن

السنة تفسر القرآن وتبينه

بابُ إقامة الدليل على بطلان قولِ مَن زعم أن القرآن يُستغنى به عَن السُّنة

[٥٣] عن رافع قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم مُتَّكئاً على أَريكتِه، يَأتيه الأَمْرُ مِن أَمرِي، مِمّا أَمَرْتُ به أو نَهيْتُ عنه، فيقول: لا أدري، ما وَجَدْنا في كتاب الله اتَّبعناه».

وفي رواية: «لا أُلْفِيَنَّ أحدَكم مُتَّكِئاً على أَريكتِه، يأتيه الأمرُ، فيقول: لمْ أجِدْ هذا في كتاب الله»[١].

[٥٤] عن أَيّوب السّختيانيّ، أنّه قال: إذا حدَّثتَ الرَّجلَ بالسُّنَّة، فقال: دعنا مِن هذا، حَسْبُنا القرآن؛ فاعْلَمْ أَنّه ضالّ[٢].

---

(١) صحيح. انظر: «صحيح سُنَن التِّرمذيّ» (٢٦٦٤)، و«صحيح سُنَن ابن ماجه» (١٢).

(٢) قال الحافظُ أبو القاسم الأصبهاني في «الحُجَّة في بيان المحجَّة» (٢/ ٤٢٥):

«وقولُ مَن قال: تُعرَضُ السُّنَّة على القرآن؛ فإن وافقَت ظاهرَهُ وإلّا استعمَلْنا ظاهر القرآن، وتركنا الحديث، فهذا جَهْلٌ؛ لأنّ سُنَّة رسول الله ﷺ مع كتاب الله -عزّ وجلّ- تُقامُ مقام البيان عن الله -عزّ وجلّ-، وليس شيءٌ مِن سُنَن رسول الله ﷺ يُخالفُ كتاب الله؛ لأنَّ اللهَ -عزّ وجلّ- أَعْلَمَ خَلْقَه أنَّ رَسولَ الله ﷺ يهدِي إلى صراطٍ مُستقيم؛ فقال: =

[٥٥] عن أبي قِلَابَة، قال: إذا حدَّثتَ الرّجلَ بالسُّنّة، فقال: دَعْ ذا، وهاتِ كتاب الله! فاعلَمْ أنّه ضالّ[(١)].

[٥٦] عن يحيى بنِ أبي كثير، قال: السُّنَّة قاضيةٌ على الكتاب، وليس الكتابُ بقاضٍ على السُّنّة[(٢)].

[٥٧] عن أيّوب السختياني، قال: إذا سمعتَ أحدَهم يقول: لا نُريدُ إلّا القرآن؛ فذاك حين تُرِكَ القرآن.

[٥٨] عن الفضلِ بنِ زياد، قال: سمعتُ أحمدَ بنَ حنبل، وسُئِلَ عن الحديث الّذي روي: «**أنّ السُّنّة قاضيةٌ على القرآن**»؟ فقال: ما أجْسُرُ على هذا،

= ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى:٥٢]، وليس لنا مع سُنَّة رسول الله ﷺ مِن الأمرِ شيءٌ إلا الاتباع والتسليم، ولا تُعرض على قياس ولا غيره، وكل ما سواها مِن قول الآدميّين تَبَعٌ لها، ولا عُذْرَ لأحدٍ يتعمَّد تَرْكَ السُّنَّة، ويذهب إلى غيرها، لأنّه لا حُجَّةَ لقولِ أحدٍ مع قول رسول الله ﷺ إذا صحّ».

(١) صحيح. قال الإمام الذّهبيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٧٢):

«وإذا رأيتَ المتكلِّم المُبتدِع يقولُ: دعنا مِن الكتاب والأحاديث، وهات العقل؛ فاعْلَم أنّه أبو جهل، وإذا رأيتَ السالكَ التّوحيديَّ يقولُ: دَعْنَا مِن النّقل ومِن العقل، وهات الذّوق والوَجْد، فاعلَمْ أنّه إبليس؛ قد ظَهَرَ بصورةِ البشر، أو قد حلَّ فيه، فإن جَبُنْتَ منه فاهرب، وإلّا فاصرَعْهُ وابرك على صَدره، واقرَأْ عليه آيةَ الكرسي واخنقه».

(٢) صحيح. قال الإمامُ البيهقيُّ: «ومعنى ذلك: أنَّ السُّنَّة مع الكتاب أقيمَت مقامَ البيان عن الله، كما قال -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]، لا أنّ شيئاً مِن القرآن يُخالف السُّنَّة». انظر «سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ١٣٥).

ولكنّ السُّنّة تفسِّرُ القرآن وتُبيِّنُه[١].

[٥٩] قال مَكْحُول: القرآنُ إلى السُّنّة أحوجُ مِن السُّنّة إلى القرآن[٢].

[٦٠] عن حسّان بنِ عطيّة، قال: كان جبريل -عليه السلام- يَنزِلُ بالقرآن والسُّنّة.

وزاد في روايةٍ: ويُعلِّمه إيَّاها كما يُعلِّمُه القرآن[٣].

[٦١] عن ابنِ أبي أُوَيْس، قال: كان خالي مالك لا يُحدِّث حديثَ رسولِ الله ﷺ إلَّا على طهارة.

[٦٢] عن قتادة بن دِعامة، قال: لقد كان يُستحَبُّ ألّا تُقرأ الأحاديثُ عن النّبيّ ﷺ إلّا على الطَّهارة.

[٦٣] عن مُجاهد في قولِه -تعالى-: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[النساء:٥٩] قال: إلى كتابِ الله وسنَّة رسولِه.

زاد إسماعيل: ثمَّ قرأ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ...﴾ -الآية- [النساء:٨٣].

---

(١) انظر «المسائل» لأبي داود (٢٧٦).

(٢) صحيح.

(٣) أَثَرٌ صحيحٌ موقوف. ولِـمَا قالَهُ أصلٌ في المرفوع، كما قال الحافظُ ابنُ حَجَر في «موافقة الخُبر الخَبر» (٢/ ٣٢٣).

[٦٤] عن مجاهد: «وأُولُو الأمر: هُم العلماء وأهلُ الفقه[١].

[٦٥] عن مَيْمُون بنِ مِهْرَان في قولِه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء:٥٩]؛ قال: إلى كتاب الله، والرّدُّ إلى رسول الله ﷺ -إذا قُبِضَ- إلى سُنَّتِه[٢].

[٦٦] عن محمّد ابن الحنفيّة، قال: حرف وأيُّما حرف: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

[٦٧] عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَة، قال: أدَّبَ اللهُ رسولَه، حتى إذا عقل عنه؛ فَوَّضَ إليه الأمرَ، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾» [النساء:٨٠].

[٦٨] عن المعتمر بنِ سليمان، يقول: سمعتُ أبي يقول: أحاديث النَّبيّ عندنا كالتّنزيل.

قال أبو موسى: يعني في الاستعمال؛ يستعمل سُنّة رسول الله ﷺ كما يستعمل كلام الله -عزّ وجلّ-[٣].

---

(١) صحيح. انظُر «سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ٣٤) لآل زهوي.

(٢) حَسَن. انظر «سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ٢٢٠).

قال العلّامةُ ابنُ القيِّم في «الإعلام» (٢/ ٩٢): «إنّ الناسَ أجمعُوا أنّ الرّدَّ إلى الله -سبحانه- هو الرّد إلى كتابه، والرّد إلى الرسول ﷺ هو الرّد إلى نَفْسِه في حياتِه، وإلى سُنَّتِه بعدَ وفاتِه».

(٣) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «جواب الاعتراضات المصريّة» (٤): =

[٦٩] عن محمّدِ بنِ عبدِ الوهّاب، قال: قلتُ لعليِّ بنِ عثّام: رَجُلٌ يقول: ليس في حديث رسول الله ﷺ فِقْه! فقال: هذا فاجر، فأين الفقه وأين الخير إلّا فيه؟!.

[٧٠] عن الحميديّ، قال: والله لأَنْ أَغْزُوَ هؤلاء الّذين يَرُدُّونَ حديثَ رسول الله ﷺ أحبّ إليّ مِنْ أَنْ أغزوَ عِدّتهم مِن الأتراك[1].

[٧١] عن أحمدَ بنِ سنان قال: «ليسَ في الدّنيا مُبتدِعٌ إلّا وهو يبغض أهل الحديث، وإذا ابتدعَ الرّجلُ بدعةً نُزعَت حلاوةُ الحديثِ مِن قَلْبِه»[2].

= «وإنما الحديثُ مع القرآن بمنزلة الحديث مع الحديث الموافق له، والآية مع الآية الموافِقة لها، وبمنزلة موافقة القرآن للتوراة، حتى قال النّجاشيُّ لـمّا سَمِعَ القرآن قال: إنّ هذا والذي جاء به موسى لَيَخْرُجُ مِن مِشكاةٍ واحدة.

وكذلك قال ورقة بن نوفل لـمّا ذَكَرَتْ له خديجةُ أَمْرَ النبيِّ ﷺ قال: هذا الناموس الذي كان يأتي موسى».

(١) يَشهدُ لمعناه ما وَرَدَ عن أبي سعيدِ الخُدْرِيّ في «المُسنَد» (١١٢٨٥) وغيره.

(٢) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «دَرْء تعارُض العقل والنقل» (١/ ٢٢١):

«فلا تجدُ قطّ مُبتدِعاً إلّا وهو يُحِبُّ كتمان النُّصوص الّتي تُخالِفُهُ ويبغضها! ويبغض إظهارَها وروايتَها والتّحدُّث بها! ويبغض مَن يفعل ذلك، كما قال بعض السّلف: ما ابْتَدَعَ أَحَدٌ بِدعةً إلّا نُزِعَتْ حلاوةُ الحديث مِن قَلْبِه».

وقال العلّامةُ ابنُ القيِّم في «الرّسالة التبوكيّة» (٢٦):

«فسبحان الله! كم مِن حزازة في قُلوب كثيرٍ مِن النّاس مِن كثيرٍ مِن النُّصوص، وبودّهم أنْ لو لمْ تَرِد؟! وكم مِن حرارة في أكبادهم منها؟! وكم مِن شجى في حُلوقِهم من موردها؟!».

[٧٢] عن حمدانَ بنِ سهل، قال: لو كنتُ قاضياً؛ لَحَبَسْتُ كِلَا الفريقين: رَجُلاً يَطلُبُ الحديثَ ولا يَطلُب الفِقه، ورَجُلاً يَطلُب الفقه ولا يَطلُب الحديث!

[٧٣] عن أبي نَصْر بنِ سَلَام قال: ليس شيءٌ أَثْقَلَ على أهل الإلحاد، ولا أَبْغَضَ إليهم مِن سماع الحديث، وروايتِه بإسناده(١).

[٧٤] عن الحسينِ بنِ حرب، عن الحسين بنِ بشر الأدمي، قال: قال لي: يا حسين: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ [غافر:٧٠] ما هو بَعدَ الكتاب؟ قلتُ: السُّنَّة. قال: صَدَقْتَ، كان جبريلُ يختلفُ إلى رسول الله ﷺ بالسُّنَّة كما يَختلِفُ إليه بالكتاب(٢).

[٧٥] عن محمَّدِ بنِ إسماعيل التِّرمذيّ، قال: كنتُ أنا وأحمد بن الحسن التِّرمذيّ عند أحمدَ بنِ حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله! ذَكَرُوا لابنِ أَبِي قُتَيْلَة بمكّة أصحابَ الحديث، فقال: قوم سوء! فقام أحمد أبو عبد الله وهو يَنفُضُ ثوبَه، فقال: زنديق! زنديق! زنديق! ودخل بيتَه.

---

(١) صحيح. انظُر «سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ٣٠٨).

(٢) قلتُ: ممّا لا شَكّ فيه أنّ الوحيَ وحيان، وكلاهما نَزَلَ مِن عند الله، كما قال -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، وهذا نَصٌّ صريحٌ في أنّ النبيَّ أُنزِلَ عليه القرآنُ وكُلِّف بوظيفة البيان، وهذا البيانُ هو السُّنّة المُطهَّرة -وهي الوحي الثاني- الذي أُنزِلَ على قلب النّبيِّ ﷺ، وهما ما كان يُتلَى في بيوت النّبيِّ، كما قال -تعالى-: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب:٣٤] كما صَحَّ عن قتادة وغيره في تفسير هذه الآية -والله تعالى أعلم-.

[٧٦] عن الزُّهْرِيّ، قال: لا يُحِبّ الحديثَ مِن الرّجال إلّا ذُكرانُها، ولا يَكرَهُه إلّا إناثُها.

[٧٧] عن عليِّ بنِ أبي طالب، قال: إذا حُدِّثتُم عن رسولِ الله ﷺ حديثاً، فَظُنُّوا برسول الله أَهنَاه وأَهدَاه وأَتْقاه[1].

[٧٨] قال سعيدُ بنُ جبير: قَلَّ ما بَلَغَنِي عن رسول الله ﷺ حديثٌ إلّا وجدتُ مِصداقه في كتاب الله -عز وجل-.

[٧٩] عن ابنِ مسعود، قال: يا أيّها النّاس! إنّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً بالحقِّ، وأَنزلَ عليه القرآن، وفَرَضَ عليه الفرائض، وأمرَه أن يُعلِّم أمَّته، فبلَّغَ رسالتَه، ونَصَحَ لأمّتِه، وعلَّمهم ما لمْ يكونوا يَعلَمُون، وبيَّنَ لهم ما يَجهلون، فاتَّبِعُوه، ولا تَبْتَدِعوا، فقد كُفِيتُم؛ كُلّ مُحدَثَةٍ بِدعة، وكلّ بِدْعَةٍ ضَلالة.

[٨٠] عن الأوزاعيِّ وأرطأة، قالَا: «ما قال رسولُ الله: لا تفعلوا كذا وكذا؛ فهو الحرام، وهو النّهي.

[٨١] عن أبي نضرة، قال: كُنّا عند عمران بن حصين-رضي الله عنه-، فجعلَ يُحدِّثنا، فقال رَجلٌ: حَدِّثنا عن كتاب الله، فغضِبَ عمران! وقال: إنّك أحمق، ذَكَرَ اللهُ الزَّكاةَ في كتابِه؛ فأين: في مئتين خمسةُ دراهم؟! وذَكَرَ اللهُ الصّلاةَ في كتابِه، فأين: الظُّهر والعصر أربعاً؟! حتى أَتى على الصّلوات، ذَكَرَ الله الطَّوافَ في كتابه؛ فأين: بالبيتِ سَبعاً، وبالصَّفا والمروة سبعاً؟! إنَّما يُحكَمُ ما

(١) صحيح. انظُر «صحيح سُنَن ابن ماجه» (٢٠) لشيخنا الألباني.

هناك وتُفَسِّر السُّنّة[١].

[٨٢] عن عُروةَ بنِ الزّبير، أنّه قال: أَتَى بالحديث الذين أَتَوْنَا أنَّ صلاةَ الظُّهر أربعاً، والعصر أربعاً، والمغرب ثلاثاً، فصدَّقناهم كما صَدَّقناهم في الصّلاة، ولمْ نَرَ رسول الله ﷺ، أفتكفُر بهذا؟!

[٨٣] عن عِمرانَ بنِ حُصَين: أنّهم كانوا يتذاكرون الحديث، فقال رجل: دَعُونا مِن هذا، وجِيئُونا بكتاب الله. فقال عِمران: إنّك أحمق! أَتجدُ في كتاب الله الصّلاةَ مفسَّرةً؟! أتجِدُ في كتاب الله الصّومَ مُفسَّراً؟! إنّ هذا القرآن أَحْكَمَ ذلك، والسُّنَّة تُفسِّر ذلك[٢].

[٨٤] عن جابر، قال: كان القرآنُ يَنزِلُ على رسول الله ﷺ، ويُبيِّنه لنا كما أَمرَهُ اللهُ، قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة:١٨-١٩]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤][٣].

---

(١) حَسَن.

(٢) حَسَن. انظُر «المُوافَقات» (٤/ ٣٤٤).

(٣) قال شيخُنا الإمامُ الألبانيُّ في تفسير آية النَّحل كما في «منزلة السُّنّة في الإسلام» (٤): «... والذي أَراهُ أنَّ هذا البيانَ المذكورَ في هذه الآيةِ الكريمةِ يَشْتَمِلُ على نوعَيْن مِن البيان:

الأول: بيان اللّفظ ونظمه؛ وهو: تبليغُ القرآن، وعدمُ كتمانه، وأداؤُه إلى الأُمّة كما أنزلَهُ اللهُ -تبارك وتعالى- على قَلْبِه ﷺ، وهو المرادُ بقوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ =

[٨٥] عن أيُّوب، قال: قال رجل لِمُطَرِّف: إنّا نُريد كتاب الله، فقال مُطَـرِّف: إنَّا لا نُريد بكتاب الله بدلاً، ولكنْ نريد مَن هو أَعلَمُ به مِنَّا(١).

[٨٦] قـال عبـدُ الله بـنُ مـسعود -رَضِيَ الله عنـه-: لَعَـنَ اللهُ الوَاشِـمَاتِ والمتوشِّماتِ(٢) والمتفلِّجاتِ للحُسنِ(٣) المغيِّراتِ خلقَ الله. فَبَلَغَ ذلكَ امـرأةً مـن

=مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]، وقد قالَت السيدةُ عائشةُ -رضي الله عنها- في حديثٍ لها: «ومَن حدَّثكُم أنّ مُحمَّداً كَتَمَ شيئاً أُمِر بتبليغِه؛ فقد أَعْظَمَ على الله الفرية. ثمّ تَلَت الآيةَ المذكورة». أخرجه الشيخان.

وفي روايةٍ لمسلم: «لو كان رسولُ الله ﷺ كاتماً شيئاً أُمِرَ بتبليغِه لَكَتَمَ قَوْلَهُ -تعالى-: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[الأحزاب:٣٧]».

والآخر: بيان معنى اللّفظ، أو الجُملة، أو الآية الذي تحتـاج الأمـة إلى بيانـه: وأكثـرُ مـا يكونُ ذلك في الآيـات المُجمَلـة، أو العامّـة، أو المُطلَقـة، فتـأتي الـسُّنّة، فتوضِّـحُ المُجمَـل، وتُخصِّص العامّ، وتقيِّدُ المطلق، وذلك يكونُ بقولِه ﷺ كما يكونُ بفعلِه وإقراره».

(١) صحيح.

(٢) قُلتُ: قال العلّامةُ النَّوويُّ في «المنهاج» (١٤/ ٣٣٢):

«أمّا (الواشِمةُ)؛ ففاعلة (الوشم)؛ وهي: أنْ تفـرز إبـرة أو مِـسَلّة أو نحوهـا في ظَهْـر الكَفّ، أو المِعْصَم، أو الشّفة، أو غير ذلك مِن بَدَن المرأة، حتّى يسيلَ الدّم، ثم تَحْشُو ذلـك الموضع بالكحل أو النّورة، فيخضرّ،... وفاعِلَة هذا (واشِمة)،... والمفعول بها (موشومة)، فإنْ طَلَبَت فعـلَ ذلـك بهـا فهـي (مُـستوشِمَة)، وهـو حـرامٌ عـلى الفاعلـة، والمفعـول بهـا باختيارِها، والطّالبة له، وقد يُفعلُ بالبنت وهي طِفلة، فتأثَم الفاعِلة، ولا تأثَم البنت؛ لِعَـدَم تكليفها حينئذٍ» -بتصرُّف يسير جدًّا-.

(٣) وقال النَّوويُّ أيضاً في «المنهاج» (١٤/ ٣٣٢): =

بني أَسَدٍ، يُقالُ لها: أُمُّ يعقوبَ، كانت تقرأُ القرآنَ، فأَتَتْهُ، فقالتْ: ما حَدِيثٌ بَلَغَنِي عنك أنّكَ لعنتَ الوَاشِماتِ، والمتوشِّماتِ، والمتفلِّجاتِ للحُسنِ، المغيِّراتِ خَلْقَ اللهِ؟! فقال عبدُ اللهِ: وما لِيَ لا أَلْعَنُ مَن لَعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو في كتابِ اللهِ؟! فقالتْ: لقد قرأتُ القرآنَ بين لَوْحَيِ المصحفِ، فما وجدتُ هذا! فقال عبدُ اللهِ: لَئِنْ كُنْتِ قرأتِيهِ قد وجدتيه. ثم قرأ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧] الآية، فقالتْ: إنّي أرى شيئاً من هذا الآن على امرأتِكَ، قال: فاذهبي فانظُرِي. فدخلَت على امرأته، فلمْ تَرَ شيئاً، فجاءَت إليه، فقالتْ: ما رأيتُ شيئاً، فقال: أما لو كان شيءٌ مِن ذلك لمْ نُجامِعْها[1] -معناه: لم نجتمع معها في البيت-.

[٨٧] عن عبدِ الرحمن بنِ يزيد، قال: لقيَ عبدُ اللهِ رَجُلاً مُحْرِماً عليه ثيابه، فقال: انزِعْ عنك هذا. فقال الرّجل: تقرأُ عليَّ بهذا آيةً مِن كتاب الله -عز وجل- ؟ قال: نعم، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[الحشر:٧]. فقال الرّجل: لقد أكثَرُوا على رسول الله ﷺ.

[٨٨] عن الرّبيع، قال: سُئل الشّافعيُّ: بأيِّ شيءٍ يَثبُت الخبر؟ فقال: إذا حدَّثَ الثّقة عن الثّقة حتّى ينتهيَ إلى رسول الله ﷺ، ولا يُتْرَك له حديثٌ أبداً إلّا

= «وأمّا (المتفلِّجات)؛ المراد: مفلجات الأسنان بأنْ تبرد ما بين أسنانها... وهو من الفلج... وهي فُرْجَةٌ بين الثّنايا والرُّباعيّات، وتَفْعَلُ ذلك العجوزُ ومَن قاربَتْها في السِّنّ إظهاراً للصَّغير حسن الأسنان» -بتصرُّف يسير جدًّا-.

(١) مُتَّفقٌ عليه. أخرجَه البخاريّ في «صحيحه» (٤٨٨٦)، ومسلم في «صحيحه» (٥٥٣٨).

حديث واحد يُخالِفُه حديث، فيُذْهَبُ إلى أثبت الرِّوايتين، أو يكون أحدهما منسوخاً، فيُعمل بالنّاسخ، وإن تكافآ ذُهب إلى أشبههما بكتاب الله، وسنّة نبيِّه فيما سواهما، وحديث رسول الله ﷺ مُسْتَغْنٍ بنفسِه، وإذا كان يُروَى عمَّن دُونَه حديث يُخالِفُه؛ لمْ أَلْتَفِتْ إليه، وحديثُ رسول الله ﷺ أَوْلَى، ولو علم مَن روَى عنه خلاف سُنَّة رسول الله ﷺ اتّبِعْها إن شاء الله[1].

[٨٩] قال أبو جعفر الطَّحاوي في حديث النّبيّ ﷺ: «**لأقضينَّ بينكما بكتاب الله، أمّا غَنَمُك وجاريتُك فَردٌّ عليك**»[2]:

يعني بكتاب الله -والله أعلم-: حُكْم الله، وإن كان ليس منصوصاً في كتاب الله؛ لأنَّا إنّما قَبِلنا حُكمَ رسول الله ﷺ بكتاب الله؛ لأنَّ الله -تعالى- قال لنا فيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر:٧]، فإذا كان بكتاب الله؛ وَجَب قَبول حُكْمه، فإنَّ كلّ حُكمٍ حَكَمُه فهو بكتاب الله، وإنْ كان ذلك الحُكْم ليس منصوصاً في كتاب الله.

[٩٠] عن الشَّافعيّ أنّه كان يقول بمكّة: سلوني عمّا شئتُم أحدّثكم مِن كتاب الله وسُنّة نبيِّه. فقال له رجل: يا أبا عبد الله! ما تقول في مُحرِمٍ قَتَل زُنْبوراً[3]؟ قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[الحشر:٧]، وعن حذيفة، قال:

---

(١) صحيح. انظر «الإعلام» لابن القيّم (٤/ ٤١) تحقيق شيخنا مشهور حسن.

(٢) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٢٦٩٥-٢٦٩٦)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٤٤١٠).

(٣) الزُّنبور: نوعٌ مِن الذُّباب لَسَّاع.

قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللَّذين مِن بعدِي: أبي بكرٍ وعُمر»[1]، وعن عمر: أنّه أمرَ بقتل الزُّنبور[2].

---

(١) صحيح. انظُر «صحيح الجامع» (١١٤٢).

قلتُ: بناءً على ما تقدّم مِن كلام السَّلَف يَتحَرَّر ويَتقَرَّر أنّه لا انفكاك بين القرآن والسُّنّة في وَجْهٍ مِن الوجوه، وعليه؛ فالسُّنّة مع القرآن على ثلاثة أوجُه، وبذا تَجتمعُ الأقوال المتقدِّمة.

لذا؛ قال العلاّمةُ ابنُ القيِّم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في «إعلام الموقعين» (٤/ ٨٤): «والسُّنّة مع القرآن على ثلاثة أوجُه:

أحدها: أنْ تكونَ مُوافقةً له مِن كلِّ وجه؛ فيكون تَوارُدُ القرآن والسُّنّة على الحُكْمِ الواحدِ مِن باب تَوارُد الأدلّة وتَظافُرها.

الثاني: أنْ تكونَ بياناً لما أُريدَ بالقرآن، وتَفسيراً له.

الثالث: أنْ تكونَ مُوجِبَةً لِحُكْمٍ سَكَتَ القرآنُ عن إيجابِه، أو مُحرِّمةً لِمَا سَكَتَ عن تحريمِه.

ولا تَخرُجُ عن هذه الأقسام، فلا تُعارِض القرآنَ بوجهٍ ما، فما كان منها زائداً على القرآن فهو تشريعٌ مُبتدَأٌ مِن النَّبيِّ ﷺ تَجِبُ طاعتُه فيه، ولا تحلُّ مَعصيتُه، وليس هذا تقديماً لها على كتاب الله، بل امتثالٌ لِمَا أَمَرَ اللهُ به مِن طاعةِ رسولِه، ولو كان رَسولُ الله ﷺ لا يُطاع في هذا القسم لمْ يَكُن لطاعتِه معنى، وسقطَت طاعتُه المختصَّة به، وإنّه إذا لمْ تَجِبْ طاعتُه إلا فيما وافقَ القرآنَ لا فيما زاد عليه؛ لمْ يكنْ له طاعةٌ خاصةٌ تختصّ به وقد قال اللهُ -تعالى-: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]».

(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١/ ٣٦٢).

الباب التاسع

العصمة للشريعة الغراء

باب التغليظ في معارضة الحديث بالرأيِ

[٩١] عن الحسن، قال: لَـمَّا اسْتُخْلِفَ أبو بكر تكلَّم بكلام، والله ما تكلَّم به أحدٌ مِن بعده، فقال:

«يا أيُّها النّاس! إنّكم تُكلِّفونني أن أعمل فيكم بعمل رسول الله ﷺ، وإنّ اللهَ كان يعصم نبيّكم ﷺ بالوحي، والله لوددتُ أنّكم كفيتُموني، فتَعاهَدُوني، فإنْ زغتُ فقَوِّموني[1]، وإنِ استقمتُ فاتّبعوني، ولِيَ شيطانٌ يَعتريني، فإذا اعتراني

(١) قال الحافظُ ابنُ كثير -تَعليقاً على هذا الأثر- «في البداية والنِّهاية» (٥/ ٢٤٨): «وهذا إسنادٌ صحيحٌ».

وقال: «فقوله -رضي الله عنه-: (وُلِّيتُكم، ولَستُ بخيرِكم)؛ مِن باب الهضم والتَّواضع، فإنّهم مُجمِعون على أنّه أفضلُهم وخيرُهم».

قلتُ: الدّليلُ على ذلك: الرِّوايةُ الأخرى، وفيها أنّه قال -رضي الله عنه-: (أمّا بَعدُ: أيّها النّاس! فإنّي قد وُلِّيتُ عليكُم، ولستُ بخيرِكم، فإنْ أَحسَنتُ؛ فأعينُوني، وإنْ أَسأتُ فقَوِّموني)».

وقولُه -رضي الله عنه- لا شكَّ مِن باب التّواضع وهَضْم النفس، وإلّا فهو الذي يُقوِّمهم لا هُم، لأنّه -رضي الله عنه- له السَّمعُ والطاعة، وهو مَن هو في الدّرجة والمنزلة، ومع هذا؛ فهو السّلطان الّذي ينزع الله به ما لا ينزع بالقرآن، فكيف يَسْتَدِلُّ بهذا الخوارج=

فاجتَنِبُوني، لا أُوثر في أشعاركم وأبشاركم، فتعاهَدُوني بأنفسِكُم. فقال رَجُلٌ: يا أبا سعيد! ما كان يستطيع أن يعمل بعمل رسول الله ﷺ سَنَةً؟ فقال الحسن: لا

=وأفراخهم في هذا الزّمان على جواز -بل وُجوب- الخروج على الحكّام الظَّلَمَة، فإذا بهم يأخذون المتشابه، ويَرُدُّون المُحكَم.

ولِذا؛ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة -رَحِمَهُ اللهُ- في «منهاج السنة» (٨/ ٢٧٢- دار قرطبة): «فهذا مِن كمال عَدْلِه وتقواه، ووجبٌ على كلِّ إمامٍ أنْ يَقتديَ به في ذلك، وواجبٌ على الرّعية أنْ تُعامِلَ الأئمةَ بذلك، فإن استقامَ الإمامُ؛ أعانوه على طاعةِ الله -تعالى-، وإنْ زاغَ وأخطأَ؛ **بَيَّنُوا له الصّوابَ ودلُّوه عليه**، وإنْ تعمَّد ظُلماً؛ مَنَعُوه منه بحَسَب الإمكان، فإذا كان مُنقاداً للحقِّ كأبي بكر؛ فلا عُذْرَ لهم في تَرْكِ ذلك، وإنْ كان لا يُمكِنُ دَفْع الظُّلم إلّا بما هو أَعظم فساداً منه؛ لمْ يَدْفَعُوا الشّرَّ القليلَ بالشّرِّ الكثير».

قُلتُ:

إذَن؛ معنى (قوّموني)؛ أي: بَيِّنوا لي الصّواب ودلّوني عليه، وليس معناه: اخْرُجوا عليَّ، هذا الّذي يَتّفقُ مع أحاديث النّبيِّ ﷺ في السّمع والطّاعة للأمير في المَكْرَه والمنشط، والعسر واليسر، والأثرة علينا، لكنْ مع النّصيحة له بالتي هي أحسن للّتي هي أقوم؛ كما قال ﷺ **«مَن أراد أنْ يَنصحَ لِذِي سلطان؛ فلا يُبْدِه علانيةً، ولكنْ يَأخُذ بيدِه، فيخلُو به، فإنْ قَبِلَ منه فذاكَ، وإلّا كان قد أدّى الذي عليه»**.».

انظُر «ظلال الجنة» (١٠٩٦) لشيخنا الألباني -رَحِمَهُ اللهُ-.

فلَفْظَة (سلطان) نَكِرَة في سياق الشّرط، فتَعُمُّ، فالمعنى (لكل سلطان)، فلا فَرْقَ بين سلطانٍ وسلطان.

وعليه؛ فكلُّ مَن أراد النُّصْحَ على خلاف ذلك فهو مُشَاقٌّ للرَّسول ﷺ، وهذا مذهب الخوارج، ولا حول ولا قوّة: إلّا بالله العظيم.

والله، ولا يوماً واحداً».

[٩٢] عن مَسروقٍ، قال: كتبَ عُمَرُ بالقضاء، قال: فكتبتُ هذا: ما أرَى اللهُ عمرَ. فقال عمر: امْحُهُ! واكتُبْ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما رأى عُمَرُ، فإن يَكُ صواباً، فمِن الله، وإنْ يَكُ خطأً، فمِن عُمَر.

[٩٣] عن عُمرَ بنِ الخطّاب -رضي الله عنه-، أنّه قال: إنّ أصحاب الرّأي أعداء السُّنّة، أَعْيَتْهُم الأحاديث أنْ يَحفظُوها، وتفلّتَتْ منهم فلَم يَعُوها، واسْتَحْيَوا حين سُئِلوا أن يقولوا: لا عِلْمَ لنا! فعارَضُوا السُّنن برأيهم، إيّاك وإيّاهم»[١].

[٩٤] قال عمرُ بنُ الخطّاب -رضي الله عنه- : لأَنْ أسمع في ناحية المسجد بنار تَشتعِلُ أحبُّ إليَّ مِن أنْ أسمعَ فيه ببِدعةٍ ليس لها مُغيِّر.

[٩٥] عن عبد خير، قال: رأيت عليّ بن أبي طالب يَمسَحُ على ظهور قدميه، يقول: لولَا أنّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَمْسَحُ ظهورَهما لَظَنَنْتُ أنَّ بُطونهما أحقُّ[٢].

---

(١) صحيح. كما قال الحافظ ابن القيّم في «الإعلام» (٢/ ١٠٣).

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة في «دَرْء التعارُض» (١/ ١٩٤): «واعْلَم أنَّ أهلَ الحقِّ لا يَطعنون في جِنس الأدلة العقلية، ولا فيما علم العقل صحته، وإنما يطعنون فيما يدَّعى المعارِضُ أنّه يُخالف الكتابَ والسُّنّة، وليس في ذلك -ولله الحمد- دليلٌ صحيحٌ في نفس الأمر، ولا دليل مقبول عند عامة العقلاء، ولا دليل لم يُقْدَح فيه بالعقل».

(٢) صحيح. انظُر «صحيح سُنَن أبي داود» (١٦٤). =

[٩٦] عن سهل بن حنيف، قال: يا أيّها النّاس! اتّهِمُوا رأيكم، فلقد رأيْتُنا مع رسول الله ﷺ يومَ أبي جَنْدَل ولو نستطيع أَنْ نردَّ على رسول الله ﷺ أَمْرَه لَرَدَدْناه، وايْمُ الله! ما وَضَعْنا سُيوفَنا على عواتِقِنا منذ أَسلَمْنا لِأَمْرٍ يفظعنا إلّا أَسْلَمَت بنا إلى أَمْرٍ نَعرِفُه، إلّا هذا الأمر، واللهِ ما نسدُّ منه خصماً إلّا انفتح علينا منه خصمٌ آخَر(١).

[٩٧] عن ابن عبَّاس -رضي الله عنه- قال: إيّاكم والرّأي؛ فإنَّ الله ردَّ على الملائكة الرّأيَ؛ قال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال لنبيِّه ﷺ:

= قلتُ: وهو القائل: (لو كان الدِّينُ بالرّأي؛ لَكانَ أسفلُ الخُفِّ أَوْلَى بالمسح مِن أعلاه).
قال الدّهلويُّ في «حُجّة الله البالغة» (١/ ٤٠٠) -مُعلِّقاً-:
«لـمّا كان المسحُ إبقاءً لنموذج الغسل لا يُراد منه إلّا ذلك، وكان الأسفلُ مظنةً لتلويث الخُفَّيْن عند المشي في الأرض كان المسحُ على ظاهرِهما دونَ باطنهما مَعقولاً موافقاً بالرّأي، وكان -رضي الله عنه- مِن أعلَمِ الناس بِعِلْمِ معاني الشرائع كما يَظهرُ مِن كلامِه وخُطَبِه، لكنْ أرادَ أنْ يَسدّ مدخلَ الرأي، لِئَلّا يُفسِدَ العامةُ على أَنفُسِهم دِينَهم».

(١) أخرجهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٧٣٠٨)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٤٦١٠) نحوه.
قال الحافظُ ابنُ حجر في «الفتح» (٨/ ٤٥٣) -ما نَصُّه-:
«قولُه (... اتهموا أنفسكم)؛ أيْ: في هذا الرأي؛ لأنّ كثيراً منهم أَنْكَرُوا التحكيمَ وقالوا: لا حُكْمَ إلّا لله، فقال عليٌّ: (كلمةُ حقٍّ أُرِيدَ بها باطل)، وأشارَ عليهم كبارُ الصحابة بمُطاوَعة عليّ، وأنْ لا يُخالَف ما يُشير به؛ لِكَوْنِهِ أعلمَ بالمصلحة، وذَكَرَ لهم سهل بن حنيف ما وَقَعَ لهم بالحديبية، وأنهم رأوا يَومئذٍ أنْ يَستمرُّوا على القتال، ويُخالفوا ما دعُوا إليه مِن الصُّلح، ثمّ ظَهَرَ أنّ الأصلح هو الذي كان شَرَعَ النّبيُّ ﷺ فيه».

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩]، ولم يَقُل: بما رأيتَ.

[٩٨] عن طاووس، أنّه سأل ابنَ عبَّاس عن الرَّكعتين بعد العصر؟ فنهاه عنهما، قال: فقلت: ما أَدَعْهُما! فقال ابن عبَّاس: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

[٩٩] عن ابن عبّاس -رضي الله عنه-؛ قال: مَن أَحْدَثَ رأياً ليس في كتاب الله، ولمْ تَمْضِ به سُنّةٌ مِن رسول الله ﷺ، لمْ يَدْرِ على ما هو منه إذا لَقِيَ الله.

[١٠٠] عن جابر بن زيد، أنّ ابنَ عمر لَقِيَهُ في الطَّواف، فقال له: يا أبا الشّعثاء! إنّك مِن فقهاء البصرة؛ فلا تُفتِ إلّا بقرآنٍ ناطِق، أو سُنّةٍ ماضِيَة، فإنّك إنْ فعلتَ غير ذلك؛ هَلَكْتَ وأهلَكْتَ.

[١٠١] عن أبي نضرة، قال: قرأ أبو سعيد: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾[الحجرات:٧] فقال: هذا نبيُّكم وخيار أُمَّتكم لو أطاعهم في كثيرٍ مِن الأمر لَعَنِتُوا، فكيف بكم اليوم؟!

[١٠٢] قال ابنُ مسعود: إيّاكم و(أرأيت أرأيت؟!)؛ فإنّما هَلَكَ مَن كان قَبْلَكُم بـ(أرأيت أرأيت؟!)، ولا تقيسوا شيئاً بشيءٍ، فتَزِلَّ قَدَمٌ بعدَ ثُبوتِها، وإذا سُئِلَ أحدُكم عمّا لا يدري، فلْيَقُل: لا أعلم؛ فإنّه ثُلُث العلم.

[١٠٣] قال غيلان بن جرير: جَعَلَ رَجُلٌ يقول لابنِ عمر -رضي الله

عنهما-: أرأيت، أرأيت؟ قال: اجعل أرأيت عند الثُّريَّا!!

[١٠٤] عن ابنِ عمر -رضي الله عنهما-، قال: سُنّة رسول الله ﷺ أَحَقُّ أنْ تُتَّبعَ مِن سُنّة ابن عبَّاس.

[١٠٥] عن مسروق، قال: إنّي أخاف -أو: أخشى- أنْ أقيسَ، فتزلَّ قَدَمِي[١].

[١٠٦] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا اسْتَيْقَظَ أحدُكم مِن منامه؛ فَلْيُفْرِغ على يدَيه مِن إنائِه -ثلاث مرَّات-؛ فإنَّه لا يدري أين باتت يَدُه**»[٢]. قال قين الأشجعيّ: فما تصنع بالمِهْراس[٣] يا أبا هريرة؟! قال أبو هريرة: أعوذ بالله من شَرِّك يا قين!

[١٠٧] عن أبي سعيد -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَمْنَعَنَّ أحدَكم هَيبةُ النَّاس أنْ يقولَ الحقّ إذا رآه أو سَمِعَهُ**»[٤].

[١٠٨] عن أيّوب، قال: كنتُ عند مجاهد، وعنده رَجُلٌ مِن أهل الكوفة، شابّ ظريف، فقال رَجُلٌ مِن القوم: دَعُونا مِن هذه الأحاديث، وعليكم بكتاب الله. فقال له الكوفيُّ: ما تقولُ في لَحْم القِرْد؟ فأُفْحم الرَّجل، فقال مجاهد: ليس مِن بهيمةِ الأنعام.

---

(١) حَسَن.

(٢) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (١٦٢)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٦٤١).

(٣) المِهْراس: حَجَرٌ مَنْقُور مُستطيل، يتوضَّأ منه. «المعجم الوسيط»، مادة (هَرْجَل).

(٤) صحيح. انظُر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٦٨).

[١٠٩] عن أميّة: أنّه سألَ ابنَ عُمر -رضي الله عنهما-، فقال: يا أبا عبد الرحمن! إنَّا نَجِدُ صلاةَ الحَضَر في القرآن وصلاة الخوف، فأخبِرْنِي عن صلاة السَّفر، فإنَّا لا نَجِدُ في القرآن! فقال ابنُ عمر: يا ابن أخي! إنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ، ولا نعلم شيئاً! فإنَّا نَفعلُ كما رأينا محمّداً ﷺ يفعل[1].

وفي روايةٍ قال: كما رأينا رسولَ الله ﷺ يفعل.

وفي روايةٍ قال: إنَّ الله بعثَ نَبِيَّه ﷺ ونَحْنُ أَجْفَى النّاس! فنصنَعُ كما صنع رسولُ الله ﷺ.

قال عبدُ الرَّزّاق -أحدُ رُواتِه-: وكان مَعْمَر يُعجَب بهذا الحديث.

[١١٠] عن أمِّ سلمة -رضي الله عنها-: أنّها كانت تُحدِّثُ أنّها سَمِعَت رسولَ الله ﷺ يقول على المنبر وهي تمتشط: «أيّها الناس!». فقالت لماشطتِها: لُفِّي رأسي. قالت: فَديتُكِ! إنّما يقول: أيّها النّاس! قالت: ويحك! أَوَلَسْنَا مِن النّاس؟! فلفَّتْ رأسَها، وقامت في حُجْرَتِها، فسَمِعَتْهُ يقول: «**أيُّها النّاس! بينما أنا على حوضي، إذْ مُرَّ بكُم زمراً، فتفرَّقت بكُم الطُّرُق...**»[2] -الحديث-.

[١١١] عن عبدِ الله بنِ مُغَفَّل -رضي الله عنه-: أنّه كان جالساً، وإلى جنبه ابنُ أخٍ له، فخذَفَ، فنهاه، قال: إنّ رسول الله ﷺ نهى عنها، وقال: «**إنّها لا تَصيدُ صيداً، ولا تنكأ عدوًّا، وإنّما تكسِرُ السِّنَّ، وتَفْقَأُ العين**». فعاد ابنُ أخيه،

---

(١) صحيح. انظُر «صحيح النسائي» (١٤٣٤) لشيخنا الألباني.

(٢) أخرجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (٥٩٣٠) نحوه.

فخَذَف، قال: حدَّثْتُك أنّ رسول الله ﷺ نهى عنها وتَفْعَلُها؟! لا أكلِّمُك أبداً(١).

[١١٢] عن سعيدِ بنِ جبير -رضي الله عنه-: أنّه حَدَّثَ بحديثٍ، فقال له رَجُلٌ مِن أهل الكوفة: إنّ اللهَ يقول في كتابه كذا وكذا. فغضب سعيد! فقال: ألا أراك تُعرِّضُ في حديث رسول الله ﷺ؟! كان رسولُ الله ﷺ أَعْلَمُ بكتاب الله منك.

[١١٣] عن بلالِ بنِ سعد، قال: ثلاثٌ لا يُقْبَلُ معهنَّ عملٌ: الشِّركُ، والكُفْرُ، والرَّأيُ. قلت: يا أبا عمرو! ما الرَّأيُ؟ قال: تَتْرُك كتابَ الله، وسُنَّة نبيِّه ﷺ، وتقول بالرَّأي.

[١١٤] عن أبي العالية في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فُصِّلَت:٣٠]، قال: أَخْلَصُوا لله الدّينَ والعملَ والدّعوةَ.

[١١٥] عن سفيان في قولِهِ -تعالى-: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النُّور:٦٣]: يُطْبَعُ على قلوبِهم.

---

(١) أخرجهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٥٤٧٩)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٥٠٢٦).

قال النوويُّ في «المنهاج» (١٣/ ١٠٧) -شارحاً-:

«فيه هجران أهل البدَع، والفسوق، ومُنابِذِي السُّنَّة مع العلم، وأنه يَجوزُ هجرانه دائماً، والنهيُ عن الهجران فوق ثلاثة أيّام إنّما هو فيمَن هجر لحظّ نَفْسِه ومعايش الدنيا، وأمّا أهل البِدَع ونحوهم فهجرانُهم دائماً».

وانظُر في ذلك: «الزَّجْر بالهَجْر» للسيوطي، و«الهجر في الكتاب والسُّنّة» لشيخنا مشهور حسن.

[١١٦] قال شَرِيك: أثرٌ فيه بعض الضّعف أحبُّ إليَّ مِن رَأيِهم.

[١١٧] عن عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ حنبل، قال: قُلت لأبي: رَجُلٌ وقَعَت له مسألةٌ، وفي البلدة رجل مِن أهل الحديث فيه ضعف، وفقيه مِن أهل الرّأي: أيُّهما يَسأل؟ قال: لا يسألُ أهلَ الرّأي، ضعيفُ الحديث خير مِن قويّ الرّأي.

[١١٨] عن سُفيان الثَّوريّ؛ قال: إنّما الدِّين الآثار[١].

[١١٩] عن سُفيان الثَّوريّ قال: ينبغي للرّجل أن لا يحكّ رأسه إلا بأثر.

[١٢٠] قال النّضر بن شميل: السُّنّة حارِسة، و الرَّأي محروس.

[١٢١] عن العلاء بن المسيّب، عن أبيه قال: إنّا نَتَّبع ولا نَبتدِع، ونَقتدِي ولا نَبتدِي، ولنْ نَضِلَّ ما تمسَّكْنا بالآثار.

[١٢٢] عن ابن سيرين، قال: كانوا يقولون: ما دام على الأثر، فهو على الطَّريق[٢].

[١٢٣] عن الزَّعفرانيّ، قال: ما على وجه الأرض قومٌ أفضل مِن أصحاب هذه المحابر، يتَّبعون آثار رسول الله ﷺ، ويكتبونها لكي لا تَدْرُس.

[١٢٤] عن الأعمش، قال: ما رأيتُ إبراهيم يقول برأيه في شيء قطّ.

[١٢٥] عن ابنِ المبارَك، قال: لِيَكُن الّذي تَعتمِدُ عليه الأثر، وخُذ مِن الرّأي

---

(١) صحيح. انظُر «سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ٢٩٣).

(٢) صحيح. انظُر «سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ٢٩٤).

ما يفسِّر لك الحديث[1].

[١٢٦] قال وكيع: مَن طَلَبَ الحديثَ كما جاء، فهو صاحبُ سُنّة، ومَن طَلَبَه لِيُقَوِّيَ به رأيَه فهو صاحب بدعة.

[١٢٧] قال -أيضاً-: إنَّ أهلَ العِلْمِ يَكتُبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يَكتُبون إلّا ما لهم.

[١٢٨] عن محمد بن يحيى، قال: سمعتُ أبا الوليد يقول وحدَّثَ بحديث إلى النّبيّ ﷺ مرفوع، فقيل له: ما رأيُك؟ فقال: ليس لي مع النّبيّ ﷺ رأيٌ.

[١٢٩] قال محمّد بن رُمْح: عدَدْتُ لمالك مِئَةَ مرّة قال (لا أدري) في مجلس واحد!

---

(١) صحيح. انظُر «سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ٢٩٥).

قلتُ: قال الحافظُ ابنُ حجر -رَحِمَهُ اللهُ- في «فتح الباري» (١٣/ ٣٠٤):

«وعن ابن المبارَك: ليكن المعتمَدُ عليه الأثر، وخذُوا مِن الرأي ما يُفسِّر لكم الخبر، والحاصل أنَّ الرأي إن كان مُستَنِداً للنّقل من الكتاب أو السُّنة فهو محمودٌ، وإن تجرَّد عن عِلْم فهو مَذمُوم».

وقال الإمامُ الشاطبيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في «الاعتصام» (١/ ١٨٢):

«الرأيُ المذمومُ: ما بُني على الجهل، واتّباع الهوى مِن غير أصلٍ يُرجَعُ إليه، وكان منه ذريعة إليه، وإن كان في أصله محموداً، وذلك عند الإكثار منه والاشتغال به عن النّظر في الأصول، وما سواه فهو محمود؛ لأنه راجعٌ إلى أصلٍ شرعي.

فالأول: داخلٌ تحت حدِّ البدعة، وتتنزَّلُ عليه أدلة الذمّ.

والثاني: خارجٌ عنه، ولا يكون بدعةً أبداً».

[١٣٠] قال بُندار: ذَكَر الآثارَ عبدُ الرَّحمن بن مهدي بالبصرة، فأنشأ يقول:

دِينُ النَّبي محمدٍ آثارُ ... نِعْمَ المطيَّةُ للفتى الأخبارُ
لا تُخدعنَّ عن الحديثِ وأهلهِ ... فالرَّأيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ
فلربَّما غَلِطَ الفتى سُبُلَ الهُدَى ... والشّمسُ بازغةٌ لها أنوارُ

[١٣١] وقال مساور الورّاق:

كُنّا من الدِّين قَبْلَ اليوم في سَعَةٍ ... حتّى بُلِينا بأصحاب المقاييس

[١٣٢] قال الشّافعيّ: لا يحلّ لأحد مِن أهل الرّأي أن يفتي! فإنْ حلَّ، فلمحمّد بن الحسن.

[١٣٣] عن ابنِ سيرين، قال: أوّل مَن قاس إبليس، وما عُبِدتِ الشَّمسُ والقمرُ إلا بالمقاييس(١).

---

(١) إسنادُهُ حَسَن. انظر «الإعلام» لابن القيم (٢/ ٤٦٧) تحقيق شيخنا مشهور حسن.
قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «الفتاوى» (٦/ ٢٩٩):
«والغلطُ في القياس يقعُ مِن تشبيه الشيء بخلافه، وأخذ القضيّة الكلّيَّة باعتبار القَدْر المشترَكْ مِن غير تَمييز بين نوعيها، فهذا هو القياسُ الفاسدُ؛ كقياس الَّذِين قالوا: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾، وقياس إبليس، ونحو ذلك مِن الأقيِسَةِ الفاسدة التي قال فيها بعضُ السَّلف: (أوّل من قاس إبليس، وما عُبِدَت الشّمس والقمر إلا بالمقاييس)، يعني: قياسٌ يعارضُ النّص، ومَن قاس قياساً فاسداً، وكلُّ قياسٍ عارضَ النّص فإنّه لا يكونُ إلا فاسداً، وأمّا=

[١٣٤] عن سعيدِ بنِ جبير -رضي الله عنه- في قولِهِ -تعالى-: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ

=القياسُ الصّحيحُ فهو مِن الميزان الذي أنزله الله، ولا يكونُ مخالفاً للنصِّ قط، بل موافقاً له».

قال العلّامةُ ابنُ القيّم في «إعلام الموقعين» (٣/ ٢٠٥) -بَعْدَ ذِكْرِه أَثَرَ ابن سيرين-:

«وهو القياسُ الذي اعترَفَ أهلُ النار في النار ببُطلانِهِ؛ حيث قالوا: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨].

وذمَّ اللهُ أهلَهُ بقوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]؛ أي: يَقيسُونَه على غيرِه ويُسوُّون بينَه وبين غيره في الإلهية والعبودية، وكلُّ بدعةٍ ومقالةٍ فاسدةٍ في أديان الرُّسل فأصلُها مِن القياس الفاسد.

فما أنكرَت الجهميّةُ صفات الربِّ، وأفعالَه، وعلوَّه على خلقِه واستواءَه على عرشِه، وكلامَه، وتكليمَهُ لعبادِه، ورؤيتَهُ في الدار الآخِرَةِ إلّا مِن القياس الفاسد.

وما أنكرَت القدريَّةُ عُمومَ قُدرتِه ومشيئتِه، وجعلَت في مُلكه ما لا يشاء، وأنّه يشاء ما لا يكونُ إلا بالقياس الفاسد.

وما ضلّت الرّافضةُ وعادَوْا خِيارَ الخَلْقِ، وكفَّرُوا أصحابَ محمد ﷺ وسَبّوهم إلّا بالقياس الفاسد.

وما أنكرَت الزّنادقةُ والدَّهريّةُ معادَ الأجسام، وانشقاق السّماوات، وطيّ الدنيا، وقالت بقِدَمِ العالَمِ إلّا بالقياس الفاسد.

وما فَسَدَ ما فسد مِن أمرِ العالَم، وضرب ما ضرب منه إلّا بالقياس الفاسد، وأول ذَنْبٍ عُصِيَ به القياس الفاسد، وهو الذي جرَّ على آدم وذُريته مِن صاحب هذا القياس ما جرّ.

فأصلُ شَرِّ الدنيا والآخِرة جميعه مِن هذا القياس الفاسد، وهذه حكمةٌ لا يَدْرِيها إلّا مَن له اطِّلاعٌ على الواجب والواقع، وله فِقْهٌ في الشرع والقدر».

ﭐتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[الفرقان:٤٣]؛ قال: كان أهلُ الجاهليّة يَعبُدُون الحَجَر، فإذا رَأَوا أحسن منه؛ أخذوه وتركوا الأوّل!

[١٣٥] عن الشَّعْبِيّ، قال: والله لَئِنِ اتَّخذتم بالمقاييس لَتُحَرِّمُنَّ الحلال، ولتحلُّنَّ الحرام»[1].

[١٣٦] عن الشّعبيّ، قال: لو أدركَ الآرائيّون النَّبيّ ﷺ لَنَزَلَ القرآن كلّه: يَسألونَك! يَسألونَك!

[١٣٧] عن الزّبرقان، قال: نهاني أبو وائل أنْ أُجالِسَ أصحابَ (أرأيت).

[١٣٨] عن أبي حفص في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ

---

(١) إسنادُه صحيح. انظُر «سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ٢٤٤).

قلتُ: وبالمقاييس -الفاسدة- أُبيح الغناءُ والعَفَن الفنِّيّ، وبالمقاييس أُبيحَ أكلُ الرّبا، وأُطلِق عليها (فائدة)! وهي مقولةٌ جائرة.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة -في مثل ما نحن بِصَدَدِه- في «الاستقامة» (١/ ٢٨٩):

«ومدارُ الحُجَجِ في هذا الباب ونحوه: إمّا على قياسٍ فاسِد، وتشبيه الشيء بما ليس مثله، وإمّا على جعل الخاصّ عامًّا، وهو أيضاً مِن القياس الفاسد، وإمّا احتجاج بما ليس بحُجّة أصلاً».

قلتُ:

مِن أَنفعِ ما يكون لطالبِ العلمِ بَعْدَ أن يُحكِمَ عِلْمَ أصول الفقه، ويَتضلَّع في الفقه -من أوَّلِه إلى آخرِه- أن يُدْمِنَ النظرَ في القواعد الفقهية، والتَّبصُّر في كُتُب الأشباه والنظائر، والوقوف على الفروق الفقهيّة مِن كُتُب الفروق، فإنْ فَعَلَ هذا مع إخلاص نيّة وحُسْن طويّة؛ فإنّه يُحصِّنُ نَفْسَهُ مِن الغلط في القياس، فإذا به آخِذٌ بالميزان الذي أنزلَهُ اللهُ -تعالى-.

ﭐلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل:١١٦] قال: نزلَتْ في علماء السُّوء؛ يُفْتُون النّاس برأيهم.

[١٣٩] عن عبدِ العزيز بنِ رفيع، قال: سُئل عطاء عن شيء، فقال: لا أدري! قيل له: ألا تقول برأيك فيها؟ قال: إنّي لأَسْتَحِي مِن الله أن يُدان في الأرض برأيي.

[١٤٠] يُحكَى عن الشّافعيّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، أنّه قال: ليس مِن التّابعين أحدٌ أكثر اتّباعاً للحديث مِن عطاء.

[١٤١] عن عطاء، قال: ليس الدّين الرَّأي، ولكنَّه السّمع.

[١٤٢] عن ابن عبَّاس -رضي الله عنهما-، يقول: آفة الرّأي الهوى.

[١٤٣] عن عبدِ الله بنِ مسعود -رضي الله عنه-: أنّ رسولَ الله ﷺ أوّل سورة قرأها على النّاس: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾، فقرأ السَّجدةَ، فسَجَدَ وسجد النّاسُ كلُّهم إلّا رَجُلاً واحداً كره أنْ يسجد!! فرَفَعَ مِلْءَ كفِّه حَصَاةً أو تراباً، فوضعَهُ على جبهته، فرأيتُه قُتِلَ كافراً[1].

[١٤٤] قال عمرُ بنُ عبد العزيز: ما آتاك به الزّهريُّ ممّا رواه؛ فاشْدُد يَدَيْكَ به! وما آتاك به مِن رأيِه؛ فانْبذه.

---

(١) مُتَّفَقٌ عليه. أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (١٠٦٧)، ومسلمٌ في «صحيحه» (١٢٩٧).

[١٤٥] عن المعتصم، قال: إذا نُصِرَ الهُدَى بَطَلَ الرَّأي. قال إسحاق: ما سمعتُ بكلمةٍ مثلها.

[١٤٦] قال ابنُ المبارَك: إذا رَجَعْنَا إلى خُرَاسان أَخْرَجْنا كلامَ هؤلاء مِن الكُتُب.

[١٤٧] عن عامر، قال: ليس أحدٌ بَعْدَ النَّبيِّ ﷺ إلّا وأنتَ آخِذٌ مِن قولِه وتارِك.

[١٤٨] عن الأوزاعيّ، قال: وما رَأْيُ امرِئٍ في أَمْرٍ بَلَغَهُ فيه عن رسول الله ﷺ إلّا اتّباعه، ولو لمْ يَكُن فيه عن رسول الله ﷺ وقال فيه أصحابُه مِن بَعْدِه، كانوا أَوْلَى فيه بالحقّ منّا؛ لأنّ اللهَ أَثْنَى على مَن بَعدِهم باتّباعِهم إيَّاهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] فقُلتم أنتُم: لا، بل نعرضها على رأينا في الكتاب، فما وافقه منه صدّقناه، وما خالفه تركناه، وتلك غايةُ كلِّ مُحْدِثٍ في الإسلام: رَدٌّ ما خالف رأيه مِن السُّنّة.

[١٤٩] عن عُمَرَ بنِ عبد العزيز أنّه كَتَبَ إلى النّاس: لا رَأيَ لأحدٍ مع سُنّةٍ سَنَّها رسولُ الله ﷺ(١).

[١٥٠] قال الحميديّ: كنّا عند الشّافعيّ، فأتاه رَجُلٌ، فسأَلَهُ عن مسألةٍ، فقال: قضَى رسولُ الله ﷺ كذا وكذا. فقال رجل للشّافعيّ: أنتَ ما تقول؟ قال: سبحانك! تراني في كنيسة؟! تراني في بِيعة؟!(٢) تَرَى على وسطي زُنَّاراً؟! أقول

---

(١) صحيح. انظر «سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ١٣٤).

(٢) البِيعةُ -بالكسر-: كنيسة النّصارى، وقيل: كنيسة اليهود، وجمعُها: بِيَعٌ، ومنهُ=

لك: قضَى رسولُ الله، وأنت تقول لي: ما تقول أنت[1]؟!

[١٥١] قال الشّافعيُّ: إذا وجدتُم سُنّةً لرسول الله ﷺ فاتّبعوها، ولا تلتفتوا إلى أحد.

[١٥٢] قال أحمد بن حنبل: ما رأيتُ أَتبعَ للأثر مِن الشّافعيّ.

[١٥٣] قال الشّافعيّ: لولا أصحاب الحديث، لكُنّا نبيع الفول.

[١٥٤] قال الرّبيع: سمعتُ الشّافعيَّ يقول: إذا وَجَدتُم في كتابي خلاف سُنّة رسول الله ﷺ فقولوا بسُنّة رسول الله ﷺ، ودَعُوا ما قُلتُ[2].

= قولُه -تعالى-: ﴿وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ﴾ [الحج: ٤٠].

والزُّنار: ما يلبسه الذِّمّيُّ، ويَشُدُّه على وسطه. انظُر «لسان العرب» (٤/ ٣٣٠).

(١) إسنادُه صحيح.

قلتُ: الحقُّ يُعْرَفُ بدلائله لا بقائلِه، ولِذا؛ فرَّقَ أهلُ العلم بين مَنزلةِ التقليد والاتباع.

حيثُ قال العلّامةُ ابنُ عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٥): «والتقليد عند العلماء غير الاتباع؛ لأنّ الاتباع هو تَتَبُّع القائل على ما بان لك مِن فضلِ قولِه وصِحّة مذهبه.

والتقليد أنْ تَقُولَ بقوله، وأنت لا تعرِفُ وَجْهَ القول ولا معناه، وتَأْبى مَن سواه، أو أن يتبيَّنَ لك خَطَؤُه، فتتبعه مهابةَ خلافه، وأنت قد بانَ لك فسادَ قولِه، وهذا مُحَرَّمٌ القول به في دِين الله -سبحانه وتعالى-».

وانظُر - يا رعاكَ الله -: «الإعلام» للعلّامة ابن القيِّم (٣/ ٤٥٠) فإنّه مُهِمّ.

(٢) صحيح.

[١٥٥] وقال الشّافعيّ: كلّ مسألة تكلّمتُ فيها صحّ الخبرُ فيها عن النّبيّ ﷺ عند أهل النّقل بخلاف ما قُلت؛ فأنا راجعٌ عنها في حياتي وبعد موتي![1].

[١٥٦] قال الرّبيع: سمعتُ الشّافعيّ وروَى حديثاً، فقال له رجل: أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: متى رَويتُ عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخُذ به، فأُشهدُكم أنَّ عقلي قد ذهب. وأشار بيده على رؤوسهم!

[١٥٧] قال الشّافعيّ: إذا صحّ حديث: «**أفطر الحاجم والمحجوم**»؛ فأنا أقول: قال الشّافعيّ: أفطر الحاجم والمحجوم[2].

---

(١) «الأُم» (٧/ ١٨٣).

(٢) قلتُ: وقد روَى ابنُ الصَّلاح عن أبي الوليد مُوسى بنِ أبي الجارود، وهو ممَّن صَحِبَ الشافعيَّ أنّه روَى عنه: (إذا صحَّ عن النبي ﷺ حديثٌ، وقُلتُ قولاً؛ فأنا راجعٌ عن قولي قائلٌ بذلك).

قال: «وقد صحَّ حديث: «**أفطر الحاجم والمحجوم**»؛ فأنا أقول: قال الشافعيُّ: أفطَرَ الحاجمُ والمحجوم».

قال ابنُ الصلاح: «فردَّ على أبي الوليد ذلك، مِن حيثُ إنّ الشافعيَّ تركَهُ مع صِحَّتِهِ؛ لكونِه مَنسوخاً عندَه، وقد دلّ - رضي الله عنه - على ذلك وبيّنه».

انظُر: «أدب الفتوى» (٨١).

قال الإمامُ الشافعيُّ في «الأُم» (٣/ ٢٤٢) -بَعدَ ذِكْرِه حديث: «**أفطرَ الحاجمُ والمحجوم**» واحتجام النبيِّ ﷺ وهو صائم-:

«ولا أعلمُ واحداً منهما ثابتاً، ولو ثبتَ واحدٌ منهما عن النبيِّ ﷺ قلتُ به، فكانت الحُجَّة في قولِه، ولو تَركَ رَجُلٌ الحجامةَ صائماً للتَّوَقِّي كان أحبَّ إليَّ، ولو احتجم لمْ أَرَهُ يُفَطِّرُه».

[١٥٨] عن إبراهيم بن محمّد الكوفيّ -وكان من الإسلام بمكان- قال: رأيتُ الشّافعيَّ بمكّة يُفتِي النّاس، ورأيتُ أحمد وإسحاق حاضِرَين، فقال الشّافعيّ: قال رسولُ الله ﷺ: «**وهل تَرَكَ عَقِيلٌ لنا من دار؟**».

وعن إبراهيم: أنّهما لمْ يَكونَا يريانه، وعطاء وطاووس لمْ يكونا يريانه، فقال الشّافعيُّ لبعض مَن عَرَفَه: مَن هذا؟ فقال: هذا إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ ابن راهويه الخُرَاسانيّ. فقال الشّافعيّ: أنت الّذي يَزْعُمُ أهلُ خُرَاسان أنّك فقيهُهم؟! ما أحوجَني أنْ يكون غيرك في موضعك، فكنتُ آمر بعرك[1] أذنيه، أقول: قال رسول الله ﷺ، وأنت تقول: عطاء وطاووس ومنصور عن إبراهيم والحسن؟! وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حُجّة؟![2].

[١٥٩] قال الشّافعيّ -رحمه الله-: «إذا رأيتُ رجلاً من أصحاب الحديث، فكأنّي رأيتُ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ.

وفي روايةٍ زيادة: قال الشافعيّ: فجزاهم اللهُ خيراً، فهُم حفظوا لنا الأصل، فلَهُم علينا فضل.

[١٦٠] قال داود الأصبهانيّ: أصحابُ الحديثِ أعظمُ أجراً مِن الفقهاء، وقال: وذاك أنّ كدَّهم ضَبْطُ الأصول.

---

(١) العرك: الدّلك والحكّ.

(٢) الحديث مُتَّفقٌ عليه. أخرجَهُ البخاريّ في «صحيحه» (١٥٨٨)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٣٢٨١).

قلتُ: قولُه: (لمْ يكونَا يريانه)؛ أي: أنّ أحمدَ وإسحاقَ لمْ يكونَا يَرَيَان بَيْعَ رباع مكَّة.

[١٦١] قال الشّافعيّ: عليكم بأصحاب الحديث، فإنّهم أكثر النّاس صواباً.

[١٦٢] قال عبدُ الله بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي يقول: قال لنا الشّافعيّ: أنتُم أعلمُ بالحديث منّي، فإذا صَحَّ الحديث عن النّبيّ ﷺ؛ فقولوا حتّى آخذ به.

[١٦٣] قال الشّافعيّ: العَشَرَةُ[1] أشكال لهم أن يُغَيِّر بعضُهم على بعض، والمهاجرون الأوّلون والأنصار أشكالٌ لهم أن يُغيِّر بعضُهم على بعض، ومُسْلِمة[2] الفتح أشكال لهم أن يُغَيِّر بعضُهم على بعض، فإذا ذهب أصحابُ محمّد ﷺ فحرامٌ على تابع إلا اتّباع بإحسان حذواً بحذوٍ[3].

[١٦٤] قال أحمد بن حنبل: سألتُ الشّافعيَّ -رَحِمَهُ اللهُ- عن القياس؟ فقال: عند الضّرورات[4].

---

(١) هُم العشَرة المبشَّرون بالجنّة.

(٢) هُم الذين أَسلَمُوا عند فتح مكّة.

(٣) (وحذواً بحذوٍ)؛ أي: تعملونَ مثل أعمالهم كما تقطع إحدى النّعلين على قدر النّعل الأخرى، و(الحذو): التّقدير والقطع.

(٤) قلتُ: ومَن هذا الذي يُقدِّرُ الضرورةَ بقَدرها؟ ومَن الذي تتوفر فيه الأهلية للإقدام على القياس؟ أهُم عامة طلبة العلم؟! أم العلماء؟

قرَّرَ هذه المسألة الإمام الهمام الشافعيّ بتحريرٍ رَفَعَ فيه اللَّبس والعيّ؛ حيثُ قال في «الرِّسالة» (٥٠٩) -تحقيق المحدِّث أحمد شاكر-:

«ولا يقيسُ إلّا مَن جَمَعَ الآلة التي له القياسُ بها، وهي العِلمُ بأحكام كتاب الله: فرضِه، وأدبِه، وناسخِه ومنسوخِه، وعامِّه وخاصِّه، وإرشاده.

ويستدلُّ على ما احتمَلَ التأويلَ منه بسُنَن رسول الله، فإذا لمْ يَجِدْ سُنّةً فبإجماع=

[١٦٥] قال الشّافعيُّ: لمْ أسمعْ أحداً -يَنْسُبُهُ عامّةُ الناس أو يَنسُب نفسَه إلى علم- يخالفُ في أنّ اللهَ فَرَضَ اتّباعَ أمرِ رسول الله ﷺ والتّسليمَ لحكمه، وأنّ اللهَ لمْ يجعلْ لأحدٍ بَعْدَه إلّا اتّباعَه، وأنّه لا يلزم قول بكلّ حال، إلّا بكتاب الله أو سُنّة رسول الله، وأنّ ما سواهما تبع لهما، وأنّ فرضَ الله علينا وعلى مَن قبلنا وبعدنا قَبولُ الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يُختلف فيه أنّه الفرض، وواجب قَبول الخبر عن رسول الله ﷺ، إلّا فرقة سأصف قولها - إن شاء الله -، افترض الله علينا اتّباع نبيّه، قال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء:٦٥]، وفَرَضَ علينا اتّباع أمره ﷺ؛ فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧]، ثم بنى على هذا كتاب «جُمّاع العلم».

[١٦٦] عن أبي ثور، قال: لولا أنّ اللهَ مَنّ عَليّ بالشّافعيّ لَلقيتُ الله وأنا

= المسلمين، فإنْ لمْ يَكُن إجماعٌ فبالقياس.

ولا يكونُ لأحدٍ أنْ يَقِيسَ حتّى يكونَ عالماً بما مَضَى قبلَه مِن السُّنَن، وأقاويلِ السَّلف، وإجماعِ الناس واختلافِهم، ولسانِ العرب.

ولا يكونُ له أنْ يَقِيسَ حتى يكونَ صحيحَ العقل، وحتّى يُفرِّق بين المشتبه، ولا يُعجّل بالقولِ به دُون التثبيت.

ولا يمتنع مِن الاستماع ممَّن خالفَهُ؛ لأنه قد يتنبَّه بالاستماع لِترك الغفلة، ويزداد به تَثبيتاً فيما اعتقد مِن الصواب....».

قلتُ: وعليه؛ فإذا نُزِّل كلام الشّافعي تنزيلاً صحيحاً «فإنّ القياس يقومُ مقامَ النّص عند عدمه». كما قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «الفتاوى» (٢٠/ ٣٥١).

ضالّ! قَدِمَ علينا وأنا أظنّ أنّ اللهَ لمْ يعبده أحد بغير مذهب الرَّأي، قال الشّافعيّ: وضع الله نبيّه ﷺ وأهل دينه موضع الإبانة من كتاب الله معنى ما أراد الله وفَرَضَ طاعته، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠] فليس لمفتٍ أنْ يفتيَ، ولا لحاكم أنْ يَحكُمَ حتّى يكونَ عالماً بهما، ولا يُخالفهما ولا واحداً منهما، وإلّا؛ فهو عاصٍ وحُكْمُهُ مردود، وإنْ لمْ يَجِدْهما منصوصين، فالاجتهاد أنْ يَطلبَهما.

[١٦٧] عن الرّبيع يقول: سمعت الشّافعيّ يقول: لولا أصحاب المحابر، لَخَطَبَت الزَّنادقة على المنابر.

[١٦٨] قال حرب بن إسماعيل: سُئل أحمدُ بنُ حنبل عن النَّظر في الرَّأي، فكَرِهَه، ونهى عنه.

[١٦٩] قال حرب بن إسماعيل: قيل لأحمد بن حنبل: رَجُلٌ نَزَلَتْ به مسألة، فلمْ يجدْ مَن يسأله، أيسأل أهل الرّأي؟ قال: لا يسأل أهل الرّأي عن شيء البتّة.

[١٧٠] قال عثمان بن سعيد: لـمَّا قَدِمَ أحمدُ بن حنبل حمصَ وجَّه إلى يحيى بن صالح الوحاظيّ: إنّك إنْ تَركت الرَّأيَ أتيتُكَ وكَتبتُ عنك، وذلك أنّ يحيى كان كَتَبَ كُتُبَ الرّأي، فكان يَذهبُ مذهبهم، فلذلك لمْ يأتِه أحمد.

[١٧١] قال بِشر الحافي: علامةُ طاعة الله تسليمُ أمرِه بطاعتِه، وعلامةُ حبِّ رسول الله ﷺ تسليمُ آثارِه والعمل على سنّته، ولا يلتفت إلى غيره.

الباب العاشر

الغلو في الدين

باب شدة كراهية المصطفى ﷺ وخيار أمته التعمق في الدِّين

[١٧٢] عن أنس -رضي الله عنه-، أنّ رسول الله ﷺ واصل في آخر الشَّهر وواصل النّاس، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «لو مُدَّ الشّهر لواصلتُ وِصالاً يدع المتعَمِّقون تعمُّقهم، إنّكم لستُم كهيئتي، إنّي أبيت يُطعمني ربِّي ويسقيني»[١].

[١٧٣] قال محمّد بن عون الخُراسانيّ: سألتُ نافعاً -مولى ابن عمر- عن صلاة المسافر، فقال: قال ابنُ عمر -رضي الله عنهما-: صلاة المسافر ركعتين، مَن خالف السُّنّة كَفَر[٢].

[١٧٤] عن أنس قال: ذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: «يكونُ فيكم قومٌ يدينون حتى يُعجب بهم الناس وتعجبهم أنفسهم، يمرقون مِن الدِّين مُرُوقَ السهم مِن الرَّميَّة»[٣].

---

(١) مُتَّفقٌ عليه. أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (٧٢٤١)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٢٥٦٦).

(٢) صحيح. كما قال شيخنا مشهور حسن في تحقيق«الاعتصام»للشاطبي(١/ ١٢٩).

(٣) صحيح. كما قال شيخُنا الإمامُ الألبانيُّ في «ظلال الجنة» (٩٤٥).

[١٧٥] عن جابر، قال: كان رسول الله ﷺ يقومُ في خُطبتِه يحمد الله، ويُثني عليه بما هو له أهلٌ، ثم يقول: **«مَن يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، أصدقُ الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هديُ محمّد، وشرُّ الأمور مُحدثاتُها، وكلُّ مُحدَثَةٍ بدعة، وكلُّ بِدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النّار»**.

وقال في رواية: إذا خطب بعد التَّشهُّد.

وقال في رواية: إذا خطب يقول: **«أمّا بَعدُ، فإنّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهَدْي هديُ محمّدٍ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ بدعة ضلالة»**[١].

[١٧٦] عن ابن مسعود- رضي الله عنه - أنّه قال: اقتصادٌ في سُنَّة خيرٌ مِن اجتهادٍ في بدعة[٢].

[١٧٧] عن عائشةَ- رضي الله عنها -: أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ وهو واقفٌ على الباب وأنا أسمعُ: يا رسول الله! إنّي أُصبِحُ جُنُباً، وأنا أريد الصّوم، فأغتسلُ، وأصوم ذلك اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: **«وأنا أصبح جُنُباً، وأنا أريد الصّوم، فأغتسل، وأصوم ذلك اليوم»**، فقال له الرّجل: إنّك لست مِثلنا، قد غَفَرَ اللهُ لك ما تقدّمَ مِن ذنبك وما تأخّر. فغضب رسولُ الله ﷺ وقال: **«والله، إنّي لأرجو أنْ أكونَ أخشاكُم لله، وأَعلمَكم بما أَتَّقِي»**[٣].

---

(١) أخرجهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (٢٠٠٢-٢٠٠٤) نحوه.

(٢) صحيح. كما قال شيخُنا الألبانيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤١).

(٣) أخرجهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (٢٥٨٨).

[١٧٨] عن حُصَيْن بن عبد الرّحمن، قال: صلّيتُ إلى جانب عمارة بن رُوَيْبَة -رضي الله عنه-، فصعد بِشْرُ بنُ مروان المنبرَ، فرفع يديه رَفعاً شديداً -قال عَلِيٌّ -أحد الرواة-: يعني في الخطبة-، فقال عمارة: ألا قبَّحَ اللهُ هاتين اليُدَيَّتَيْن -أو: لَعَنَ الله -شكَّ حصين-، قد رأيتُ رسولَ الله ﷺ على المنبر فما يزيدُ على أنْ يُشيرَ بإصبعه[١].

[١٧٩] عن معاذة، قالت: سألت عائشة -رضي الله عنها-: أَتَقْضِي إحدانا الصّلاةَ؟ قالت: أحروريّةٌ أنتِ؟! قد كنّا عند النّبيّ ﷺ فلمْ نَقْضِ، ولمْ نكن نُؤْمَرُ[٢].

[١٨٠] عن بريدة الأسلميِّ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليكم هَدْياً قاصداً، فإنّه مَن شادَّ هذا الدّين يَغْلِبْهُ»**[٣].

[١٨١] عن عائشةَ، أنَّ النّبيَّ ﷺ قال: **«مَن اشترطَ شرطاً ليس في كتاب**

---

(١) أخرجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (٢٠١٣).

(٢) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٣٢١)، ومُسلمٌ في «صحيحه» (٧٥٩).

قال الحافظُ ابنُ رجب في «فتح الباري» (١/ ٥٠١ - دار ابن الجوزي):

«وقول عائشة (أحروريّة أنت؟)؛ تعني: أنت مِن أهل حروراء، وهُم الخوارج؛ فإنّه قد قيل: إنّ بعضَهُم كان يأمُر بذلك، وقيل: إنّها أرادت أنّ هذا مِن جنس تَنَطُّع الحروريّة، وتعمُّقهم في الدّين حتّى خَرَجُوا منه».

(٣) قال شيخُنا العلّامةُ الألبانيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في «ظلال الجنّة» (١/ ٤٦): إسنادٌ صحيحٌ، رجالُه كلُّهم ثقات.

الله؛ فهو رَدٌّ، وإنْ شَرَطَ مئةَ شَرْطٍ»[1].

[١٨٢] عن أنس- رضي الله عنه -، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن رَغِبَ عن سُنَّتِي ليس منِّي....»[2].

[١٨٣] عن محمّدِ بنِ حِبَّان التّميميّ، قال: ما رأيتُ على وجهِ الأرض مَن يُحْسِن صناعة السُّنن، ويحفظ ألفاظها الصّحاح، ويقومُ بزيادة كلّ لفظة زادها في الخبر ثقة حتّى كأنَّ السُّنَنَ كُلّها بين عينيه إلّا محمّد بن إسحاق بن خزيمة فقط.

[١٨٤] عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان مِن أمّتي لا تنالُهما شفاعتي: ظَلُومٌ غَشُوم، وغالٍ في الدِّين»[3].

[١٨٥] عن غالب القطّان، قال: رأيت مالك بن دينار في المنام يقول: صنفان من النّاس لا تُجالسوهم؛ فإنّ مجالستَهما مفسدةٌ لقلب كلّ مسلم: صاحبُ بدعةٍ قد غلَا فيها، وصاحبُ دُنيا مُسرفٌ فيها.

[١٨٦] عن ابنِ عَمْرٍو، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّة،

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (٢٥٦١)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٣٧٥٦).

قال النوويُّ في «شرح مسلم» (٥/ ٢٧٤) حول هذا الحديث: «صريحٌ في إبطالِ كلِّ شرطٍ ليس له أصلٌ في كتاب الله -تعالى-، ومعنى قوله ﷺ: «وإن كان مئة شرط»؛ أنّه لو شرطه مئة مرّة توكيداً فهو باطل».

(٢) أخرجهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٥٠٦٣)، وأخرجهُ مسلمٌ في «صحيحه» (٣٣٨٩).

(٣) انظر: «السِّلسلة الصَّحيحة» لشيخنا الإمامِ الألبانيِّ -رحمه الله- رقم (٤٧٠)، ونصُّ الحديث: «صنفان مِن أمّتي لن تنالَهما شفاعتي: إمامٌ ظلومٌ غشومٌ، وكلُّ غالٍ مارقٍ».

ولِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَة، فمَن كانت فَتْرَتُه إلى سُنَّتي؛ فقد أفلحَ، ومَن كانت إلى غير ذلك؛ فقد هَلَكَ»(١).

[١٨٧] عن أبي واقد اللّيثيّ، قال: مررنا مع النّبيِّ ﷺ بشجرةٍ يُعلِّقُ بها المشركون أسلحتَهم يُقال لها: ذات أنواط، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «هذا كما قالتْ بنُو إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]»(٢).

[١٨٨] عن سليمان الأحول، قال: ما ذَكَرَ اللهُ هوىً في القرآن، إلّا ذمَّهُ.

[١٨٩] عن سُفيان بن عُيَيْنة، قال: قال رَجُلٌ لمالك: مِن أين أُحْرِم؟ قال: مِن حيثُ أحرمَ رسولُ الله ﷺ. فأعاد عليه مراراً، قال: فإن زِدْتُ على ذلك؟ قال: فلا تَفْعَل، فإنّي أخاف عليك الفتنة. قال: وما في هذا مِن الفتنة؟! إنّما هي أميالٌ أزيدُها. قال: إنّ الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]. قال: وأيُّ فتنةٍ في هذا؟! قال: وأيُّ فتنةٍ أعظم مِن أنْ تَرَى أنّك أصبتَ فضلاً قَصَّرَ عنه رسولُ الله ﷺ، أو ترى أنّ اختيارك لنفسك خيرٌ مِن اختيار الله؟!

[١٩٠] عن حُذيفةَ، قال: يا معشرَ القُرَّاء استقيموا؛ فقد سَبَقتُم سبقاً بعيداً،

---

(١) صحيح. انظُر: «صحيح ابن خزيمة» (٢١٠٥)، و«صحيح الجامع» (٢١٥٢).

(٢) حسَّنَ إسنادَه شيخُنا الألبانيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في تعليقِهِ على «السُّنّة» لابنِ أبي عاصم (ص٣٧).

وإنْ أخذتُم يميناً وشمالاً لقد ضللتُم ضلالاً بعيداً[١].

[١٩١] عن ابن عُمَرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«بُعثتُ بين يَدَي السّاعة بالسّيف، وجُعِلَ رزقي تحت ظلّ رُمْحِي، وجُعِلَ الصَّغَارُ على مَن خالَفَ أَمْرِي، ومَنْ تَشبَّهَ بقومٍ فهُو مِنْهُم»**[٢].

[١٩٢] قال حمّاد: كلَّما ازدادَ صاحبُ البدعة اجتهاداً، ازدادَ مِن الله بُعداً[٣].

---

(١) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٦٨٢٩).

(٢) صحيح. انظُر نحوه في «صحيح الجامع الصَّغير وزيادته» (٢٨٣١).

(٣) قلتُ: أُثِرَ نحوه عن أبي أيُّوب السّختيانيّ وعلَّق عليه العلّامةُ الشّاطبيُّ في «الاعتصام» (١/ ٢٠٤) بقولِه:

«ويُصحِّح هذا النّقلَ ما أشار اليه الحديثُ الصّحيح في قوله -عليه الصّلاة والسّلام- في الخوارج:

«يَخرُج مِن ضِئضِئِ هذا: قومٌ تَحقِرونَ صلاتَكُم مع صلاتِهِم، وصيامَكُم مع صيامهم...» إلى أن قال: **«يَمرُقون مِن الدِّين كما يَمرُق السَّهمُ مِن الرَّمِيَّة»**.

رواهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٧٤٣٢)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٢٤٥٢).

فبيَّنَ أولاً اجتهادَهم، ثمّ بيَّن آخراً بُعدَهم مِن الله -تعالى-.

وهو بيِّنٌ أيضاً مِن جهةِ أنه لا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ- كما تقدَّم- فكُلُّ عملٍ يعمله على البدعة، فكما لو لمْ يَعمَلْهُ.

ويزيدُ على تارك العمل بالعناد الذي تضمَّنه ابتداعه، والفساد الدّاخل على النَّاس به في أصل الشريعة وفي فروع الأعمال والاعتقادات، وهو يَظُنُّ مع ذلك أنّ بدعتَه تُقَرِّبُه مِن الله، وتُوصلُه إلى الجنّة.

=

[١٩٣] عن سفيانَ الثّوريّ، قال: كان الفقهاءُ يقولون: لا يَستقيمُ قولٌ إلَّا بعمل، ولا يستقيمُ قولٌ وعملٌ إلّا بنيّة، ولا يستقيمُ قولٌ وعملٌ ونيّة إلّا بنيّة موافقة للسُّنّة[١].

[١٩٤] عن محمّد بن مقاتلٍ، قال: سألتُ وكيعاً، قلتُ: إنّ عندنا قوماً يقولون: إنّ الإيمان لا يزدادُ، فقال: هؤلاء المُرجِئةُ الخبثاء، قال أهل الإيمان: لا يجزي قولٌ إلا بعملٍ، وبعقدٍ، وبإصابةِ السُّنّة، لو قد بقيتم، لجاءَكُم شيءٌ آخر.

قال ابنُ مقاتل: فيا ليتنا سألناه عن ذلك الشيء.

[١٩٥] عن محمّد بنِ الفضل بن سلمة، قال: قَلَّما جَلَسْنَا إلى فُضيل إلّا أتانا بهاتين الكلمتين: إنّ اللهَ لا يَقبلُ مِن العملِ إلَّا ما كان له خالصاً، ولا يَقبلُه إلا على السُّنّة.

[١٩٦] عن يوسف بن أسباط قال: أهلُ السُّنّة أقلُّ مِن الكبريت الأحمر.

[١٩٧] عن عَمْرِو بنِ العاص -رضي الله عنه-، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ آل أبي فلان لَيْسُوا لي بأولياء، إنّما وَلِيِّيَ الله وصالح المؤمنين»[٢].

= وقد ثَبَتَ النَّقلُ الصحيحُ الصريحُ بأنه لا يقرِّب إلى الله إلّا العملُ بما شَرَعَ، وعلى الوجه الذي شرع وهو - تاركه- وأنَّ البدع تُحبِطُ العمل- وهو ينتحلها-».

(١) قلتُ: سنده ضعيف. انظر «الاعتصام» (١/ ١٣٧) تحقيق شيخنا مشهور حسن.

قال البَرْبَهاريُّ في «شرح السُّنّة» (١٣٢): «ومَن قال: الإيمانُ: قولٌ، وعملٌ، يزيد وينقُص؛ فقد خَرَجَ مِن الإرجاء كُلِّه أوَّلِه وآخرِه».

(٢) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٥٩٩٠)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٥١٨).

[١٩٨] عن طاووس، قال: جاء رجلٌ إلى ابنِ عبَّاس، فقال: الحمدُ لله الّذي جعلني على هواكم. فقال: الأهواء كلّها ضلالة.

[١٩٩] عن زيد بن أرقم قال: مَن تمسَّكَ بالسُّنَّةِ وثَبَتَ؛ نَجَا، ومَن أفرط؛ مَرَقَ، ومَن خالفَ؛ هَلَكَ»[1].



(١) قال العلّامةُ ابن القيِّم في «مدارج السالكين» (٣ / ٩١٠ - مكتبة نزار الباز):

«وما أَمَرَ اللهُ بأمرٍ إلّا وللشيطانِ فيه نزعتان: إمّا إلى تفريط وإضاعة، وإمّا إلى إفراطٍ وغُلُوّ، ودينُ الله وَسَطٌ بَيْنَ الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بَيْن جبلَيْن، والهُدَى بَيْن ضلالتَيْن، والوسط بَيْن طرفَيْن ذميمَيْن، فكما أنَّ الجافي عن الأمر مُضيِّعٌ له، فالغالي فيه مُضيِّع له، هذا بتقصيرِه عن الحدّ، وهذا بتجاوُزِه الحدّ».

الباب الحادي عشر

إياك والبدع والتنطع وعليك بالأمر العتيق

باب كراهية التنطع(١) في الدِّين، والتكلف فيه، والبحث عن الحقائق، وإيجاب التَّسليم؛ قال الله -تعالى-:

﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

[٢٠٠] عن قَتادة في قولِهِ -تعالى-: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١]؛ قال: خُصومةٌ علَّمها اللهُ محمّداً ﷺ وأصحابَه يخاصمون بها أهل الضَّلالة.

[٢٠١] عن طارق بن شهاب، قال: قالت اليهودُ لِعُمَرَ بنِ الخطّاب - رضي الله عنه -: جَنَّةٌ عَرْضُها السّموات والأرض، فأين النّار مِن ذلك؟ قال:

---

(١) قال شيخُنا العلّامةُ الفقيهُ محمّدُ بنُ صالح العثيمين -رحمه الله- في «القول المفيد» (١/ ٥٠٣) - دار ابن الجوزي -:

«ما الفرقُ بَيْن: التَّنطُّعِ، والغُلُوِّ، والاجتهاد؟

الجواب:

الغُلُوُّ: مُجاوزةُ الحدّ.

والتَّنطُّعُ؛ معناه: التشدُّقُ بالشيءِ والتعمُّقُ فيه، وهو مِن أنواع الغُلُوّ.

أما الاجتهاد؛ فإنّه بَذْلُ الجهد لإدراك الحقِّ، وليس فيه غُلُوٌّ، إلّا إذا كان المقصودُ بالاجتهادِ كَثْرَةُ الطاعةِ غير المشروعة، فقد تُؤَدِّي إلى الغُلُوِّ...».

أينَ يَذهبُ الليلُ إذا جاء النّهار، وأيـن يـذهبُ النّهـارُ إذا جـاء الليـل؟ قـالوا: نزعت بها في التّوراة[1].

[٢٠٢] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يـزال يـستفتون حتّـى يقولَ أحدُكم: هذا اللهُ خلقَ الخلقَ، فمَن خلقَ اللهَ -عز وجل- ؟!»**[2].

[٢٠٣] قال أبو هريرة: إنّي لَجَالِسٌ ذاتَ يـومٍ، إذ قـال لي رَجُـلٌ مِـن أهـل العراق: يا أبا هريرة! هذا اللهُ خَلَقَنـا، فمَـن خَلَـقَ الله -تبـارك وتعـالى-؟ قـال أبـو هريـرة: فوضـعتُ إصـبعَيَّ في أُذنَيَّ، وصرخـتُ: صـدقَ اللهُ ورسـولُه! الله الواحد، الأحد، الصَّمد، لمْ يَلِدْ ولمْ يُولَد، ولمْ يَكُن له كفواً أحد.

[٢٠٤] عن ابنِ عُمَرَ، قال: العِلمُ ثلاثةٌ: كتابٌ نـاطِق، وسُـنَّةٌ قائمـةٌ، و(لا أدري)[3].

[٢٠٥] عن الشَّعبيّ، قال: (لا أدري): نصفُ العِلْم[4].

[٢٠٦] قال ابن مسعود: إذا سُئِلَ أحدُكم عمّا لا يدري فلْيَقُل: لا أَعلمُ؛ فإنّه ثلث العِلم.

[٢٠٧] عن مالك، عن ابنِ عجلان، عـن أبيـه، قـال: إذا أغفـلَ العـالِمُ (لا أدري)؛ أُصيبَتْ مَقاتِلُه.

---

(١) صحيح. انظُر «السلسلة الصحيحة» للإمام الألباني، تحت حديث (٢٨٩٢).

(٢) أخرجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (١٣٤) نحوه.

(٣) صحيح. انظُر « السلسلة الضعيفة» (٨/ ٤١١) لشيخِنا الإمام الألباني-رَحِمَهُ اللهُ- .

(٤) صحيح.

[٢٠٨] قال الشّافعيُّ: ما رأيتُ أَحَداً مِن النّاس فيه مِن آلة العِلم ما في ابن عُيَيْنَة، وما رأيتُ أحداً أحسنَ لتفسيرِ الحديثِ منه، وما رأيتُ أحداً أكفَّ عن الفُتْيَا منه.

[٢٠٩] قال الشّافعيُّ: لولا مالك وابن عُيَيْنَة لَذَهَبَ عِلْمُ الحجاز.

[٢١٠] عن أبي وائل، عن عبدِ الله بنِ مسعود؛ قال: إنَّ الّذي يُفتِي النّاس في كُلِّ ما يَسْتَفتُونَه لَمَجنون[1].

[٢١١] عن أنس: أنَّ رَجُلاً سأَلَ عُمرَ بنَ الخطّاب عن قوله -تعالى-: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١]: ما الأبُّ؟ فقال عمر: نُهينا عن التَّعمُّق والتَّكلُّف[2].

---

(١) صحيح.

(٢) صحيح. أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحِه» (٧٢٩٣) مُختَصراً. وانظُر «الفتح» (١٣/ ٢٨٥).

قال العلّامةُ الشاطبيُّ في «الموافَقات» (١/ ٤٣):

«كُلُّ مسألةٍ لا يَنْبَنِي عليها عَمَلٌ؛ فالخوضُ فيها خَوْضٌ فيما لمْ يَدُلَّ على استحسانِه دليلٌ شرعيٌّ، وأعنِي بالعمل: عمل القلبِ وعمل الجوارح، مِن حيثُ هو مطلوبٌ شَرعاً، والدليلُ على ذلك استقراءُ الشريعة، فإنَّا رأينا الشارعَ يُعرِضُ عمّا لا يفيد عملاً مُكلَّفاً به، ففي القرآن الكريم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[البقرة:١٨٩]؛ فوَقَّفَ الجوابَ بما يتعلَّقُ به العملُ، إعراضاً عمّا قَصَدَهُ السائلُ مِن السؤال عن الهلال... ثم قال: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[البقرة:١٨٩].

بناءً على تأويلِ مَن تأوَّل أنَّ الآيَةَ كلّها نزلَت في هذا المعنى، فكان مِن جُملةِ الجواب أنَّ هذا السؤالَ في التمثيلِ إتيانٌ للبيوتِ مِن ظُهورِها، والبرُّ إنَّما هو التَّقوى، لا العِلم بهذه الأمورِ التي لا تُفيدِ نَفْعاً في التكليفِ ولا تَجُرُّ إليه».

[٢١٢] وعن سعدِ بنِ أبي وقّاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعظم المسلمينَ في المسلمين جُرماً: مَن سأل عن أَمْرٍ لمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِن أجل مسألتِه**»[١].

[٢١٣] وعن سعدِ بنِ أبي وقَّاص، قال: كانوا يَسألونَ عن الشَّيء وهو حلال، فلا يزالون يسألون عنهُ، حتَّى يُحَرَّمَ عليهم، فإذا حُرِّمَ عليهم وَقَعُوا فيه».

[٢١٤] عن الحسن قال: شِرارُ عباد الله الّذين يتّبعون شِرارَ المسائل، يُعْمُون بها عبادَ الله[٢].

[٢١٥] عن عبدِ الله، قال: إيّاكم وصِعَاب القول[٣].

---

(١) أخرجهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٧٢٨٩)، ومسلم في «صحيحه» (٦٠٦٩).

(٢) صحيح.

(٣) إنّ مِن شرار المسائل وصعاب القول ما استُحدِث في هذا الزّمان مِن بدعةِ القولِ بِـ«الإعجاز العدديّ للقرآن» -زعموا- الّتي خاضَ فيها كلُّ جاهلٍ مُفْتَرٍ على القرآنِ بما لمْ يَعْرِفْهُ الصَّحابةُ ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ على مَرِّ العصور والدّهور، وأيُّ خيرٍ بأنْ تَرى نَفْسَكَ أهدَى منهم.

وكلُّ خيرٍ في اتّباعِ مَن سَلَفْ وكلُّ شرٍّ في ابتداعِ مَن خَلَفْ

ولِذا؛ أقولُ مُحرِّراً مُقرِّراً لِبُطلان هذا المذهب الرَّديء: الكلامُ في الإعجازِ العدديِّ لنا معهُ وقفات ووقفات:

الوقفة الأولى: ما هو مفهوم العدد في لُغة العرب التي نَزَلَ بها القرآن الكريم؟

نَظَرْنَا؛ فوَجَدْنَا أنّ له مفهومَيْن:

الأول: العدُّ؛ وهذا الّذي جاءت به اللُّغةُ العربيةُ والقرآنُ مِن نحوِ قولِه -تعالى-: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:١٩٦]، و﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:=

=٢٢]، و﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[المدثر: ٣٠].

قلتُ: فالعددُ هنا مقصودٌ؛ أُريدَ: الحَصْر والتّحديد.

الثاني: التّكثير والمبالَغة؛ كما جاء في بَعضِ استعمالات رَقْم سبعة، وسبعين، وسبع مئة وألف، كقولِهم: جئتُك ألف مرَّة ولم أجِدْك.

ونحو قولِه ﷺ: «سبعةٌ يُظلُّهم اللهُ في ظِلّه يومَ لا ظلَّ إلّا ظلُّه ...»، فالعددُ هنا لا مفهومَ له، ولا اعتبارَ له، بل قد ثَبَتَ أكثر مِن هؤلاء الذين يظلّون في ظلّ العرش ممّا يُؤكّد ضَعْف العدد، وأنّه لا مَفهومَ له.

ونحو قولِه -تعالى-: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠].

يُخبِرُ -جلّ وعلا- نبيَّه ﷺ بأنّ هؤلاء المنافِقين ليسُوا أهلاً للاستغفارِ، بل لو استغفر لَهُم سبعين مرّةً فلنْ يَغفِرَ اللهُ لهُم، وإنّما علّقَ الاستغفارَ بالعدد سبعين، حَسْماً لمادة الاستغفارِ؛ لأنَّ العربَ تَذْكُرُ السبعينَ وتُريدُ به المُبالَغة في كلامِها، ولا تُريد التحديدَ بها، فهي لا مفهومَ لها عندَهم -في مِثلِ هذا السِّياق-، وأنه مهما زادَ عليها فلَن يَغْفِر اللهُ لهم.

إذَن؛ جاء العددُ هنا للتّكثير والمبالَغة، وليس للحصر والتحديد، والّذي تَدُلُّ عليه القرائنُ مِن السّياق، والسّباق، والقرائن الحاليّة الدّالة على إرادة المبالَغة على ما جَرَى عليه فَهْمُ السَّلَفِ للآيةِ أو للعدّ.

وعليه؛ لمْ يَكُن في عُرْفِ العرب الأَقْحَاح، ولا العُرْف القرآني، ولا العُرْف النَّبويّ، ولا العُرْف الصَّحابيّ أنّ العددَ يَدُلُّ على شيءٍ خلاف ما تقدَّم، بحيثُ يُقالُ عدد الأبيات كذا والقوافي كذا، تجمع أو تطرح، فيكون مقصود الشّاعر خلاف الظّاهر، بل لو قيلَ هذا في أعرافِ العرب؛ لما أنكرُوا على قائلِه؛ لاعتقادِهم أنّه مجنونٌ أو به عُجْمَة تَمْنَعُهُ مِن فَهْمِ=

=مُرادِهم ومرامهم، وكذا القرآن والسُّنّة.

الوقفة الثانية: النّاظرُ والمتأمِّلُ للإعجازِ القرآنيّ يراه يتجلّى بقَطعيَّته على العموم بل على بعض آحاده، ممّا يُرشدُك إلى أنّ قاعدة الإعجاز لا بدّ أنْ تكونَ قد ضربت جذورها في أرضِ اليقين، لتقومَ ساقها وفرعها وأغصانها وأوراقها على قاعدةٍ ثابتةٍ لا تَتَزَعْزَع، حتّى تُؤتِي ثمارَها كلّ حينٍ بأمرِ ربِّها.

وليسَ الحالُ كذلك في الإعجاز العددي -المزعوم- الّذي أُسُّهُ وأساسُهُ قائمٌ على الشّكِّ والتّخمينِ، بل مجموعُهُ لو قامَ في سُوقِ العلم لَـمَا ساوَى أقلَّ أفرادِ الإعجاز القرآني -الثّابت عن السّلف الصّالح- في القُوَّةِ، فكيف يُنشأُ عِلْمٌ كاملٌ قائمٌ على الظّنِّ المرجوح الذي لا يُغْنِي من الحقّ شيئا؟!

وصَدَقَ اللهُ العظيمُ القائلُ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾.

الوقفة الثالثة: أنَّ العدَّ في القرآن -كما ثَبَتَ بالنّقلِ الصّحيحِ عند علماءِ العدّ- سبعةُ أنواعٍ - على الرّاجح -: العدّ المدني الأول وهو نحو (٦٢١٧) أو (٦٢١٤) آية على خلاف، والعدّ المدني الأخير نحو (٦٢١٤)، والعدّ المكيّ وهو نحو (٦٢١٠)، والعدّ البصريّ وهو نحو (٦٢٠٤)، والعدّ الدمشقي وهو نحو (٦٢٢٧) أو (٦٢٢٦)، والعدّ الحمصيّ وهو نحو (٦٢٣٢).

وبِناءً عليه؛ الإعجازُ العدديُّ -المزعوم- على أيِّ عدٍّ: آلبصريُّ أم الكوفيُّ أم ماذا؟

فإن قيل: على العدّ المكّيّ؛ قلنا: ألا يكون غيره؟ وما حدُّه وضابطُه؟

فإنْ كان غيرُه يُخالفه؛ فما العملُ والحسابُ الذي قمتُم به سيختلفُ قَطْعاً؟

ثمّ العدُّ الواحدُ؛ لماذا قمتُم بالضّرب والطّرح دون التّقسيم والجمع، فكل ناتج ينقض بنظيره؟ =

[٢١٦] وقال معاذ بن جبل: إيّاكَ والبدع والتَّبدُّع والتَّنطُّع، وعليك بالأمر العتيق.

[٢١٧] وقال ابنُ مسعود: يا أيّها النّاس! إنَّكم سَتُحْدِثُون ويُحْدَثُ لكم، فإذا رأيتُم مُحدَثاً؛ فعليكُم بالأمر الأوَّل.

[٢١٨] وعن إبراهيم في قولِهِ -تعالى-: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم:١٥]؛ قال: المُناكب للحقّ.

[٢١٩] وعن أيّوب السَّخْتيانيّ، قال: قلت لأبي قلابة: أوصِني! قال: أُوصيك بثلاث خصال احفظهنّ بعدي: كتاب الله لا تفسّره برأيك، وأصحاب محمّد لا تَذكُر واحداً منهم إلا بخير، والقَدَر لا تقولنَّ فيه شيئاً.



= فما ردُّهم علينا؟ هو ردُّنا عليهِم!
فسَقَطَ قولُهم مِن أُسِّه وأَساسِه.

إذن؛ مِن نِعَمِ الله نعمة العدد، الذي مِن فوائدِه في هذا الزمان كَشْف ضلال وزيغ هؤلاء المارقين، الذين يتقوَّلُون على القرآن بالخيال والهلوسة والمحال، الشيء الذي ما نَزَلَ على النبيِّ ﷺ والآل.

الباب الثاني عشر

التحذير من الاشتغال بغير الكتاب والسنة وأقاويل سلف الأمة

باب مخافة المصطفى ﷺ والسّلف الصّالح على مَن اشتغل بأقاويل أهل الكتاب، وعلى من أَكبَّ على كتابٍ سوى كتاب الله -تعالى- علماً منه ﷺ بما هو كائن فيهم من الكُتب المضلّة بعده

[٢٢٠] عن أبي سعيد الخدريّ، عن النّبيّ ﷺ قال: «**لا تكتُبوا غيرَ القرآن، فمَن كَتَبَ غير القرآن فلْيَمْحُه**»(١).

---

(١) أخرجَهُ مسلمٌ في «صحيحه» (٧٤٣٥).

قال النوويُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في «شرح مسلم» (١٨/ ٣٢٩- دار المعرفة):

«قال القاضي: كان بين السَّلَف من الصحابة والتابعين اختلافٌ كثيرٌ في كتابة العِلم، فكرِهَها كثيرُون منهم، وأجازها أكثرُهم، ثمّ أجمع المسلمُون على جوازها، وزال ذلك الخلاف.

واختلفُوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي:

فقيل: هو في حقِّ مَن يُوْثَقُ بحفظِه، ويخاف اتكالُه على الكتاب إذا كتب، ويحمل الأحاديث الواردة بالإباحة على مَن لا يُوْثَقُ بحفظِه.

وقيل: إنّ حديثَ النَّهيِ مَنسوخٌ بهذه الأحاديث، وكان النهيُ حين خِيفَ اختلاطُه بالقرآن، فلَمّا أُمِنَ ذلك؛ أُذِنَ في الكتابة. =

[٢٢١] عن أبي سعيد الخدريّ، قال: تَحدَّثُوا؛ فإنَّ الحديث يُهيِّج الحديث. قلت: أَكْتِبني. قال: أتريد أن تتَّخذه قرآناً؟! اسمَعْ كما كنّا نسمع.

[٢٢٢] عن إبراهيم التَّيميّ، عن أبيه، قال: خَطَبَنَا عليٌّ -رضي الله عنه-، فقال: مَن زَعَم أن عندَنا شيئاً نَقرأُهُ إلا كتابَ الله، وهذه الصَّحِيفة -صحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجِرَاحَات-؛ فقد كذَبَ. قال: وفيها قال رسول الله ﷺ: **«المدينة حَرُمٌ ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ، مَن أحدثَ فيها حَدَثاً، أو آوى مُحْدِثاً؛ فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والنّاسِ أجمعين، لا يَقبلُ اللهُ منه يومَ القيامة عَدْلاً ولا صَرْفاً»**(١).

[٢٢٣] قال الأوزاعيُّ -إمام أهل الشّام -رحمه الله-: لو كان خيراً ما

= وقيل: إنما نَهى عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفةٍ واحدة، لئلّا يختلط، فيشتبه على القارئ في صحيفةٍ واحدة، واللهُ أعلم».

قلتُ: هذا بالنسبة للوحيِ بنوعَيْه، فكيف الحالُ بمَن جَمَعَ مع القرآن المنطِق اليوناني، أو الهوى والوجد الشيطاني!؟

(١) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (١٨٧٠)، ومُسلمٌ في «صحيحه» (٣٣١٤).

قال الحافظُ ابنُ حجر (٤/ ١٠٣) شارحاً:

«وفي الحدِيث رَدٌّ لِـمَا تَدَّعِيه الشيعةُ بأنه كان عند عليٍّ وآل بيته مِن النبيِّ ﷺ أمورٌ كثيرةٌ أعلَمَهُ بها سِرًّا، تشتملُ على كثيرٍ مِن قواعد الدِّين وأمور الإمارة».

قلتُ: و(عَيْرٍ) و(ثورٍ): موضعَيْن مِن مواضع المدينة لبيان الحدود المحرّمة لها.

وانظُر الخلافَ حولَ لَفْظَة (ثور) في «شرح النووي على صحيح مسلم» (٩/ ١٤٦- دار المعرفة).

خُصصتُم به دون أسلافِكم، وإنَّه لم يُدَّخر عنهم خيرٌ خُبِّئ لكم دُونَهم بفضلٍ عندكم، وهم أصحابُ رسول الله ﷺ الذين اختارَهُم اللهُ وبعثَهُ فيهم ووصفهم بها وَصَفَهُم به. فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ...﴾ [الفتح:٢٩].

[٢٢٤] قال الحسنُ بنُ أبي الحسن: إنَّه والله لا يقبلُ اللهُ مِن مُبتَدِعٍ عبادةً: صلاةً ولا صوماً، وما ازداد المرءُ في بدعةٍ اجتهاداً، إلا ازدادَ مِن الله -تعالى- بُعداً[1].

[٢٢٥] عن عِرْباضِ بنِ سارية، قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبلَ علينا، فوَعَظَنا مَوعِظةً بَليغَة ذَرِفت منها العيون، ووجِلَت منها القلوب،

---

(١) قُلتُ:

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ في «التّفسير» (٤/ ١٥٩)عند قولِه -تعالى-: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ....﴾ [الأحقاف:١١]:

«وأمّا أهلُ السُّنَّة والجماعة فيقولونَ في كلِّ فعل وقول لمْ يَثبُت عن الصَّحابة -رضي الله عنهم-: هو بدعة؛ لأنّه لو كان خيراً لَسبقونَا إليه؛ لأنّهم لمْ يَترُكوا خصلة مِن خصال الخير إلّا وقد بادروا إليها».

وانظُر نحوه في«الموافقات» (٣/ ٢٨١-٢٨٤-٢٨٨).

قلتُ: ومعنى عدم قَبول عمل المبتدِع تَراهُ مُوَصَّلاً ومفصَّلاً بكلامٍ بديعٍ ماتعٍ عند العلّامة الشّاطبيّ في «الاعتصام» (١/ ١٨٤) وما بَعْدَه، تحقيق شيخنا الشّيخ مشهور حسن آل سلمان -حفظه الله-.

فقال قائلٌ: يا رسول الله! كأنَّ هذه موعظة مودِّعٍ فماذا تَعهَد إلينا؟ فقال: **«أوصيكُم بتقوَى الله، والسَّمعِ والطّاعة وإنْ عبداً حبشيًّا، فإنّه مَنْ يَعِشْ منكم بَعدِي فسيرَى اختلافاً كثيراً، فعليكُم بسنّتي وسُنّةِ الخلفاء الرّاشدين، تمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنّواجذ، وإيّاكم ومُحدَثات الأمور فإنَّ كُلَّ محدثةٍ بدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة»**[1].

[٢٢٦] عن عبد الرَّحمن بن مهدي يقول: ما كُنَّا نَعرِفُ كتاباً في الإسلام بعد كتاب الله أكثر صواباً مِن «مُوطّأ مالك»، وما منعهم أنْ يَكتُبوه إلّا مخافةَ أنْ يَفتَحُوا باباً يَدخُل منه آفة المضلِّين بكُتُبهم على الأمّة، تَحفُّظاً لما أوصى إليهم، واتّقاء ما حُذِّروه.



(١) حديث صحيح. انظُر: «صحيح سُنَن التِّرمذيّ» (٢٦٧٦)، و«صحيح سُنَن ابن ماجه» (٤٢).

الباب الثالث عشر

البصيرة بالحق

باب ذِكر إعلام المصطفى أمته كون المتكلمين فيهم

[٢٢٧] عن أبي ذرّ قال: تَرَكَنا رسولُ الله ﷺ وما طائرٌ يَطيرُ بين السَّماء والأرض، إلّا وهو يُذكِّرُنا عنه علماً(١).

[٢٢٨] عن محمّد ابن الحنفيّة، قال: لا تَنقضِي الدُّنيا حتّى تكونَ خصومتُهم في ربِّهم.

[٢٢٩] عن أبي هريرة، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «سيكونُ في آخرِ أمّتي أُناسٌ يُحدِّثونكم بما لمْ تَسمعُوا أنتم ولا آباؤكم، فإيّاكم وإيّاهم»(٢).

[٢٣٠] عن حذيفة، قال: إنَّ أصحابي يَتعلّمون الخير، وأنا أتعلّم الشَّرَّ. قيل: وما يَحملُك على ذلك؟ قال: إنّه مَن يَعْلَمْ مكانَ الشّرِّ يَتَّقِهْ.

[٢٣١] عن جابر بن سَمُرَة، قال: يكونُ بين يدَي السّاعة كذّابون.

[٢٣٢] عن حبيب بن أبي ثابت: أنَّ حذيفة -رضي الله عنه- لَـمَّا حَضَرَتْهُ

---

(١) صحيح. انظُر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٨٠٣) لشيخنا الإمام الألباني -رَحِمَهُ اللهُ-.

(٢) أخرجَهُ مُسلمٌ في مُقدِّمة «صحيحه» (١٦). وانظُر «صحيح الجامع» (٣٦٦٧).

الوفاةُ، دخل عليه أبو مسعود، فقال له: اعهَدْ إلينا، فقد كان رسول الله ﷺ يُحدِّثُك بأحاديث. قال: أوَمَا أتاك الحقُّ اليقين؟ قال: بلى. قال: اعْلَمْ أَنّ مِن أعمى الضَّلالة أنْ تَعرِفَ ما كُنتَ تُنكِر، أو أن تُنكِرَ ما كنتَ تعرف، وإيّاك والتَّلوُّنَ في دين الله، فإنَّ دينَ الله واحدٌ.



الباب الرابع عشر

أول ظهور أهل البدع

بابٌ في ذِكر أشياء من هذا الباب ظهرت على عهد رسول الله ﷺ

[٢٣٣] عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «بينما رَجُلٌ يَتبَخْتَرِ في بُرْدَيْنِ؛ خَسَفَ اللهُ به الأرض، فهو يَتَجَلْجَلُ فيها إلى يوم القيامة». قال فتى قد سمّاه في حُلَّة: يا أبا هريرة! أهكذا كان يمشي ذلك الفتى الذي خُسِف به؟ ثم ضرب بيديه، فعثر عثرةً كاد ينكسرُ منها، فقال أبو هريرة للمنخرين والفم: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥][(١)].

[٢٣٤] عن عبدِ الله بنِ مسعود، قال: قَسَمَ رسولُ الله ﷺ قِسْماً، فقال رَجُلٌ: إنَّ هذه لَقِسْمةٌ ما أُريدَ بها وجه الله! قال: فما مَلَكْتُ نفسي أنْ أتيتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه، فتغيَّر وجهُه -أو قال: لونه-. فقال عبدُ الله: فتمنَّيتُ أنّي أسلمتُ يومئذٍ، قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «قد أُوذِي مُوسى بأشدَّ مِن هذا فصَبَرَ»[(٢)].

[٢٣٥] عن عبدِ الله بنِ مسعود قال: لـمَّا كان يومُ حنين آثَرَ رسولُ الله ﷺ ناساً في القِسْمَة، فأعطَى الأقرعَ بنَ حابس مئةً مِن الإبِل، وأعطى عُيَيْنَةَ بنَ بدر

---

(١) أخرجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (٥٤٣٥).

(٢) أخرجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (٢٤٤٥).

مثل ذلك، وأعطَى ناساً مِن أشراف العرب وآثرَهُم. قال: فقال رَجُلٌ: إنَّ هـذه لَقِسْمةٌ ما عُدِلَ فيها، أو ما يُريد بها وجه الله! قال عبدُ الله: لَأُخبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ. فأتيتُه، فأخبرتُه بما قال الرّجلُ. قال: فتغيَّر وجهُ رسولِ الله ﷺ حتّى صار كالصِّرف[1]، قال: «فمَن يَعدِلُ إذا لمْ يَعدِل اللهُ ورسُوله؟!». ثمّ قال: «رَحِمَ اللهُ موسى! لقد أُوذِيَ بأكثرَ مِن هذا فصَبَرَ».

قال عبدُ الله: فقلتُ: لا جَرَمَ لا أرفعُ إليه بعدَها حديثاً[2].

[٢٣٦] عن أبي سعيد الخدريّ، قال: بينا رسول الله ﷺ يَقْسِمُ قِسْماً إذ جاءه ذو الخُوَيْصِرة التَّميميّ، فقال: اعدل يا رسولَ الله! قال: «ويلك! ومَن يعدلُ إذا لم أَعْدِل؟!»، فقال عمر بن الخطّاب-رضي الله عنه-: ائْذَنْ لي يا رسولَ الله فأضربُ عُنقه! فقال رسول الله ﷺ: «دَعْهُ، فإنَّ له أصحاباً يَحقِرُ أحدُكم صَلاتَه مع صلاتِه، وصيامَه مع صيامِه، يَمرُقون مِن الدِّين كما يَمرُقُ السّهم مِنَ الرَّميّة[3]، فيُنْظَرُ في قُذَذِه فلا يُوجَد شيء، ثمّ يُنْظَرُ في نَضيِّه[4] فلا يُوجَدُ شيء، ثمّ

---

(١) قال النوويُّ (١٥٨١٧): «(الصرف) -هو بكسر الصاد المهملة-؛ وهو: صبغ أحمر يُصبغ به الجلود. قال ابنُ دريد: وقد يُسمَّى الدَّمُ أيضاً: صرفاً».

(٢) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» (٢٤٤٤).

(٣) قال أبو العباس القرطبيُّ في «المُفهِم لما أشكل مِن تلخيص (كتاب مسلم)» (٤/ ١٣٣):

«(يَمرُقون): يخرجون، كما قد فسّره في الحديث الآخَر، وبهذا اللّفظ سُمُّوا: (المارقة) و(الخوارج)؛ لأنّهم مَرَقُوا عن الدِّين، وخرجوا على خيار المسلمين، و(الخوارج) جمع (خارجة)؛ يعني به: الطَّائفة والجماعة.

و(الرَّميَّة): المرميّة، فعليّة بمعنى مفعولة».

(٤) قال النَّوويُّ في «شَرحِه على (مسلم)» (٣/ ١٦٥): =

يُنْظَرُ في رَصافِهِ فلا يُوجَدُ شيء، ثمّ يُنْظَرُ في نَصْلِهِ فلا يُوْجَدُ فيه شيء، قد سَبَقَهُ الفَرْثُ والدَّم، آيتُهم رَجُلٌ أسود، إحدَى يدَيه مِثل ثَدْي المرأة، أو مِثل البَضْعَة تَدَرْدَرُ، يَخرُجُونَ على حين فَتْرَةٍ مِن النّاس»[1]. فنزلت: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة:٥٨] -الآية كلّها-[2].

[٢٣٧] عن أبي سعيد: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ بَيْن يَدَي هذا قوماً يَقرؤون القرآن، لا يُجاوِزُ حناجِرَهم، يَمرُقُون مِن الدِّين كما يَمْرُقُ السّهمُ مِن الرَّميّة، يَقتُلون أهلَ الإسلام، ويَدَعُون أهلَ الأوثان، فإنْ أنا أَدْرَكْتُهم لأَقْتُلَنَّهُم قَتْلَ عاد»[3].

[٢٣٨] عن المُغيرَةَ بنِ شُعبة، أن النّبيّ ﷺ قال: «لا يَزالُ مِن أُمّتي قَوْمٌ

= «أما الرِّصاف؛ وهو: مدخل النّصل من السّهم، والنّصل هو حديدة السّهم، والقدح عوده، والقُذذ... وهو ريش السّهم».

(١) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٦٩٣٣)، ومُسلمٌ في «صحيحه» (٢٤٥٣).

(٢) قلتُ:

قال ابنُ هبيرة: «وفي الحديثِ أنَّ قتالَ الخوارج أَوْلَى مِن قتال المُشركين، والحكمةُ فيه أنَّ في قتالِهم حفظَ رأس مال الإسلام، وفي قتالِ أهلِ الشِّركِ طلب الرِّبح، وحفظُ رأس المال أَوْلَى». انظُر «فتح الباري» (١٢/ ٣١٤- ط دار الرّيّان).

(٣) أخرجَهُ مسلمٌ في «صحيحه» (٢٤٤٨).

قال صاحبُ «المُفهِم» (٤/ ١٣٩):

«وذلك أنّهم لمّا حَكَمُوا بكُفْرِ مَن خَرَجُوا عليه مِن المسلمين استباحُوا دماءَهُم، وتركوا أهل الذّمة، وقالوا: نَفِي لهم بذِمَّتِهم، وعدلوا عن قتال المشركين، واشتغلُوا بقتال المسلمين عن قتال المشركين»!!

ظاهِرين على النّاس حتّى يأتيَهم أَمرُ الله وَهُم ظاهرون»[١].

وفي روايةٍ: «إلى أنْ تَقُومَ السّاعة».

[٢٣٩] عن ثوبان، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لن تزالَ طائفةٌ مِن أُمّتي ظاهِرين على الحقّ لا يَضرُّهم مَن خَذَلهم حتّى يأتيَ أَمْرُ الله»[٢].

[٢٤٠] عن معاويةَ -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن يُرِد اللهُ به خيراً يُفقِّهْهُ في الدِّين، ولا تَزالُ عصابةٌ مِن المسلمين يُقاتلون على الحقّ ظاهرين على مَن ناوأَهُم حتّى تقومَ السّاعةُ»[٣].

[٢٤١] عن مُطَرِّفٍ، قال: قال لي عمران بن حصين: «إني مُحَدِّثُك حديثاً أرجو أنْ يَنفعَكَ اللهُ به، أراك تُحبُّ الجماعةَ. قال: إنّي والله لَحَرِيصٌ على الجماعة. قال: فقال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَمْ تَزَلْ طائفةٌ مِن أُمّتي ظاهرين على الحقّ -أو قال: على الخَلْق-، لا يَضُرُّهم مَن خَذَلَهم -أو قال:فارَقَهم- حتّى يأتيَ أَمْرُ الله -أو قال:حتّى تَقومَ السّاعةُ-»[٤].

[٢٤٢] عن جابر، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تزالُ طائفةٌ مِن

---

(١) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٧٣١١)، ومُسلمٌ في «صحيحه» (٤٩٢٨).

(٢) أخرجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (٤٩٢٧).

(٣) أخرجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (٤٩٣٣).

(٤) قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم، ولمْ يخرِّجاه»، ووافقَهُ الذَّهبيُّ.

قال شيخُنا الألبانيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: وهو كما قالا. انظُر «السّلسلة الصَّحيحة» (٤/ ٦٠٢).

أُمَّتي يُقاتلونَ ظاهرين على الحقِّ إلى يوم القيامةِ, فيَنزِلُ عيسى ابنُ مريم, فيقول أَمِيرُهُم: صَلِّ لنا, فيقولُ: لا، إنَّ بعضَكُم على بعضٍ أُمَراءُ; تَكْرِمَةَ الله هذهِ الأُمَّةَ»[1].

[٢٤٣] عن الصّلت بن طريف, قال: سألتُ الحسن، فقلتُ: يا أبا سعيد! رَجُلٌ فاجِر قد عَلِمْتُ منه وقَتَلْتُه عِلْماً، فَذِكْرُه ذلك حين أَذْكُرُه منه أَغِيبةٌ هي؟ قال: لا; ولا كرامة, ما للفاجر حُرمة.

[٢٤٤] وعن مكّي بن إبراهيم, قال: كان شجعة يأتي عمران بن حُدير, فيقول: تعال حتّى نَغْتَابَ ساعة في الله.

[٢٤٥] عن محمّد بن بشّار, قال: ليس لأهل البدع غيبة.

[٢٤٦] عن يحيى بن سعيد، قال: سألتُ شُعبة, وسفيان بن عيينة, ومالكاً عن الرّجُلِ يكونُ فيه تُهمة أو ضعف: أَسكُتُ أو أُبيِّن؟ قالوا: جميعاً: بيِّن أمرَه[2].

---

(١) أَخرَجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (٣٩٣).

(٢) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «الفتاوى» (٢٨/ ٢٢٩):

«وأمّا الشخصُ المُعَيَّنُ فيُذْكَرُ ما فيه مِن الشّر في مواضع ... ومنها أنْ يكونَ على وجهِ النّصيحةِ للمسلمين في دينِهم ودُنياهم ... وإذا كان النُّصْحُ واجباً في المصالح الدينية الخاصة والعامة؛ مثل: نَقَلَة الحديث الذين يغلطون أو يكذبون، كما قال يحيى بن سعيد: سألتُ مالكاً, والثوريَّ, والليثَ بنَ سعد -أظنه -, والأوزاعيّ, عن الرَّجُلِ يُتَّهَمُ في الحديث, أوْ لا يحفظ? فقالوا: بيِّن أَمْرَه.

وقال بعضُهم لأحمدَ بنِ حنبل: إنّه يَثْقُلُ عَلَيَّ أنْ أقولَ فلانٌ كذا، وفلانٌ كذا! =

[٢٤٧] وعن أبي جعفر الحَذَّاء، قال: قلتُ لِسفيانَ بنِ عُيَيْنَة: إنَّ هذا يَتكلَّم

= فقال: إذا سكتَّ أنت وسكتُّ أنا؛ فمتى يَعرِفُ الجاهلُ الصحيحَ مِن السقيمِ؟!

ومثل أئمة البدع مِن أهل المقالات المخالِفة للكتاب والسُّنّة، أو العبادات المخالِفة للكتاب والسُّنَّة، فإنَّ بيانَ حالهم وتحذيرَ الأُمّةِ منهم واجبٌ باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمدَ بن حنبل: الرجلُ يصومُ ويصلِّي ويعتكفُ أحبَّ اليك؟ أو يتكلّم في أهل البدع؟

فقال: إذا قام وصلّى واعتكفَ؛ فإنَّما هو لِنَفْسِه، وإذا تَكلَّم في أهل البدع هو للمسلمين، هذا أفضل.

فبيَّنَ أنَّ نَفْعَ هذا عامٌّ للمسلمينَ في دينِهم مِن جنس الجهاد في سبيل الله، إذْ تطهير سبيلِ الله ودينِه ومنهاجه وشِرعتِه ودفع بَغْيِ هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجبٌ على الكفايةِ باتفاقِ المسلمين، ولولا مَن يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لَفَسَد الدِّين، وكان فسادُه أعظمَ مِن فسادِ استيلاء العدوِّ مِن أهل الحرب، فإنَّ هؤلاء إذا استولوا؛ لم يفسدوا القلوب، وما فيها مِن الدِّين إلّا تبعاً.

وأما أولئكَ فهُم يُفسدون القلوب ابتداءً ...

ثم القائلُ في ذلك بعِلمٍ لا بُدَّ له مِن حُسْنِ النية، فلو تَكَلَّم بحقٍّ لِقَصْدِ العُلُوِّ في الأرض أو الفساد؛ كان بمنزلة الذي يُقاتلُ حَمِيَّةً ورياءً، وإن تكلم لأجلِ الله -تعالى- مُخلِصاً له الدِّين؛ كان مِن المجاهِدين في سبيل الله مِن ورثةِ الأنبياء خلفاء الرسل.

وليسَ هذا البابُ مُخالفاً لقوله: «الغِيبَةُ: ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكرَه»؛ فإنّ الأخ هو المؤمن، والأخ المؤمن إنْ كان صادقاً في إيمانِه لمْ يَكرَه ما قُلتَهُ مِن هذا الحقّ الذي يُحبُّه اللهُ ورسولُه، وإنْ كان فيه شهادة عليه وعلى ذويه، بل عليه أنْ يقومَ بالقسط، ويكون شاهداً لله ولو على نَفْسِه أو والدَيْه أو أقربيه، ومتى كَرِهَ هذا الحقَّ كان ناقصاً في إيمانِه، ينقص مِن أُخُوَّتِه بقَدْر ما نَقَصَ من إيمانه...».

في القَدَر -أعني: إبراهيم بن أبي يحيَى-! فقال: عرِّفوا النّاسَ بِدْعَتَه، وسَلُوا ربَّكُم العافيةَ.

[٢٤٨] وعن عيسى بن يونس، قال: لا تُجالِسوا الجهميَّةَ، وبيِّنوا للنّاس أَمْرَهُم كي يَعْرفوهم فيَحْذروهم[1].



(١) قال العلَّامةُ الأصبهانيُّ في «الحُجَّة» (٢/ ٥٥٠):

«وتَرْكُ مُجالسَةِ أهل البدعة، ومُعاشرتهم سُنَّةٌ؛ لِئَلَّا تَعلقَ بقلوبِ ضعفاء المسلمين بعضُ بِدعتِهم، وحتّى يَعلَمَ الناسُ أنّهُم أهلُ البدعة؛ ولِئلَّا يكونَ مجالستُهم ذريعةً إلى ظهورِ بِدعتِهم».

الباب الخامس عشر

باب ذِكر إنكار أئمة الإسلام ما أحدثه المتكلمون في الدِّين من الأغاليط، وصعاب الكلام، والشبه والمجادلة، وزائغ التأويل والمهازلة، وآرائهم فيهم على الطبقات

[٢٤٩] عن عبدِ الله بنِ عبّاس -رضي الله عنهما-، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يَحْمِلُ هذا العِلْمَ مِن كُلِّ خَلَفٍ عُدُوْلُه، يَنفُون عنه تحريفَ الغالِين، وانتحالَ المُبطِلين، وتأويلَ الجاهلِين»(١).

الطبقة الأولى

من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم، ورضي عنهم-، وهم الذين قال الله -عز وجل- فيهم:

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة:١٣٧]

[٢٥٠] عن أبي بردة، قال: كَتَبَ عُمَرُ بنُ الخطّاب إلى أبي موسى: أمّا بعدُ:

---

(١) حديثٌ حَسَنٌ لغيره.

قال الحافظُ العلائيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في «بُغية الملتمس» (٣٤): «هذا حديثٌ حَسَنٌ غريبٌ صحيحٌ».

وكذا حَسّنَهُ: القسطلانيُّ في «إرشاد الساري» (١/ ٤)، وابنُ القيِّم في «طريق الهجرتين» (٦١٩)، والقاسمي في «قواعد التحديث» (٤٩).

فإنّ القضاء فريضةٌ محكمةٌ، وسُنَّة مُتّبعةٌ[١].

[٢٥١] عن عُمرَ بنِ الخطّاب -رضي الله عنه-، قال: إنّ حديثكُم شَرُّ الحديث، وإنّ كلامَكُم شرُّ الكلام، إنّكُم قد حدّثتُم النّاس حتّى قيل: قال فلانٌ، فتُرِك كتابُ الله، فمَن كان قائماً، فَلْيَقُم بكتاب الله، وإلّا فلْيَجْلِس، إنّ كلامَكُم شرُّ الكلام، وإنَّ حديثكم هو شرُّ الحديث.

[٢٥٢] عن سليمان بن يسار: أنَّ رجلاً يُقال له: صَبيغ قَدِمَ المدينة، فجَعَلَ يَسألُ عن مُتشابِه القرآن، فأرسَلَ إليه عُمَرُ، وقد أعدَّ له عراجين النّخل، فقال: مَن أنت؟ قال: أنا عبدُ الله صَبيغ. فأخذَ عرجوناً فضَرَبَهُ، وقال: أنا عبدُ الله عُمر. فجعل له ضَرْباً حتّى دمّى رأسَه، فقال: يا أمير المؤمنين! حَسْبُك، قد ذهب الّذي كنتُ أجده في رأسي[٢]!

[٢٥٣] عن أَبِي عُثمان النّهديّ، قال: كَتَبَ إلينا عُمَرُ: لا تُجالِسُوا صَبيغاً، فلو جاءَ ونحنُ مِئة نَفَر لَتفرَّقْنا عنه -ولَربّما قال: لَـمَا جالَسْناه-.

---

(١) صحيح. انظُر تحقيق شيخنا مشهور حسن على «الإعلام» لابن القيّم (٢/ ١٥٩).

(٢) صحيح. انظُر «سلسلة الآثار الصحيحة» (٢/ ١٩٦).

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «الفتاوى» (٤/ ٣): «... ثمّ أُمِرَ به، فضُرِبَ ضرباً شديداً، وبعث به إلى البصرة، وأمرَهم أنْ لا يُجالسوه، فكان بها كالبعير الأجرب، لا يأْتي مَجلِساً إلا قالوا: (عزمة أمير المؤمنين)، فتفرَّقوا عنه حتى تاب وحَلَفَ بالله ما بقي يجدُ مما كان في نَفسِه شيئاً، فأذِنَ عُمَرُ في مُجالستِه، فلمّا خَرَجَت الخوارجُ أُتي، فقيل له: هذا وقتُك، فقال: لا! نَفَعَتْنِي موعظةُ العبدِ الصالح».

[٢٥٤] عن الشّافعيّ، قال: حُكْمِي في أهل الكلام حُكمُ عُمر في صَبيغ.

[٢٥٥] عن عليٍّ أنّه أوصَى، فقال: الاختلافُ حالقةُ الدِّين، وفسادُ ذات البَيْن، وإيّاكُم والخُصومات؛ فإنّها تُحبِطُ الأعمال، والاختلافُ يدعو إلى الفِتنةِ، والفتنةُ تَدعو إلى النّار، ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

قال المؤلّفُ:

«وأوّلُ كلمة رَدَّت على المتكلِّمين في هذه الأمّة وأجودُها كلمةُ عليٍّ بنِ أبي طالب -رضي الله عنه- للمحكّمة حين قالوا: لا حُكْمَ إلا لله، فقال: كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطل».

[٢٥٦] قال عبدُ الله بنُ مسعود: تَعلَّمُوا العِلْمَ قَبْلَ أن يُقْبَضَ، وقَبْضُه أن يَذْهَبَ أهلُه، وعليكُم بالعِلم، فإنَّ أحدَكم لا يَدري متى يفتقرُ إلى ما عندِه، وإنّكم تَجدُون أقواماً يقولون: إنّهم يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورِهم، فعليكُم بالعلم، وإيّاكم والتّبدُّع، وإيَّاكم والتّنطُّع، وإيّاكم والتَّعمُّق، وعليك بالعتيق[1].

[٢٥٧] عن ابنِ مسعود، قال: لا تُمكِّنْ صاحبَ هوىً مِن أُذُنَيْك؛ فيَقْذِفَ فيهما داءً لا شفاءَ له[2].

---

(١) صحيح. انظر «الموافقات» (٤/ ٢٨٠ - ٣٢٨) تحقيق شيخنا مشهور حسن.

(٢) قلتُ:

ومِن الأدواء التي لا شفاء لها: الكفرُ والإلحادُ -إلّا أنْ يشاءَ اللهُ- فكَم مِن قتيلٍ=

[٢٥٨] عن عبدِ الله بنِ مسعود، قال: لو تَركتُم سُنّة نبيِّكُم ﷺ لضلَلْتُم.

[٢٥٩] عن ابنِ عمرَ قال: إنّ القدريّة حَمَلُوا ضَعْفَ رأيِهم على مقدرةِ الله -تعالى-: وقالوا: لِمَ؟ ولا ينبغي أن يقال لله -عز وجل- : لِمَ؛ لأنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

[٢٦٠] عن مجاهد، قال: قيل لابنِ عُمر: إنّ نجدة[1] يقول: كذا وكذا:

=وصريعٍ لنارِ شبهاتهم في القديم والحديث.

فمِن ذلك ما قالَهُ الذهبيُّ في «سِيَرِه» (١٤/ ٥٩) في ترجمة الرِّيوَنْدِيّ:

«وكان يُلازِمُ الرَّافِضَةَ والملاحِدَةَ، فإذا عُوتِبَ، قال: إنّما أريدُ أن أَعْرِفَ أقوالهم.

إلى أنْ وَقَعَ في مُستنقَعِ الإلحادِ والكفر والزَّندقة! فألَّف «الدَّامغ» ليدمغ به القرآن! و«الزُّمُرُّدَة» يَزدري فيه على الأنبياء... نعوذ بالله من هذا البلاء».

قُلْتُ:

ومِن حديث أيامنا، في بعض جامعاتنا! موضع مِن مواضع آلامِنا، جَرْحٌ قد نَزَفَ لأمرٍ عظيم قد أَزِفَ، طالبةٌ مسلمةٌ قد تَسَرْبَلَت بالحجابِ وَقَعَت ضحيّةً للشبكة العنكبوتية (الإنترنت) بَحثاً في أقوال أهل الإلحاد والرّدّ عليهم! فإذا بها قد انْفَتَنَت وارتدَّت!! وعن طريق الحق تَنكَّبَت، فأصبحت وأضحت تَطعن بالقرآن وبالنبيِّ العدنان ﷺ، نعوذُ بالله المَلِك الديَّان.

ومِن الأدواء التي لا شِفاءَ لها إلّا ما شاء اللهُ - وقليلٌ ما هم - جُذام البدع، الذي يُذِل ويضع.

(١) نجدة؛ هو: ابن عامر الحَرُوريّ، مِن رؤوس الخوارج، وله تُنسَبُ النَّجدات، وهم من طوائف الخوارج.

فأَدخلَ أُصبعَيْه في أُذنَيْه مخافةَ أنْ يَدخُلَ قَلْبَه منه شيءٌ!

[٢٦١] عن يزيد بن عميرة -وكان من أصحاب معاذ-، قال: لما حَضَرَتْ معاذاً الوفاةُ، جَعَلْتُ أبكي، فقال: ما يُبكِيك؟ فقلتُ: والله، ما أَبكِي على رَحم بيني وبينك، ولا دنيا أنالها منك! ولكنْ أبكِي على الحِكَمِ والعلمِ يذهبان! فقال: الحِكَم والعِلْمَ مكانهما، فاطلُبْهما مِن حيثُ طلبَهُما إبراهيمُ -عليه السّلام-، واطلُبُوا العِلْمَ بَعدِي عند أربعة نفر: ابنِ مسعود، وأبي الدّرداء، وسلمانَ، وابن سَلَام، فإنْ أَعْيَوْكَ به فسائر النّاس به أَعْيَا، واحْذَرْ زَلَّةَ العالِمِ، قلتُ:وما زلّةُ العالمِ؟ قال: كلمةُ الضّلالة يُلقيها الشّيطانُ على لسان أحدِهم، وخُذ العِلْمَ وإن كان مِن مُنافِق، واعْلَمْ أنَّ على الحقّ نُوراً، وإيّاكُم ومُغْمِضات الأمور[1].

---

(١) وأخرجَ أبو داود في «سُننِه» (٤٦١١) - توضيحاً، وبياناً - بالسند الصحيح عن يزيد بن عَمِيرَة - وكان من أصحاب معاذ بن جبل - قال: كان لا يجلسُ مجلساً للذِّكْرِ حين يجلس إلا قال: اللهُ حَكَمٌ قِسطٌ، هلك المرتابون.

فقال معاذ بن جبل - يوماً -: إنّ مِن ورائكم فتناً يكثُر فيها المال، ويُفتحُ فيها القرآن حتى يأخُذَه المؤمن والمنافق، والرجلُ والمرأة، والصغير والكبيرُ، والعبد والحرّ، فيوشك قائلٌ أن يقولَ: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأتُ القرآن؟! ما هم بمُتّبعيَّ حتى أبتدعَ لهم غيرَه!! فإياكم وما يُبتدَع، فإنّ ما ابتُدِع ضلالة، وأُحذِّركم زيغةَ الحكيم، فإنّ الشيطان قد يقول كلمةَ الضلالة على لسان الحكيم! وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحقّ!

قال: قلتُ لمعاذ: ما يدريني - رحمك الله - أن الحكيم قد يقول كلمةَ الضلالة، وأنّ المنافق قد يقولُ كلمةَ الحقّ؟!

قال: بلى، اجتنِب مِن كلام الحكيم المُشتهِرات -أي: المُسَلَّمات- التي يُقال لها: ما=

[٢٦٢] قال حُذيفةُ بنُ اليمان: لَيَأْتِيَنَّ على النّاس زَمانٌ يَشْتَبِهُ الحقُّ والباطل، فإذا كان ذلك الزّمان لا ينفع.

[٢٦٣] عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ، قال: ما كنتُ بشيءٍ بَعْدَ الإسلام أشـدَّ فرحـاً مِن أنّ قلبي لم يَشُبْهُ شيءٌ مِن هذه الأهواء.

[٢٦٤] كان ابنُ مسعود يقول: مَن كان مِنكُم مُؤتَسِياً، فلْيَـأْتَسِ بأصـحابِ محمّد ﷺ؛ فإنّهم كانوا أبـرَّ هـذه الأمّـة قُلوبـاً، وأعمقَهـا عِلـماً، وأقلَّهـا تَكلُّفـاً، وأقومَها هَدْياً، وأحسنَها أخلاقاً، اختارَهم الله -تعـالى- لِـصُحْبَةِ نَبيِّـه، وإقامـة دِينِه، فـاعْرِفُوا لهـم فَـضْلَهم، واتّبعـوهُم في آثـارِهم، فـإنّهم كـانوا عـلى هـدىً مُستقيم[١].

[٢٦٥] عن ابنِ عبّاس في قولِه-تعالى-:﴿وَلَا جِـدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[البقرة:١٩٧]؛ قال: جدال النّاس، ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة:١٣٧]: يُخاطِبُ به الصّحابة.

=هذه؟! -أي: إنكاراً لها- ولا يثنيك ذلك عنه، فإنّه لعله أن يراجعَ، وتَلَقَّ الحقَّ إذا سمعتَه فإنّ على الحقّ نوراً».

وانظر - يا رعاك الله - : «الموافقات» (٥/ ١٣٢) -للشاطبي- فإنّه نفيس جدّاً.

(١) إسنادُه ضعيفٌ. لكِنْ يَشهدُ لمعناه ما وَرَدَ عن ابنِ عُمَر -رضي الله عـنهما-، انظُـره في «الإعلام» (٥/ ٥٧٩).

الطبقة الثانية
وهم المتقدمون من فقهاء التابعين من البلدان

[٢٦٦] عن الحسن، قال: المؤمنُ على بَيِّنةٍ مِن ربّه.

[٢٦٧] عن ابن سيرين، قال: لمْ يَكُن يُسأَلُ عن الإسناد في الحديث، حتّى وقعَت الفتنةُ، فلمّا وقعت الفتنة سُئلَ عن الإسناد في الحديث، ليُنْظَر أهلُ السُّنّة، فيُؤخذ حديثُهم، ويُنْظَر أهلُ البدعة، فيُردّ حديثُهم.

[٢٦٨] عن الحسن، قال: لا تجالس أصحابَ الأهواء وإنْ ظننتَ أنّ عندك الجواب(١).

[٢٦٩] عن هشام، قال: كان الحسنُ ومحمّد يقولان: لا تُجالِسوا أصحابَ

---

(١) قال ابنُ بطّة في «الإبانة» (٢/ ٤٧٠) تعليقاً على قول النبيِّ ﷺ: «مَن سَمِعَ منكُم بخروج الدجال؛ فَلْيَنْأَ عنه ما استطاع، فإنَّ الرجلَ يأتيهِ وهو يَحْسَبُ أنهُ مؤمنٌ، فما يزالُ به حتّى يتبعَه، لِـمَا يرَى مِن الشبهات»:

«فاللهَ اللهَ معشرَ المسلمين! لا يَحمِلَنَّ أحداً منكم حُسْنُ ظنِّه بنفسه، وما عَهِدَ مِن معرفته بصحَّة مذهبِه على المُخاطرَة بدينِه في مُجالَسَةِ بعض أهل هذه الأهواء، فيقولُ: أُداخِلُه لأناظره، أو لِأَستخرِجَ منه مَذهبَه، فإنَّهم أشدُّ فتنةً من الدَّجّال، وكلامُهم أَلصَقُ من الجَرَب، وأحرقُ للقلوب من اللَّهب، ولقد رأيتُ جماعةً مِن الناس كانوا يَلْعَنُونَهم ويسبُّونَهم، فجالسُوهم على سبيل الإنكار والرّد عليهم، فما زالت بهم المباسطة وخَفِيُّ المكر ودقيق الكُفر حتى صَبَوا إليهم!».

الأهواء، ولا تَسمَعُوا منهم، ولا تجادِلُوهم[1].

[٢٧٠] عن مَعْمَر، قال: كان ابنُ طاووس جالساً، فجاء رَجُلٌ مِن المُعتزِلَة، فجَعَلَ يَتكَلَّم، قال: فأَدْخَلَ ابنُ طاووس إِصبعَيْه في أُذنَيْه، وقال لابنِه: أيْ بُنـيّ! أدخِلْ إِصبعَيْك في أُذنيك واسْدُد، لا تَسْمَع مِن كلامه شيئاً. قال مَعْمَـر: يعنـي: أنّ القلبَ ضعيف.

[٢٧١] عن عبدِ الرَّزّاق، قال: قال لي إبراهيم بن أبي يحيى: إنّي أرى المُعتزِلة عندَكم كثيراً، قال: قلتُ: نعم. ويَزعُمون أنّك منهم، قال: أفلا تَدخُلُ معي هذا الحانوت حتّى أكلِّمَكَ؟ قلتُ: لا. قال: لِمَ؟ لأنّ القلب ضعيف، وإنّ الدّين ليس لمَن غلَب.

[٢٧٢] عن عِكرِمَة، قال: إنَّ للعِلْمِ ثَمَناً. قالوا: وما ثَمَنُه؟ قال: أنْ يضعَه عند مَن يُحْسِنُ حِفْظَه ولا يُضَيِّعُه.

---

(١) بل قال الإمامُ أحمدُ: «لا تُجالِس أصحابَ الكلام، وإنْ ذَبُّوا عن السُّنّة». «المنهج الأحمد» (١/ ٣٢٧).

قلتُ: وعلى هذا النّسق وإن جاهدوا في سبيل الله فلا يَغُرَّنَّكُم جهادُهم ولا أعمالُهم ما لمْ تكُنْ جهاداً وصلاةً وعبادةً على منهج وطريق النبي ﷺ، ولذا اغترَّ كثيرٌ مِن الناس بجهاد (حزب الله)!! وهم الذين يطعنون في عِرْضِ أمِّنا عائشة -رضي الله عنها-، ويُكفِّرون الصحابةَ الكرام - رضي الله عنهم -، ويستغيثون بغير الله (كالحسين) -رضي الله عنه-، إلى غيرها مِن الكُفريّات والبلايا والرزايا، مع تقتيلِهم لأهل السُّنة في العراق وسُوريا واليمن وغيرها ممّا هو مُشاهَدٌ مِن حالهم، قاتلَهُم اللهُ أنّا يؤفكون!!

[٢٧٣] عن عطاء بن أبي رباح في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾ [الأنعام:١٥٩] قال: هم أصحابُ الخصومات والمِراء في دِين الله(١).

---

(١) وقفةٌ قرآنيةٌ منهجيّة:

قال الحافظ الرَّسعَنِي الحنبلي في «رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز» (٢/ ٩٥):

«قوله -تعالى-: ﴿إن الذين فارقوا دينهم﴾ قرأ عليّ -عليه السلام- وحمزة والكسائي: ﴿فارقوا﴾ بزيادة ألف، وقرأ باقي القُرَّاء السبعة: ﴿فَرَّقُواْ﴾ بتشديد الراء مِن غير ألف، وفي المشار إليهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أهل الضلالة مِن هذه الأمة. قاله أبو هريرة.

فعلى هذا معنى ﴿فارقوا دينهم﴾: باينُوه، وتركُوه جانباً، واتبعُوا أهواءَهم، ومعنى: ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾: آمنوا ببعضِه وكفرُوا ببعضه، كالمعتزِلة والرافضة، فإنهم آمنوا بكثيرٍ مما جاءهم به النبيُّ ﷺ وكفرُوا بكثيرٍ منه، فإنّهم لا يؤمِنون بكثيرٍ مِن أحوال الآخرة، كعذاب القبر، وإخراج المؤمنين من النار بالشفاعة، والنظر إلى وجه الله -تعالى- في الجنة.

ويجوزُ أن يكون معنى: ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ﴾: صاروا أشياعاً وفِرَقاً.

القول الثاني: أنهم أهل الكتاب. قاله ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد.

فالمعنى: فارقوا دينهم الذي جاءهم به موسى وعيسى.

ومعنى: ﴿فرّقوا دينهم﴾: صاروا فِرَقاً وشِيَعاً، أو هو إيمانهم بالبعض وكفرهم بالبعض.

القول الثالث: أنهم المشركون. قاله الحسن.

ومعنى: ﴿فارقوا دينهم﴾؛ أي: تركُوا دينَ إبراهيم وإسماعيل، وعبدوا الأصنامَ، وفارقوا دينَهم الذي جاءهم به محمد ﷺ. =

[٢٧٤] عن مُطرِّف؛ قال: أكثرُ أَتْباع الدَّجَال: اليهودُ وأهلُ البدع[١].

[٢٧٥] عن مجاهد في قولِه -تعالى-: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣] قال: البدع والشُّبهات[٢].

[٢٧٦] عن مُجاهِد، قال: ما أدري أيُّ النّعمتَيْن أعظم: أنْ هداني للإسلام، أو عافاني مِن هذه الأهواء؟!

[٢٧٧] عن أبي الجوزاء -وذَكَرَ أهلَ الأهواء فقال-: لَأَنْ تَمتلِئَ داري قِرَدَةً وخنازير أحبّ إليَّ من أَنْ يُجاورَنِي رَجُلٌ مِن أهلِ الأهواء.

= ومعنى: ﴿فَرَّقُوا﴾: صاروا فِرَقاً وشِيَعاً، وذهبوا إلى التكذيب به كلَّ مذهب فهؤلاء يقولون: كهانة، وهؤلاء يقولون: سحر، وهؤلاء يقولون: أساطير الأولين».

قلتُ:

ولا مانع مِن حمل الآية على كل هؤلاء، فكل مَن فرَّق الدِّين ابتداءً فلا بُدّ مِن أنْ يُفارقَ انتهاءً -إلّا مَن رَحِمَ الله-، وهذا مُشاهَدٌ في كلِّ مَن ذُكِر، وبذا نَعلمُ جمالَ تلك الكلمة الأثريَّة السَّلفيَّة: (البدعة بريد -أي: طريق- الكفر!).

نسأل اللهَ السّلامة.

(١) قلتُ:

وقد صحّ عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «يَنشأُ نَشْءٌ يقرؤون القرآن، لا يُجاوزُ تراقيَهم، كلّما خرج قرنٌ قُطِع، كلّما خرج قرنٌ قُطِع، حتّى يخرج في أعراضهم الدّجّال». «صحيح الجامع» (٨١٧١-٣٢٤٦).

(٢) صحيح. انظر «سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ٩٤).

[٢٧٨] عن عَطاء الخُراسانيِّ، قال: ما يكادُ الله أنْ يَأذنَ لِصاحبِ بدعةٍ بتوبة.

[٢٧٩] كان الحسنُ يَنْهى عن مُجالَسةِ مَعْبَد[1]، ويقول: إنّه ضالٌّ مُضِلٌّ[2].

[٢٨٠] قال الحسنُ: أهلُ البدع بمنزلةِ اليهود والنّصارى[3].

---

(١) وهو: معبد الجُهنيّ؛ من رؤوس أهل البدع، وهو أوّل مَن قال بالقَدَر في البصرة. انظُر «صحيح مُسلم» (١).

(٢) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٣٢٢).

(٣) قلتُ:

هذا لا يَلزمُ منه تكفير أهل البدع بعامّة -بل هم بحَسَب حالهم-، إنّما المقصود أنّ أصلَ الشّبهة عندهم واحدة.

قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (٢٨/ ١٣٢): «واتّباع الأهواء في الدِّيانات أعظم من اتّباع الأهواء في الشّهوات؛ فإنّ الأوّل حال الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين كما قال -تعالى-: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

ولهذا كان مَن خرجَ عن مُوجَب الكتاب والسُّنَّة من العلماء و العُبَّاد يُجعَلَ من أهل الأهواء؛ كما كان السّلف يُسمونهم: أهل الأهواء وذلك أنّ كلّ من لم يتبع العلم فقد اتّبع هواه».

ولذا؛ قال ابنُ القيّم في «بدائع الفوائد» (٢/ ٣٢): «وكان السّلف يقولون: مَن فسد مِن علمائنا ففيه شَبَهٌ مِن اليهود، ومَن فسد مِن عُبَّادنا ففيه شَبَهٌ مِن النّصارى».

وانظُر -يا رعاك الله-: «الفتاوى» (٨/ ٢٥٩) لشيخ الإسلام ابن تيميّة- رَحِمَهُ اللهُ -.

[٢٨١] عن القاسم بن محمّد، أنّه مَرَّ بقومٍ يَذكُرونَ القَدَر، فقال: تَكَلَّمُوا فيما سَمعتُم اللهَ ذَكَرَ في كتابه، وكُفُّوا عمّا كفَّ اللهُ عنه.

[٢٨٢] عن عاصم، قال: كان إذا جَلَسَ إلى أبي العالية أكثر مِن أربعة قام، وقال: عليكم بالقرآن، فتعلَّموه، فإذا تعلَّمتُمُوه، فلا ترغبوا عنه، وإيّاكم وهذه الأهواءَ المتفرّقة، فإنّها تُورِثُ بينكُم العداوةَ والبغضاءَ، وعليكُم بالأمرِ الأوّل الّذي كانوا عليه قَبْلَ أنْ يَفعلُوا الّذي فَعَلُوا.

قال: فحدَّثْتُ به الحسنَ، قال: صدق واللهِ ونَصَح.

وزاد في روايةٍ: فإنّي قرأتُ القرآنَ قَبْلَ أنْ يفعلوا الّذي فعلوا.

قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-:

«يعني: قَتْلَ عُثمان -رضي الله عنه-».

[٢٨٣] عن أبي العالية، قال: قرأتُ القرآنَ بَعْدَ وفاةِ نَبيِّكم ﷺ بعشر سنين، وقد أَنْعَمَ اللهُ عليَّ نعمتَيْن؛ فلا أدري أيّتهما أعظم: أنْ هداني للإسلام، ثمّ لمْ يَجعَلْنِي حَرُوريًّا؟!

[٢٨٤] عن الشَّعبيِّ، قال: إنّما سُمِّيَ هوىً؛ لأنّه يَهوِي بأصحابه[1].

---

(١) قلتُ:

ذلك أنّه تَأَلَّه هواه فوقع في شباك الشيطان، فاتبع الوَجد تارةً، والشهوات تارةً أُخرى، حتى عبدَ هواه مِن دون الله؛ كما قال -تعالى-: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ=

=عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣]، وما جاءت الشريعة إلا لتخرجك من داعي هواك إلى داعي مولاك؛ كما قال -عزَّ مَن قال-: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ . فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

ولذا؛ كان اتباعُ الهوى مانعاً للمشركين مِن الاستجابة للحقّ المُبين.

قال ربّ العالمين: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٥٠].

وهذا يرشدك أن التوحيد واتِّباع صنم الهوى متضادَّان لا يجتمعان، ولذا؛ بَعث الله رُسُله لكسر الأصنام والطواغيت التي تُعبد من دون الله، ومنها صنم الهوى الذي كَسْرُه مخالفتُه، ذاك أنّ الله -سبحانه وتعالى- جعل للعبدِ عقلاً وهوىً، فأيهما غلب؛ ذهب الآخر كما قال أحمد شوقي:

إذا رأيتَ الهوى في أُمّة حَكَماً فاحكُم هنالك أنّ العقلَ قد ذهَبا

ولهذا؛ فلا بدَّ من جهاد النفس والهوى، حتى يتمكَّن من جهاد الكفار والمنافقين، فمِن سُنن القتال: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [التوبة:١٢٣].

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة -كما في «المُستدرَك على مجموع الفتاوى» (٢/ ٢١٢)-:

«جهادُ النفس والهوى أصلُ جهاد الكفار والمنافقين؛ فإنّه لا يقدِرُ على جهادهم حتى يجاهدَ نفسَه وهواهُ أولاً حتى يخرجَ إليهم».

ومن هنا تعلم سرّ تشبيه أَتباع الهوى بأخسِّ الحيوانات صورةً ومعنىً، فشبَّههم بالكلب تارةً فقال: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ...﴾ [الأعراف:١٧٦]، وبالحُمُر المستنفِرة تارةً أخرى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ . فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر:٥٠-٥١]. =

[٢٨٥] عن أبي إدريس الخولانيّ، قال: لَأَنْ أرَى في المسجدِ ناراً تَضْطَرِمُ أحبُّ إليَّ مِن أنْ أرَى فيه بدعةً لا تُغيَّر[١].

[٢٨٦] عن الحسن، قال: العَالِمُ: الزّاهدُ في الدُّنيا، الرّاغبُ في الآخرة، المُتَمَسِّكُ بسُنَّةِ رسولِ الله ﷺ.



= وقَلَبَ صُوَرَهم إلى صورة القردةِ والخنازيرِ، وهكذا في خِسَّتِهم يتقلَّبون، وفي وحل الغِلّ يتردّدون، وفي مستنقع الهوى هائمون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

انظر (الباب الأخير) من كتاب «روضة المُحبِّين ونزهة المشتاقين» للعلاّمة ابن القيّم -رحمه الله-.

(١) صحيح. انظر «الاعتصام» (١/ ١٣٤) تحقيق شيخنا مشهور حسن.

الطبقة الثالثة

[٢٨٧] عن جعفر بنِ برقان: أنَّ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز قال لِرَجُلٍ، وسأله عن شيءٍ مِن الأهواء: عليك بدِينِ الصَّبيّ الّذي في الكُتَّاب، والأعرابيّ، وَٱلْهُ عمّا سواهما.

وإليه ذَهَبَ داود بن عليّ الأصبهانيّ في قوله: عليكُم بدِين العجائز.

[٢٨٨] عن الضّحّاك قال: قُرِأَ علينا كتابُ عُمرَ بنِ عبدِ العزيز: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٩]؛ قال: أهلُ الرّحمةِ لا يَختلِفُون.

[٢٨٩] قال أبو قِلابة: يا أيّوب! احْفَظْ عنّي أربعة: لا تَقُل في القرآن برأيك، وإيّاك والقَدَر، وإذا ذُكِرَ أصحابُ محمّدٍ ﷺ فأَمْسِك، ولا تُمَكِّنْ أصحابَ الأهواءِ مِن سَمْعِك، فيَنبِذُون فيه ما شاؤوا.

[٢٩٠] قال أبو قِلابة: لا تجالِسْ أصحابَ الأهواء؛ فإنّي لا آمَنُ عليك أنْ يَغمِسُوكَ في ضلالتِهم، ويُلَبِّسوا عليك ما كنتَ تَعْرِف.

[٢٩١] عن إبراهيمَ النّخعيّ في قوله -تعالى-: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾[المائدة:١٤] قال: ما أرى الإغراء في هذه الأُمَّة إلّا الأهواء المتفرّقة والبغضاء.

[٢٩٢] عن إبراهيمَ، قال: كُنَّا إذا أتينا الرَّجُلَ لِنأْخُذَ عنه، نَظَرْنا إلى سَمْتِه وصلاتِه، ثُمّ أخذنا عنه.

[٢٩٣] قال أبو قلابة: إنّ أهلَ الأهواء أهل ضلالة، ولا أرَى مصيرهم إلّا إلى النّار؛ فجرِّبْهُم فليس أحدٌ منهم يَنتحِل رأياً -أو قال: قَوْلاً- فيَتَناهَى به إلّا يَرَوْنَ السّيف[1]، وإنَّ النِّفَاقَ كان ضروباً، ثم تَلَا: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾

---

(١) قلت: والسّيف؛ هو: الخروج على الحكّام بالانقلابات العسكريّة أو التّفجيرات ونحوها من بدع هذا العصر، وهو مُخالف لما عليه السّلف.

فقد قال الإمام المبجل أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ- كما في «السّنّة» للخلّال (٩٠) لـمّا اجتمع معه فقهاء بغداد بأمر الخروج على الواثق الذي أظهر القول بخلق القرآن -وهو كفر صُراح-:

«عليكم بالنُّكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تَشُقُّوا عصا المسلمين، ولا تسفِكوا دماءَكم ودماءَ المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمرِكم، واصبروا حتى يَستريح برٌّ، أو يُستراح من فاجر».

فسئل عن الخروج: أهو عندك صواب؟

فقال: لا؛ هذا خلافُ الآثار التّي أُمرنا فيها بالصبر.

ثمّ ذكر أبو عبد الله قولَ النّبيِّ ﷺ: «إن ضربك فاصبر، وإن... وإن... فاصبر»، فأمر بالصبر».

قلتُ: فالخلاص من ظلم الحكّام -الذين يحكمون بغير ما أنزل الله- إنّما هو بالتوبة إلى الله -عز وجل-، ولا يكون ذلك إلّا بالصبر عليهم، وعدم موالاتهم وعدم طاعتهم في معصية الله -كما جاء في الآثار- والمناصحة لهم سرًّا، وإلّا فسفك الدّماء، وانتهاك الأعراض، وقطع الطّريق، والخروج على الحكام بالسّيف.

ولذا؛ قال شيخنا الإمام الألباني -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وليس طريق الخلاص ما يتوهَّم بعض النّاس، وهو الثَّورة بالسّلاح على الحكام، بواسطة الانقلابات العسكريّة؛ فإنّها مع كونها=

[التَّوبة:٧٥]، ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾ [التَّوبة:٦١]، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾ [التَّوبة:٥٨] فاختلف قولُهم، واجتمعوا في الشّكِّ والتّكذيب، وإنَّ هؤلاء اختَلَفُوا واجْتَمَعُوا في السّيف. ثم قال أيوب: كان واللهِ مِن الفقهاء ذوي الألباب[١].

[٢٩٤] عن الرُّبيع بن خُثَيم، قال: إنّ للحديث ضوءًا كضوء النّهار تَعرِفُه، وظُلمةً كظُلمةِ الليل تُنْكِرُه.

[٢٩٥] عن يحيى بنِ أبي كثير، قال: إذا رأيتَ المبتدِعَ في طريقٍ، فخُذْ في غيرِه[٢].

[٢٩٦] عن إبراهيمَ بنِ أدهم، قال: أصحابُ الحديثِ بهم تُدْفَعُ البَلْوَى عن النّاس -أو قال: الآفات-.

[٢٩٧] عن سالم الخوّاص، قال: البلاءُ يُدفَعُ عن أهلِ الأرضِ بأصحابِ الحديثِ.

[٢٩٨] عن يوسف بن أسباط، قال: بطالب الحديث يُدفَعُ البلاءُ عن أهل الأرض.

= من بدع العصر الحاضر، فهي مُخالِفة لنصوص الشّريعة الّتي فيها الأمر بتغيير ما بالأنفس، وكذلك فلا بدّ من إصلاح القاعدة لتأسيس البناء عليها.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠]».

انظر: «قاموس البدع» لشيخنا مشهور حسن -حفظه المولى- (١٧٦) و(٧٦٧).

(١) صحيح. انظر «سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ٨٠).

(٢) صحيح. انظر «الاعتصام» (١/ ١٣٩) تحقيق شيخنا مشهور حسن.

[٢٩٩] عن إبراهيم بن أدهم، قال: مَن حَمَلَ شواذَّ العلماءِ، حَمَلَ شرًّا كثيراً[1].

[٣٠٠] عن الزُّهريِّ، يقول: تَعلُّمُ السُّنَّةِ أفضلُ مِن عبادة مِئتَي سَنَة.

[٣٠١] قال هشامُ بنُ عبد الملك لِبَنِيه: تَعلَّمُوا الأدبَ، فإنّ إيراثي إيَّاكم الأدبَ أحبُّ إليَّ مِن إيراثي إيّاكم المالَ، فإنّ المالَ غادٍ ورائح، والأدبَ باقٍ، والعلم زَيْن، و الجهل شَيْن، واذكُرُوا مِن الحديث ما كان مُسنَداً عن رسول الله ﷺ، وإيّاكم أنْ تَجمَعُوا منه تجميع حاطب الليل، فتشكُّوا في الخالق والمخلوق، والصّانع والمصنوع، والرّبّ والمربوب، ولا تُجالِسُوا السّفهاء، ولا تُمازحوهم، وإيَّاكُم وأصحابَ الكلامِ؛ فإنَّ أمْرَهُم لا يَؤُولُ إلى الرَّشاد، ولا تَصطبِحُوا بالنّوم فإنّه شُؤْمٌ ونكَد.

[٣٠٢] عن عَمْرِو بنِ قيسٍ، قال: قلتُ للحَكَم: ما اضطرّ المرجئةَ إلى رأيِهم؟ قال: الخصومات.

[٣٠٣] عن مكحول، قال: ما رأيتُ أحداً أَعْلَمُ بسُنَّةٍ ماضية مِن الزُّهريِّ.

[٣٠٤] عن عبدِ الله بنِ عُمَر الهداديّ، قال: لمْ يَقُل هشامُ بنُ عبدِ الملك غير هذا البيت:

إذا أنت لمْ تَعْصِ الهوَى قادَكَ الهوَى إلى بعضِ ما فيهِ عليك مقال

---

(١) صحيح. كما قال شيخنا الإمام المحدّث الألباني - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في «تحريم آلات الطرب» (١٩).

الطبقة الرابعة

[٣٠٥] كان مالك بن أنس يَعيب الجدالَ، ويقول: كُلَّما جاءنا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِن رَجُل، أَرَدْنا أن نَرُدَّ ما جاء به جبريلُ إلى النّبيِّ ﷺ[1].

[٣٠٦] قال مالكُ بنُ أنس: إيّاكُم والبِدَع، قيل: يا أبا عبد الله! وما البِدَع؟ قال: أهلُ البِدَع: الذين يَتكلّمونَ في أسماءِ الله وصفاتِه، وكلامِه، وعِلْمِه، وقُدرَتِه، ولا يَسكُتون عمّا سَكَتَ عنه الصّحابةُ والتّابعون لهم بإحسان.

[٣٠٧] عن مالكِ بنِ أنسٍ، قال: لمْ يَكُن شيءٌ مِن هذه الأهواء على عهد النّبيِّ ﷺ، ولا أبي بكر، ولا عُمَرَ، ولا عثمانَ.

[٣٠٨] عن مالكِ بنِ أنسٍ، قال: لو أنَّ العبدَ ارتكبَ الكبائرَ بَعْدَ أنْ لا يُشرِك بالله شيئاً، ثمّ نَجَا مِن هذه الأهواء والبدع والتّناول لأصحاب رسول الله ﷺ، أرجو أن يكونَ في أعلى درجةِ الفردوس، مع النّبيِّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين وحَسُن أولئك رفيقاً، وذلك أنّ كُلَّ كبيرةٍ فيما بين العبد وبين الله -عز وجل- فهو منه على رجاء، وكُلَّ هوىً ليس منه على رجاء، إنَّما يَهوِي بصاحبه في نار جهنّم، مَن مات على السُّنَّةِ فلْيُبشِرْ، مَن مات على السُّنَّة فلْيُبشِرْ، مَن مات على السُّنَّةِ فلْيُبشِرْ[2].

[٣٠٩] قال مالكُ بنُ أنس: ما قلَّت الآثارُ في قومٍ إلا ظهرَت فيهم الأهواء،

---

(١) صحيح. انظر «سلسلة الآثار الصحيحة» (٣٠٦).

(٢) انظر «ترتيب المدارك» (٢/ ٤٩) للقاضي عِياض.

وما قلَّت العلماءُ إلّا ظهرَ في النّاس الجفاءُ.

[٣١٠] عن عبدِ الرّحمن بنِ مهدي، قال: سألتُ مالكَ بنَ أنسٍ عن حديثٍ وهو واقفٌ، فأبَى أنْ يحدِّثَنِي، فلمّا قَعَدَ، قال: يا هذا! إنّك سألتني وأنا واقِفٌ، وكرهتُ أنْ أُحدِّث حديثَ رسولِ الله وأنا واقف.

[٣١١] عن سعيدِ بنِ كثيرِ بنِ عفير، قال: سألتُ مالكَ بنَ أنسٍ عن الرَّجُلِ يَسْمَعُ الحديثَ فيأتي به على معناه؟ فقال: لا بأس به، إلّا حديثَ رسولِ الله ﷺ، فإنّي أُحبُّ أن يُؤتَى به على ألفاظِه.

[٣١٢] قال ابنُ وَهْب: كُنَّا عند مالكِ بنِ أنس، فَذُكِرَت السُّنّةُ، فقال مالك: السُّنَّةُ سفينةُ نوح، مَن رَكِبَها نَجَا، ومَن تخلّف عنها غَرِق.

[٣١٣] عن خالد بن خداش، قال: ودَّعتُ مالكَ بن أنسٍ، فقلتُ: أَوصِني يا أبا عبدِ الله! قال: تقوَى الله، وطَلَبِ العلم مِن عندِ أهله.

[٣١٤] عن مالك بن أنس، قال: إنَّ هذا العِلْمَ دِينٌ، فانظُروا عمّن تأخذُون دينكُم، فقد أدركتُ في هذا المسجد سبعين -وأشار بيدِه إلى مسجد رسول الله ﷺ- كُلُّهم يقول: قال فلان: قال رسولُ الله ﷺ، فلم آخُذْ عنهم شيئاً، ولو أنَّ أحدَهم ائتُمِنَ على بيت مال، لكان به أميناً، وكان يَقْدُم علينا ابنُ شهاب الزّهريُّ فنزدَحِمُ على بابِه.

[٣١٥] كان ابنُ المبارَكِ يقول: ما رأيتُ رَجُلاً ارتفعَ مثل ما ارتفعَ مالك، مِن رَجُل لمْ يكن له كثير صوم ولا صلاة، إلَّا أنْ يكونَ له سريرَة.

[٣١٦] كان الثّوريُّ يقول: الإسنادُ سلاحُ المؤمن، إذا لمْ يكن له سلاحٌ، فبأيِّ شيءٍ يُقاتِل؟

[٣١٧] عن سُفيانَ الثّوريِّ، قال: عليكُم مِن الحديث بما عُرِف وتواطأَتْ عليه الألسُن، وإيّاكم وهذه الأحاديث -يعني: الشَّواذّ-.

[٣١٨] عن أحمدَ بنِ يونس، قال: قال رَجُلٌ لسفيان: أوصِني، وأنا أسمع. فقال: إيّاك والأهواء، إيّاك والخصومة، إيّاك والسّلطان(١).

---

(١) **قلتُ:**

صحَّ عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**مَن سكن البادية جَفا، ومَن اتَّبع الصيد غَفَلَ، ومَن أتى السُّلطان افتُتِن**». «صحيح سُنن أبي داود» (٢٨٥٩).

وقال المباركفوريّ في «تحفة الأحوذيّ» (٦/ ٤٤٠) -شارحاً-: «(**ومن أتى أبواب السُّلطان**)؛ أي: من غير ضَرورة وحاجة لِـمَجِيئِهِ».

وقال أبو الطّيّب محمّد العظيم آبادي في «عون المعبود» (٨/ ٤٩) -شارحاً-: «(**افتتن**)؛ أي: صار مفتوناً في دينه، كما في «الصّحاح»: افتُتِن الرّجل، وفُتِن، المبني للمفعول فيهما: إذا أصابته فتنةٌ فذهب ماله وعقله». والمراد هنا ذهاب دينه. قاله في «مرقاة الصّعود». وقال العزيزيّ: لأنّه إن وافقه في مراده فقد خاطر بدينه، وإن خالفه خاطر بروحه». انتهى.

وقال السّنديّ في «حاشيته على سُنن النّسائي» (٧/ ٢٠٧): «ومَن دخل آمراً وناهياً وناصحاً كان دخوله أفضل، قلت: إذا دخل كذلك فقد خاطر بروحه كما لا يخفى، والله -تعالى- أعلم».

قلت:

ولذا؛ كان جهاده -أعني مَن دخل على السُّلطان آمراً ناهياً- من أعظم أنواع الجهاد=

[٣١٩] عن سفيان، قال: لو همَّ الرَّجلُ أن يَكْذِبَ في الحديث وهو في بيتٍ في جوفِ بيتٍ لَأَظْهَرَ الله عليه.

[٣٢٠] عن سفيانَ، قال: لو لمْ يَأتوني، لَأَتَيْتُهم في بيوتهم -يعني: أصحابَ الحديث-.

[٣٢١] قال الثَّوريُّ: مَن هَمَّ أنْ يَكْذِبَ في الحديث؛ سَقَطَ حديثُه.

[٣٢٢] عن سفيانَ الثَّوريِّ، قال: ما كان طلبُ العلم أفضلَ منه اليومَ قطّ، ولوْ لم يأتوني أتيتُ بيوتَهم، فقيل: يا أبا عبد الله! إنّهم يَطلُبونه بغير نيّة. قال: طَلَبُهم إيّاه نيّة.

[٣٢٣] عن زيد بن الحُبَاب، قال: رأيتُ سفيانَ الثّوريَّ إذا سُئل عن المسائل قال: لا أدري، حتّى يظنّ مَن رآه أنّه لا يُحسِنُ مِن العلم شيئاً.

[٣٢٤] قال الأوزاعيُّ: اصْبِرْ نفسَك على السُّنَّة، وقِفْ حيث وَقَفَ القوم، وقُلْ فيما قالوا، وكُفَّ عمّا كفُّوا، واسْلُكْ سبيلَ سلفك الصّالح، فإنّه يَسَعُكَ ما يَسَعُهُم، لستُ آمَنُ إلَّا أنْ يَدفعَ اللهُ شرَّ هذه البدعة، مِن أن يَصيرُوا إخواناً بعدَ توادٍّ إلى تفرُّقٍ في دينِهم وتباغُضٍ،ولو كان خيراً، ما خُصِصْتُم به دُون أسلافِكُم، وإنّه لم يُدَّخَرْ عنهم خيرٌ خُبِّئَ لكم دُونَهم لِفَضْلٍ عندكم، وهُم أصحاب محمّد

=كما صحّ عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «سيِّدُ الشُّهداءِ حَمزةُ بنُ عبد المُطّلب، ورجلٌ قامَ إلى إمامٍ جائرٍ فأمَرهُ ونهاهُ، فَقتلَهُ». «صحيح الجامع» (٣٦٧٥).

نسألُ الله أن يَمُنَّ علينا بها، إنَّه جوادٌ كريم.

رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم، ورَضِيَ عنهم-، اختارَهُم الله له وبعثَه فيهم، ووصفهم بما وصفهم به، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ...﴾[الفتح:٢٩][1].

[٣٢٥] عن الأوزاعيِّ، قال: وما رأيُ امرِئ في أَمْرٍ بَلَغَهُ عن رسول الله ﷺ إلّا اتّباعُه، ولو لم يكن فيه عن رسول الله ﷺ، وقال فيه أصحابُه من بعدِه؛ كانوا أَوْلَى فيه بالحقّ منّا؛ لأنّ الله -تعالى- أَثْنَى على مَن بَعدِهم باتّباعِهم إيّاهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٍ﴾ [التّوبة:١٠٠] وقلتُم أنتم: لا؛ بل نعرِضُها على رأيِنا في الكتاب، فما وافقه منها صدّقناه، وما خالفه تركناه، وتلك غاية كلّ مُحدِثٍ في الإسلام: رَدُّ ما خالَفَ رأيَه مِن السُّنّة.

[٣٢٦] عن الأوزاعيِّ، قال: إنَّكم لا تَرجِعُون عن بدعةٍ إلّا تعلّقْتُم بأُخرى هي أضرُّ عليكم منها.

[٣٢٧] عن حسّان بن عطيّة، قال: ما ابتدعَ قومٌ في دينِهم بدعةً، إلّا نَزَعَ اللهُ مِثلَها مِن السُّنَّة، ثمّ لا يَردُّها عليهم إلى يوم القيامة.

[٣٢٨] قال سفيان: البدعةُ أحبُّ إلى إبليس مِن المعصية.

زاد في رواية: لأنّ المعصيةَ يُتابُ منها، والبدعةُ لا يُتابُ منها[2].

---

(١) «الإعلام» (٦/ ٢٩) -لابن القيّم-، تحقيق شيخنا مشهور حسن.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (١٠/ ٩) -تعليقاً على أثر سفيان الثوري-: =

[٣٢٩] عن بقيّة، قال: قال لي أرطأة بن المنذر السّكونيّ: يا أبا محمّد! لَأَنْ يكونَ ابنِي فاسِقاً مِن الفُسَّاق، أحبُّ إليَّ مِن أنْ يكونَ صاحبَ هوىً.

[٣٣٠] عن الأوزاعيِّ، قال: إذا أرادَ اللهُ بقومٍ شرًّا؛ فَتَحَ عليهم الجَدَل، ومَنَعَهُم العَمَل.

[٣٣١] عن عَنبسةَ بن سعيد الكَلاعيِّ، قال: ما ابتدعَ رَجُلٌ بِدْعةً إلا غَلَّ صَدْرُه على المسلمين، واختُلِجَتْ منه الأمانةُ. قال نعيم: فسمِعَهُ منّي الأوزاعيُّ، فقال: أنتَ سمعتَه مِن عَنبسةَ؟ قُلتُ: نَعَم. قال: صَدَق، لقد كنّا نتحدّثُ أنّه ما ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدعةً إلّا سُلِبَ وَرَعُه.

[٣٣٢] عن الأوزاعيِّ، قال: مَن وَقَّر صاحبَ بدعةٍ؛ فقد أعان على مُفارَقَةِ الإسلام، ومَن وَقَّر صاحبَ بدعةٍ؛ فقد عارض الإسلام بِرَدّ.

[٣٣٣] عن الأوزاعي قال: مَن وقَّر صاحبَ بدعةٍ؛ فقد أعان على هَدْمِ

= «ومعنى قولهم أن البدعة لا يُتاب منها: أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ولا رسوله قد زُيِّن له سوء عمله، فرآه حسناً، فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيِّئ ليتوب منه، أو بأنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسناً وهو سيِّئ في نفس الأمر فإنه لا يتوب.

ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى -سبحانه وتعالى- من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه، فمن عمل بما علم أورثه الله عِلْمَ ما لم يعلم... ».

وانظر «فتاوى شيخ الإسلام» (٢٠/ ١٠٣).

الإسلام[١].

[٣٣٤] عن الفُضَيلِ بنِ عياض، قال: مَن أحبَّ صاحَب بدعةٍ أَحْبَطَ اللهُ عَمَلَه، وأخرجَ نورَ الإسلامِ مِن قَلبِه.

[٣٣٥] قال يوسف: مَن أصغَى بِسَمْعِهِ لصاحب بدعة نُزعَتْ منه العِصمةُ، ووُكِلَ إلى نَفْسِه.

[٣٣٦] عن شُعبةَ، قال: كان سُفيانُ الثّوريُّ يبغض أهلَ الأهواء، ويَنْهَى عن مُجالستِهم أشدَّ النّهي، وكان يقول: عليكُم بالأثر، وإيّاكُم والكلامَ في ذات الله.

[٣٣٧] عن سُفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، يقول في قوله-تعالى-: ﴿وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النِّساء:٦٩] قال: الصّالحون هُم أصحابُ الحديث.

[٣٣٨] عن صالحِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الله بنِ صالح: حَدَّثَنِي أَبِي: حدَّثَنِي أَبِي، قال: جاء رَجُلٌ إلى سفيان الثّوريّ، فقال له: اكتُب لي إلى الأوزاعيِّ يُحدِّثْني.

---

(١) قال الإمام المبجّل أحمد بن حنبل: إذا سَلَّم الرَّجلُ على المبتدع فهو يُحبُّه، قال النّبيّ ﷺ: «ألا أدُلكم على ما إذا فَعلتُموه تَحاببتُم: أفشوا السَّلامَ بينكم».«المنهج الأحمد» (٢/ ١١٧).

قلتُ:

هذا حال السّلام، فكيف بالمحبة والتّوقير والاصطفاء والإيواء وعيادة مريضهم وشهود جنائزهم؟! لا شكَّ أنّ النّبيّ ﷺ قال: «الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ، فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلف».

فقال: أمَا إنّي أَكتُبُ لك، ولا أراك تجدُه إلَّا مَيِّتاً، لأنّي رأيتُ ريحانةً وَقَعَت مِن قبل المغرب، ولا أُراهُ إلا موت الأوزاعيّ، فأتاه، فإذا هو قد مات.

[٣٣٩] قال ابنُ عُيَيْنَةَ: مَن شَهِدَ جَنازةَ مُبتدِعٍ؛ لمْ يَزَلْ في سَخَطِ الله حتّى يَرْجِع.

[٣٤٠] عن إبراهيمَ، قال: إنَّ العبدَ إذا أَعْيَا الشيطانَ، قال: فمِن أين؟ فمِن أين؟ ثمّ أتاه مِن هواه.

[٣٤١] عن أنسٍ، عن النّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- يَحجِبُ التَّوبةَ عن كلِّ صاحبِ بِدعةٍ»[1].

[٣٤٢] عن ليثِ بنِ سعدٍ، قال: بَلَغْتُ الثّمانينَ، وما نازعتُ صاحبَ هوىً قطُّ.

[٣٤٣] عن مِسْعَرٍ؛ قال:

إنّي منحتُك يا كدامُ نصيحتي ... فاسمَعْ لِقَولِ أبٍ عليك شفيقِ
أمّا المُزاحةُ والمِراءُ فَدعْهما ... خُلُقَان لا أرضاهُمَا لِصَديقِ
إنّي بلوتُهما فلم أحمدهُما ... لِمُجاورٍ جاراً ولا لِرَفِيقِ

[٣٤٤] عن إبراهيمَ بنِ أدهم، قال: يأتي على النّاسِ زمانٌ يكونُ أعزَّ الأشياء ثلاثةٌ: أخٌ يُستأنس إليه، أو دِرهمٌ من حلال، أو سُنَّةٌ يُعمل بها.

(١) حسن. انظر «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة» (١٦٢٠).

[٣٤٥] عن حمّاد بن زيد، قال في قول الله -عز وجل-: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢] : أرَى رَفْعَ الصَّوت عليه بعدَ موتِه كرَفْعِ الصَّوتِ عليه في حياتِه، إذا قُرِئَ حَديثُ رسولِ الله ﷺ؛ وَجَبَ عليك أن تُنصِتَ له كما تُنْصِت للقرآن[1].

[٣٤٦] قال سليمان: كان حمّادٌ إذا حدّثَ فرَآنا نَتكَلّمُ لمْ يُحدِّثْنا، وقال: أخافُ أنْ يكونَ هذا داخلاً في قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ -الآية-.

[٣٤٧] قال نافعٌ: قَدِمَ الأَقْرَعُ بنُ حابس على النّبيِّ ﷺ، فقال: أبو بكر: يا رسول الله! استعمِلْهُ. وقال عمر: لا تَستعمِلْه يا رسول الله. فقال أبو بكر لِعُمَر: ما أردتَ إلّا خلافي. فقال عمرُ: ما أردتُ خِلافَك. حتّى ارتفعَتْ أصواتُهما، فنزلَت: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢]؛ فكان عُمَرُ بعدَ ذلك إذا كَلَّمَ رسولَ الله ﷺ؛ كان لا يُسمِعُهُ حتَّى يَستفهِمَه[2].

---

(١) قلتُ:

والأدهى والأمرّ، والأشدّ والأشرّ: رَدُّ حديث النّبيّ ﷺ بالعقل بحُجَّة أنّه يُخالف العقل! وزبالات الأفكار النّتِنَة الّتي تأثرت بالغرب الكافر، فردُّوا أحاديث صحيحة في «الصّحيحين» وغيرهما، ويا ليتهم تكلموا على الأحاديث روايةً ودرايةً، لا، بل خاضوا فيما لا علم لهم به. فإذا كان رفع الصّوت يحبط العمل، فكيف بمن ردّ حديث رسول الله ﷺ بالعقل بلا تأنٍّ ولا خوف ووجل، فمِن باب أَولى أنْ يَحبَط عملُه، نعوذ بالله من هذا الحرمان.

(٢) أخرجه البخاريّ في «صحيحه» (٤٣٦٧).

[٣٤٨] قال الشّافعيُّ: يُكرَهُ للرّجلِ أنْ يقولَ: قال الرَّسولُ، ولكنْ يقول: قال رسولُ الله ﷺ، تَعظيماً لرسول الله ﷺ.

[٣٤٩] عن عبدِ الرَّحمن بنِ مهدي، قال: أئمّةُ النّاسِ في زمانهم أربعةٌ: حمّادُ ابنُ زيدٍ بالبصرة، وسُفيان بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعيُّ بالشّام.

[٣٥٠] عن الأعمش، قال: أَشتهِي إذا رأيتُ الشَّيخَ يَخضبُ بالحِنّاء لمْ يَكتُب الحديثَ أَلْطمه!

[٣٥١] عن ابنِ عيّاش، قال: قال رَجلٌ للأعمش: هؤلاء الغلمان حولك؟! قال: اسْكُت، هؤلاء يَحفظُونَ عليك أمرَ دينك.

[٣٥٢] كان الأعمشُ يقول: لا أعلمُ لله قوماً أفضلَ مِن قومٍ يَطلُبونَ الحديثَ، ويُحيونَ هذه السُّنّة، كَم أنتُم في النّاس؟! لَأَنْتُم أقلُّ مِن الذَّهب!

[٣٥٣] قال عبدُ الكريم الجزريُّ: يا أبا محمّد(١)! تَدرِي ما حاطِبُ الليل؟ قلتُ: لا. قال: هو الرّجلُ يَخرُجُ مِن الليل فيَحتطِب، فيضعُ يده على أفعى فتَقتُله! هذا مَثَلٌ ضَرَبْتُه لك لطالِبِ العلم إذا حَمَلَ مِن العِلْمِ ما لا يُطيقُه؛ قَتَلَه عِلمُه كما قَتَلَتِ الأفعى حاطبَ الليل.

[٣٥٤] عن يزيد بنِ زُرَيع قال: لِكُلِّ دِينٍ فُرسان، وفُرسانُ هذا الدّين أصحابُ الأسانيد.

---

(١) هو سُفيان بن عيينة.

[٣٥٥] قال همّام: إنّي لَأستحِي مِن الله أنْ أَنْظُرَ في الكتابِ أَتحفَّظُ الحديثَ، كي أُحدّث به النّاس.

[٣٥٦] عن مطر في قوله -تعالى-: ﴿أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾[الأحقاف:٤]؛ قال: إسناد الحديث.

[٣٥٧] عن سلّام بن أَبِي مطيع، قال: رأى أيّوبُ رَجُلاً مِن أصحاب الأهواء، فقال:إنّي لأعرِفُ الذِّلَّة في وَجْهِه، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٢].

ثم قال: هذه لِكُلِّ مُفْتَرٍ.

وكان أيّوبُ يُسمِّي أصحابَ الأهواءِ كُلَّهم: خوارج، ويقول: اختلَفُوا في الاسم، و اجتمعُوا على السّيف.

وقال سَلّام: وقال رَجُلٌ مِن أصحاب الأهواء لأيّوب: يا أبا بكر! أسألُك عن كلمة؟ قال: فولَّى أيّوبُ وهو يقول: ولا نِصفَ كلمة! مرّتين، وهو يُشيرُ بأصبعه!

[٣٥٨] عن شُعبةَ، قال: كلُّ كلامٍ ليس فيه: (سَمِعتُ)؛ فهو خَلٌّ وبَقْل[1]!

---

(١) قلتُ:

أَيْ: أَنَّ الكلامَ في دين الله إنْ لم يكن مبنيًّا على الكتابِ والسُّنَّة والآثار السَّلفيَّة، ممّا وصلنا بـ(سمعتُ) أو (حدّثنا) بسلسلةٍ صحيحةٍ أو مقبولة إلى قائلها فهو خلّ وبقل! ووسوسة من الشّيطان، وعلامةٌ على الخذلان، والذِّلَّة والحرمان.

[٣٥٩] عن وكيع، قال: إنّي لأرجو أنْ يرفعَ اللهُ لِشُعبةَ درجاتٍ في الجَنّة بذبِّه عن رسول الله ﷺ.

[٣٦٠] عن ابنِ عُيَيْنَةَ، قال: إنَّ العبدَ إذا هوى شيئاً؛ نَسِيَ اللهَ -عز وجل-، وتلا: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦].

[٣٦١] عن يزيد بن هارون، قال: قُلتُ لحمّاد بن زيد: هل ذَكَرَ اللهُ أصحابَ الحديثِ في القرآن؟ قال: بلى، الله يقول: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التَّوبة:١٢٢].

[٣٦٢] قال ابنُ المبارك: مَن كان عنده كتاب «الحِيَل» فعمل بما فيه؛ فهو كافر.

[٣٦٣] قال المؤلف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

«حُكي لي: أنَّ الماجشون -يعقوب بن عبد الله -مولى بني المنكدر- قال: الكلام مخاطرة».

[٣٦٤] عن شُعبة، قال: «قال لي الثَّوريُّ: أنت أمير المؤمنين في الحديث.

[٣٦٥] قال ابنُ المبارك: كنتُ عند سفيان إذْ جاءه موتُ شُعبة، فقال: مات الحديث.

[٣٦٦] عن شُعبة، قال: كلُّ حديثٍ ليس فيه: حدَّثنا، فهو مِثلُ الرَّجُل في الفَلَاةِ معه البعيرُ ليس معه الخِطام.

الطبقة الخامسة

[٣٦٧] قال أبو يوسف القاضي: مَن طَلَبَ الدِّينَ بالكلام تَزَنْدَقَ[١]، ومَن طَلَبَ غريبَ الحديث كَذَبَ، ومَن طَلَبَ المالَ بالكيمياء أَفْلَسَ[٢].

---

(١) حسن. قال شيخ الإسلام ابن تيميّة في «الفتاوى» (٦/ ٢٤٣) في صَدَدِ ردِّه على أهل الكلام:

«فكان ما اعتمدوا عليه وجعلوه أصولاً للدين ودليلاً عليه هو في نفسه باطل شرعاً وعقلاً، وهو مناقض للدِّين ومنافٍ له.

ولهذا كان السّلف والأئمة يعيبون كلامهم هذا ويذمُّونه ويقولون: من طلب العلم بالكلام تزندق. كما قال أبو يوسف، ويُروى عن مالك.

ويقول الشّافعيّ: حُكمي في أهل الكلام أنْ يُضرَبوا بالجريد والنّعال، ويُطافَ بهم في العشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب و السُّنَّة، وأقبل على الكلام.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: علماء الكلام زنادقة، وما ارتدى أحد بالكلام فأفلح.

وقد صدق الأئمة في ذلك، فإنّهم يبنون أمرهم على كلام مُجمل يروج على من لم يعرف حقيقتَه، فإذا اعتقد أنّه حقّ وتبَيَّن أنّه مناقض للكتاب والسّنّة بقي في قلبه مرض ونفاق، وريب وشكٌّ، بل طَعَنَ فيما جاء به الرّسول وهذه هي الزّندقة».

وقال أيضاً في «الفتاوى» (٩/ ٢٦١):

«فهذا موضع ينبغي للمؤمن أن يتيقَّنه، ويعلم أن هؤلاء القوم وغيرهم إنما ضلوا غالباً من جهة ما نفوه وكذبوا به، لا من جهة ما أثبتوه وعلموه، ولهذا كان المنطق مَظِنَّة الزندقة».

(٢) قال النكري في كتابه «دستور العُلماء» (٢/ ٢٠١ -دار الكتب العلميّة): =

[٣٦٨] قال أبو يوسف: العلمُ بالخصومةِ والكلامِ جهلٌ، والجهلُ بالخصومةِ والكلام عِلمٌ.

[٣٦٩] قال حفصُ بنُ غياث: ينبغي أنْ يُكْتَبَ على كتاب «الحِيَل»: كتاب الفجور.

[٣٧٠] عن شَرِيك، أنّه ذُكِرَ عنده كتابُ «الحِيَل»؛ فقال: من يُخادعِ اللهَ يَخدعْهُ.

[٣٧١] عن ابنِ المبارك، قال: الإسنادُ عندي مِن الدِّين، لولَا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء، ولكنْ إذا قيل له: مَن حدَّثك بقي.

[٣٧٢] عن ابنِ المبارك قال: مَن طلبَ الحديثَ بلا إسنادٍ، كان كمَن يَرْتَقِي السَّطحَ بلا سُلَّم.

= «العلم بتبديل قوى الأجسام المعدنية بعضها ليحصل منه الذهب والفضة يسمُّونه بالكيمياء».

قلتُ:

إذن؛ هي طريقةٌ لسلب الخواصّ من المعادن الخسيسة وجَلْب خاصيَّة جديدة لها، لتحويلها إلى ذهب أو فضة! وهي لا تتأتى إلا بالحِيلَة والحِذْق، لذا فيها من إضاعة الأوقات والأموال -ما الله به عليم- ممّا يؤدي بصاحبه إلى الإفلاس، هذا في عرف القدماء، وليس المقصود بها الكيمياء الحديثة -قطعاً- التي هي: علمٌ يُبحث فيه عن خواصّ العناصر المادية والقوانين التي تخضع لها في الظروف المختلفة... فتنبه!

انظر «المعجم الوسيط»، مادة (كيل).

[٣٧٣] قال ابنُ المبارَكِ: «الكذبُ للرَّوافض، وسوءُ التّدبير لآل أبي طالب، والخصومةُ للمعتزلة، والزّهدُ للخوارج، والاستحلالُ لأهل الرّأي، والدّينُ لأهل الحديث.

[٣٧٤] قال أبو وَهْب: قلتُ لابن المبارك: كم نضيِّع فراغنا في طلب العلم فمتَى نعمل؟ فقال: يا أبا وَهْب! طَلَبُ العِلْم عَمَلٌ. فقُلتُ له: فَسَدَ النّاسُ يا أبا عبد الرّحمن! قال: الأمرُ بعدُ صالحٌ ما دام في النّاس مَن يَطلُب الحديث[1].

[٣٧٥] قال أبو حاتم الرّازيّ: كان ابنُ المبارك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يكتُب عمّن هو دُونَه -رِشدين بن سعد وغيره-، فقالوا له: يا أبا عبد الرّحمن! كم تكتب؟ قال: لَعَلَّ الكلمة التي فيها نجاتي لمْ تَقعْ إليَّ!

[٣٧٦] قال ابنُ المبارَك: مَن تَهاوَنَ بالأدبِ عُوقِب بحرمان السُّنَن، ومَن تَهاوَنَ بالسُّنَنِ عُوقِبَ بحرمان الفرائض، ومَن تَهاوَنَ بالفرائض عُوقِب بحرمان المعرفة.

[٣٧٧] قال ابنُ المبارك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: صاحبُ البدعةِ على وَجْهِهِ غُبار، وإنِ ادَّهَنَ في اليومِ ثلاثينَ مرّة.

---

(١) قلتُ:

وما زال السؤال على ما هو عليه: إلى متى طلبُ العلم؟ ألا نجاهد! ألا نُغَيِّر... فسد النّاس! فيقال لهم كما قالوا: الأمر بعدُ صالح ما دام في الناس من يطلب الحديث، هذا جواب عالم حكيم خبير؛ أي: أيها الناس اشتغلوا بواجب الوقت واستمروا حتى يُحدث الله بعد ذلك أمراً يُعِزُّ به أهلَ طاعته ويُذِلّ به أهلَ معصيته، والله الموفق إلى سواء السبيل.

[٣٧٨] سمعتُ ابنَ المباركِ يقولُ:

أيّها الطالبُ عِلماً ... ائتِ حمّادَ بنَ زيدْ
فَخُذِ العلمَ بحِلْمٍ ... ثُمّ قَيِّدْهُ بقَيْدْ
ودَعِ البِدعةَ مِن ... آثارِ عَمْرِو بنِ عُبَيدْ

[٣٧٩] قال ابنُ المبارَك: ليس على محابر أصحاب الحديث إذن.

[٣٨٠] قال ابن المبارك: مَن بَخِلَ بالعلم ابتُلِيَ بثلاث: إمّا بموت فَيَذْهَبَ عِلْمُه، أو يَنساه، أو يتّبع السُّلطان، وما انتحبتُ على عالِمٍ إلّا نَدِمتُ.

[٣٨١] قال أبو حنيفة: لَعَنَ اللهُ عمرَو بنَ عُبَيدٍ؛ فإنه فَتَحَ للنّاس الطّريقَ إلى الكَلام فيما لا يَعنيهِم مِن الكلام.

وكان أبو حنيفة يَحُثُّنا[1] على الفقه، ويَنهانَا عن الكلام.

[٣٨٢] قال عبدُ الله بنُ داود: سألتُ الثَّوريَّ عن الكلام؟ فقال: دعِ الباطل.

[٣٨٣] قال أبو عاصم: مَن طَلَبَ الحديث، فقد طَلَبَ أعلَى أمورِ الدُّنيا، فيجبُ أنْ يكونَ خيرَ النّاس.

[٣٨٤] عن عُمَرَ بنِ حفص بن غياث: سمعتُ أبِي، وقيل له: ألَا تَنظُر إلى أصحابِ الحديث وما هُم فيه؟! قال: هُم خيرُ أهلِ الدُّنيا.

---

(١) القائل: محمّد بن الحسن.

[٣٨٥] قال عبدُ الرّحمن بن عُمر: كانت لعبدِ الرَّحمن بنِ مهدي جاريةٌ، فطَلَبَها منهُ رَجُلٌ، فكان منهُ شُبَهٌ عِدَّة، فلما عاد إليه، قيلَ لعبد الرّحمن: يا أبا سعيد! هذا صاحب الخصومات! فقال له عبد الرّحمن: بلغني أنّك تخاصم في الدّين! فقال: يا أبا سعيد! إنّا نَضَعُ عليهم لِنُحاجَّهم بها. فقال له عبد الرّحمن: أتدفعُ الباطلَ بالباطل[1]؟! إنّما تدفع كلاماً بكلام، قُم عنّي، واللهِ لا بِعتُك جارِيَتِي أبداً.

[٣٨٦] قال عبدُ الرّحمن بنُ مَهدي: اترُكْ مَن كان رأساً في بِدعةٍ يَدعُو إليها.

[٣٨٧] قال عليُّ بنُ المدينيّ: لو حلفتُ بين الرُّكنِ والمقام، لحلفتُ أنّي لمْ أرَ أحداً أعلمُ مِن عبدِ الرّحمن بن مَهدي.

[٣٨٨] عن عبدِ الرَّحمن بنِ مَهدي، أنّه قال: مَن طَلَبَ العربيَّةَ، فآخرُه مؤدِّب، ومَن طلب الشِّعرَ فآخرُه شاعر يهجو ويمدح بالباطل، ومَن طَلَبَ الكلامَ فآخرُ أمرِه الزَّندقةَ، ومَن طلبَ الحديثَ فإنْ قام به كان إماماً، وإنْ فرَّطَ فيه ثمّ أناب يوماً يرجع إليه، وقد عتقت وجادت.

---

(١) كان السّلف الصّالح والأئمة يذمُّون ويمنعون أن تُرَدَّ البدعةُ بالبدعة والباطلُ بالباطل والفسادُ بالفساد.

«كما عاب الأوزاعيّ والزّبيديّ والثّوريّ وأحمد بن حنبل وغيرهم مقابلة القدريّة بالغُلوّ في الإثبات، وأمروا بالاعتصام بالكتاب والسّنّة، وكما عابوا أيضاً على من قابل الجهميّة نفاه الصّفات بالغُلوّ في الإثبات حتى دخل في تمثيل الخالق بالمخلوق».

انظر «الفتاوى» (١٨/ ١٤٦).

[٣٨٩] قال أحمدُ بنُ حنبل: ما رأيتُ بعينـي مثـل يحيى بـنِ سـعيد، وعبـد الرّحمن بن مَهدي إماماً.

[٣٩٠] عن سلَّام بن أبي مطيع، قال: ما أعلمُ يحلُّ لرجل أَنْ يُزوِّجَ صاحبَ بدعةٍ ولا صاحبَ شرابٍ، فأمّا صاحبُ بدعةٍ، فيدخل ولَدُه النّار، وأمّا صاحبُ الشَّرابِ، فذَكَرَ منه أشياء يُعدّدُها.

[٣٩١] عن طلحةَ بنِ عَمرٍو، قال: لا تُجالِسُوا أهلَ الأهواء؛ فإنّ لهم عُـرّة[1] كعُرَّة الجَرَب.

[٣٩٢] عن مَسْلَمةَ بنِ قَعْنَب، قال: كان أيّوبُ يكرم الشَّابَّ الّـذي يعـرف الحديث.

[٣٩٣] قال فُضيلُ بنُ عِيَاض: آكُلُ عند اليهوديّ والنّصرانيّ أحبُّ إليَّ مِـن أَنْ آكُلَ عندَ صاحب بدعة.

[٣٩٤] قال الفُضيلُ: لا تَجلِسْ مع صاحبِ هوى، فإنّي أخافُ عليكَ مقتَ الله.

[٣٩٥] قال الفُضيلُ: الحياة الطَّيِّبة: الإسلام و السُّنّة.

[٣٩٦] قال الفُضيلُ بنُ عِياض: لا يشمّ مُبتدِعٌ رائحةَ الجنَّةَ، أو يتوب.

[٣٩٧] قال أبو الوليد: ما رأيتُ أحداً كان أعلمُ بالحديثِ ولا الرِّجال مِـن يحيَى بنِ سعيد.

---

(١) والعُرة -بضمِّ العين-؛ هي: القذر وعَذِرة الناس، فاستُعِير للمساوئ والمثالب. انظر «لسان العرب» (٤/ ٥٥٥).

[٣٩٨] قال أحمدُ بنُ حنبل: ما رأيتُ بعيني مثل يحيَى بنِ سعيد.

[٣٩٩] قال عبدُ الرّحمن بنُ مَهدي: ما رَأيتُ شيخاً أذكَى مِن يحيَى بنِ سعيد.

[٤٠٠] قال يزيدُ بنُ هارون: وقعتُ بَيْن أسدَيْن: عبدِ الرّحمن بنِ مَهدي، ويحيى القطّان».

[٤٠١] قال عبدُ الرحمن بنُ مَهدي: لَـمّا قَدِمَ سُفيانُ البَصرةَ؛ قال لي: جِئني بإنسانٍ أُذاكِرُه. فأتيتُه بيحيى بن سعيد، فلـمّا خَرَجَ؛ قال لي: قلتُ لك جِئني بإنسانٍ، فجئتني بشيطان!!

[٤٠٢] قال عليُّ بنُ الجارود بنيسابور: خَرَجَ هُشيمٌ على أصحاب الحديث وهُم حِلَقٌ، فقال: ما على وَجْهِ الأرض قَوْمٌ خيرٌ منهم بما هُم فيه. فقيل: وبِمَ ذاك يا أبا معاوية؟ قال: ألـيسَ يحفظونَ السُّننَ عن رسولِ الله ﷺ على مَن بَعدهم؟!

[٤٠٣] قال ابن داود: ينبغي للرّجلِ أن يُكرِه ولدَه على طلب الحديث.

[٤٠٤] عن محمّد بن السَّمّاك، قال: الأخذُ بالأصول، وتركُ الفضول، من أفعال ذوي العقول(١).

---

(١) قلتُ:

ينبغي للسّائر إلى ربّ العالمين، أن يَرتقيَ في منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لِيَعُبَّ من نهر اليقين، أخذاً بمعالي الأمور، وتركاً لِسَفْسَافها، وعلى هذا النمط طالب=

[٤٠٥] قال عُمَرُ بنُ هارون: نظرتُ في العلم: فإذا القرآنُ والأثر، ثمّ نظرتُ في الأثر فإذا هو عظمةُ الرّبِّ، وصفةُ الجنّة والنّار، والحلالُ والحرام، والأمرُ والنّهي، وصلةُ الرّحم في أنواع الخير. ثمّ نظرتُ في الرّأي: فإذا هو الخديعةُ والمَكْرُ، والخيانةُ، والحِيَل، وقسوة القلب، وأشياءُ كثيرةٌ مِن الشّرّ فأخذتُ الأثَر، وتركتُ الرّأي.

[٤٠٦] قال يوسف بن أسباط: مِن نعمةِ الله -تعالى- على الشّابّ أَنْ يوافقَ صاحبَ سُنّة يحمله عليها.

[٤٠٧] عن أبي بكر بن خلاّد، قال: قلتُ ليحيى بن سعيد: أمَا تخشى أنْ يكونَ هؤلاء الّذين تركتَ حديثَهم خُصماؤُكَ عند الله يومَ القيامة؟! قال: لأَنْ يكونَ هؤلاء خُصمائي أحبُّ إليَّ مِن أَنْ يكونَ خصمِي رسولُ الله ﷺ، يقول: لِمَ حدَّثتَ عنِّي حديثاً ترَى أنّه كَذِب؟!

[٤٠٨] قال أبو بكر بن عيّاش: أهلُ السُّنَّةِ في الإسلام مثلُ الإسلام في سائر الأديان.

[٤٠٩] قال فُضيلُ بنُ عِياض: مَن عَمِلَ بما عَلِمَ؛ اشْتَغَلَ عمّا لمْ يَعلَمْ.

=العلم الذي لا بدّ له من البدء بأصول العلم قبل المُلَح، فيبتدِأ بعلوم الآلة فيحرث أرضَ عقلِه وقلبِه، لينثر فيها الأدلة الوحيين، فتهتز وتربو أرضها، فتخرج ثماراً نافعة يانعة بأمر ربها، معتنياً بها بين الفينة والأخرى، بماء الإخلاص تارة، وقلع أمراض القلوب تارة أخرى، لتشتدَّ ساقها ويطيبَ ثمرُها، والله الهادي إلى سواء السَّبيل.

[٤١٠] قال عليُّ بنُ المدينيّ: ما رأيتُ أحفظَ مِن أبي داود الطَّيالسيّ.

[٤١١] قال عُروةُ بنُ الرّقي: حُبُّ الله: العملُ بكتاب الله، وحبُّ رسول الله ﷺ: العملُ بسُنَّتِه.

[٤١٢] قال عليُّ بنُ المدينيّ: سألتُ جريراً عن شقيق الضَّبيّ؟ فقال: هو أوّل مَن وَضَعَ الإرجاء، وكان صاحبَ كلام.



الطبقة السادسة

[٤١٣] قال يحيى بنُ يحيى: الذَّبُّ عن السُّنَّةِ أفضلُ مِن الجهاد في سبيل الله. قال محمّد: قلتُ ليحيى: الرّجلُ يُنفِقُ مالَهُ، ويُتْعِبُ نَفْسَه، ويُجاهِدُ، فهذا أفضل منه؟ قال: نَعَم بكثير[1].

[٤١٤] قال محمّد بن يحيى: سمعتُ يحيى بنَ يحيى يقولُ لإسحاق بن

---

(١) قلتُ:

قال العلاّمة ابن القيِّم الجوزيّة في مقدّمة «الكافية الشّافية في الانتصار للفرقة النّاجية» (١٦ – ط هرّاس):

«والجهاد بالحجّة واللّسان مقدَّم على الجهاد بالسّيف والسّنان؛ ولهذا أمر به -تعالى- في السُّور المكّيّة حيثُ لا جهاد باليد، إنذاراً وتعذيراً، فقال-تعالى-: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢].

فالجهاد بالعلم والحجّة جهاد أنبيائه ورسله وخاصّته من عباده المخصوصين بالهداية والتّوفيق والاتّفاق».

وقال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- في «الفتاوى» (٤/ ١٣): «فالرّاد على أهل البدع مجاهد، حتّى كان يحيى بن يحيى يقول: الذّبّ عن السُّنَّة أفضل من الجهاد».

وقال أبو عُبَيْد القاسم بن سَلّام -رَحِمَهُ اللهُ- كما في «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (٢/ ٢١٨): «المتبعُ للسنّةِ كالقابض على الجمر، وهو اليومَ عندي أفضلُ من ضرب السَّيفِ في سبيل الله -عز وجل- ».

قلتُ:

هذا في زمانه، فما الحال في زماننا، فإلى الله المُشتكى، وإليه المُرتجى.

إبراهيم: حرِّضِ النّاسَ على السُّنَّة، فما عندي شيءٌ أفضل منه. قال إسحاق: أنا أجتهدُ فيه.

[٤١٥] قال عبدُ الوهّاب بنُ الحَكَم الورَّاق: قال رَجُلٌ للأسودِ بنِ سالم: كيف أصبحتَ؟ قال: بِشَرٍّ، وَقَعَتْ عيني اليومَ على مُبتدِع!!

[٤١٦] عن حفص بن غياث، قال: رأيتُ أبا حنيفةَ في المنام، فقلتُ: كيف أنتَ؟ فقال: عليك بما كان عليه أبو بكر وعمر. قلتُ: فأخبِرْني عن رأيِك؟ قال: ذاك فاحْذَرْ، ذاك فاحْذَرْ.

[٤١٧] قال أبو معاوية الضَّرير: كنتُ عند هارون الرّشيد، فجرَى حديثُ النّبيّ ﷺ: «الْتقَى آدمُ وموسى»، فقال شابٌّ عند هارون: وأينَ الْتَقَيا؟ فقال هارون: عليَّ بالنَّطع والسَّيف. فقلت له: يا أمير المؤمنين! هذا شابٌّ تَكَلَّم بشيءٍ ما يدري ما يقول، قال هارون: إنِّي أدري أنَّ هذا ليس مِن كلامه، ولكنْ يُخبرني مِن أيِّ زنديقٍ تَلَقَّنَهُ! قال: فلَم أَزَلْ به حتّى سَكَن!

[٤١٨] قال نُعَيْمُ بنُ حمّاد: ليس ما وصف اللهُ به نَفْسَه ولا رسُولُه ﷺ تشبيهاً.



ذِكْر شدة الشافعي على أهل الكلام وإنكاره

[٤١٩] عن أبي هريرة -فيما أعلم-، عن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يَبْعَثُ لهذه الأمَّةِ على رأسِ كُلِّ مئة سنة مَن يجدِّد دينها»[1].

---

(١) صحيح. انظُر «صحيح سُنَن أبي داود» (٤٢٩١).

قلتُ: جاء في «عون المعبود» (١١/ ٣٠٥) نقلاً عن بعض العلماء قولهم: «... والمراد من تجديد الدِّين: إحياءُ ما انْدَرَسَ مِن العمل بالكتاب والسُّنَّة، والأمر بمقتضاهما، ... ولا يُعلم ذلك المجدِّدُ إلا بغَلَبَةِ الظنِّ مِمَّنْ عاصرَهُ مِن العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمِهِ، إذ المجدِّدُ للدِّين لا بُدّ أن يكونَ عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، قاصراً للسُّنَّة، قامعاً للبدعة، وأنْ يَعُمَّ عِلْمُه أهلَ زمانه.

وإنما كان التجديد على رأس كل مئة سَنَة؛ لانخرام العلماء فيه غالباً، واندراس السُّنن، وظهور البدع، فيحتاج حينئذٍ إلى تجديد الدِّين، فيأتي الله -تعالى- مِن الخلق بعوض مِن السَّلَف، إمّا واحداً أو متعدِّداً. انتهى...»، ثم قال مُعقِّباً:

«فظهرَ أن المجدِّدَ لا يكونُ إلا مَن كان عالماً بالعلوم الدينية، ومع ذلك؛ مَن كان عزمُه وهمته آناءَ الليل والنهار إحياءَ السُّنَن ونَشْرَها، ونَصْرَ صاحبِها، وإماتةَ البِدَعِ ومُحْدَثاتِ الأمور، ومَحْوَها، وكَسْرَ أهلِها باللسان، أو تصنيف الكُتُب والتدريس، أو غير ذلك.

ومَن لا يكونُ كذلك؛ لا يكونُ مجدِّداً ألبتةَ، وإن كان عالماً بالعلومِ مشهوراً بين الناس مرجِعاً لهم ...»، ثمّ قال:

(تنبيه آخر): واعلَم أنه لا يَلزمُ أنْ يكونَ على رأس كلِّ مئة سنةٍ مُجَدِّدٌ واحدٌ فقط، بل يُمكنُ أنْ يكونَ أكثر مِن واحد».

قلتُ: =

[٤٢٠] قال الشّافعيُّ: كلُّ مُتكلِّم على الكتاب والسُّنّة فهو الجِدُّ، وما سواه فهو هذيان.

[٤٢١] قال الشّافعيُّ: لا يُقالُ للأصل: (لِمَ؟) ولا: (كيف؟).

زاد في روايةٍ: إنّما هو التّسليم له.

[٤٢٢] عن الشّافعيِّ، قال: اتّباعُ الحديثِ كما جاء.

[٤٢٣] قال الشّافعيُّ: الأصلُ: القرآنُ والسُّنَّة، أو قياسٌ عليهما.

[٤٢٤] سَمِعتُ يونس يقول: سمعتُ الشّافعيَّ يقولُ كذلك، قال: فإنْ لمْ يَكُن فقياساً عليهما، والإجماع أكثر مِن الحديث المنفرد.

[٤٢٥] قال الشّافعيُّ: قِراءةُ الحديثِ خيرٌ مِن صلاةِ التّطوُّع.

[٤٢٦] قال الشّافعيُّ: طَلَبُ العِلْمِ أفضلُ مِن صلاة التَّطوُّع.

[٤٢٧] قال الشّافعيُّ: إنْ كنتُ لأسيرُ الأيّامَ والليالِيَ في طَلَبِ الحديث

= وقدْ ألّف العلّامةُ السّيوطيُّ أرجوزةً في تَعداد المجدِّدين الماضين سمّاها: «تُحفة المهتدِين بأخبارِ المجدِّدين»، وممّا يَحسُنُ ذِكْرُه وجَمْعُه تتمّةً للأرجوزة استدراكاً عليها - وقد قام به غيرُ واحدٍ مِن أهل العلم - ذِكْرُ مَن بعدهم إلى عصرنا هذا.

ومِن هؤلاء المجدِّدين على سبيل المثال: محمّدُ بنُ عبد الوهاب، وتقيُّ الدين الهلالي، وعبدُ العزيز بنُ باز، ومحمدُ ناصرُ الدين الألباني، ومحمّدُ بنُ صالح العُثيمِين، رَحِمَ اللهُ هذه الكوكبةَ العلميّةَ المُشرِقةَ على جبين التأريخ الحاضر، مع ما أصاب الأُمّةَ مِن ضعفٍ ووَهْنٍ؛ لِبُعْدِها عن دِين ربها، ولا حَوْلَ ولا قوّة إلا بالله العليِّ العظيم.

الواحد؛ لأنَّ طَلَبَهُ فريضةٌ على كلِّ مسلم.

[٤٢٨] عن يونس بنِ عبدِ الأعلى، قال: قُلتُ للشّافعيّ: قال صاحبُنا الليثُ ابنُ سعد: لو رأيتُ صاحبَ هوىً يَمشي على الماء ما قَبِلْتُه. فقال الشّافعيُّ: أَمَا إنَّه قصَّر، لو رأيتُه يَمشي في الهواء لَمَا قَبِلتُه.

[٤٢٩] قال الشّافعيُّ لبعض أصحابِ الحديث: أنتُم الصَّيادلة، ونحنُ الأطِبَّاء[1].

[٤٣٠] عن عبدِ الله بنِ صالح -صاحبِ اللَّيث-، قال: كُنّا عند الشّافعيّ

(١) أَخْرَجَ الحافظُ ابنُ عبد البَرّ في «جامع بيان العلم» (٢/ ١٠١) بسندِه إلى عُبيدِ الله ابنِ عَمْرو، قال:

«كُنتُ في مجلسِ الأعمش؛ فجاءَهُ رَجُلٌ فسألَهُ عن مسألةٍ، فلَم يُجِبْهُ فيها، ونظرَ فإذا أبو حنيفةَ، فقال: يا نعمان! قُل فيها، قال: القولُ فيها كذا، قال: مِن أين؟ قال: مِن حديثِ كذا أنتَ حدَّثتنا، قال: فقال الأعمش: (نحن الصيادلة، وأنتم الأطباء)».

قلتُ:

قال شيخُنا المحدِّث الألباني - رَحِمَهُ اللهُ- في جوابِه على أسئلةِ أبي الحسنِ المأربيِّ - كما في الشريط الأول- حولَ الشذوذ وزيادة الثقة:

«... لا يَكفِي أنْ يَكونَ طالبُ العلمِ قويًّا في علم الحديث، بل ينبغي أنْ يكونَ أيضاً فقيهاً في علم الحديث، لا يكون كما يُنقل عن بعضهم: (أنتم الصيادلة، ونحن الأطباء)، الحقيقة يجبُ على المشتغِل في علم الحديث أن يكونَ فقيهاً؛ لأنّ الفقهَ يُساعدُ على أنْ يتفهّمَ هل هذه الزيادة تُنافي المزيدَ أم لا تنافي المزيد؟ المقصودُ أنْ لا تكونَ في زيادته زيادةٌ في معنى».

في مَجلِسه، فجعلَ يَتكلَّمُ في تَثبيتِ خبر الواحدِ عن النّبيِّ ﷺ، فكتبناه، وذَهَبْنَا بِه إلى إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ عُلَيَّة، وكان مِن غلمان أبي بكر الأصمّ[1]، وكان في مَجلسِه عند باب الضّوال[2]، فلمّا قرأنا عليه؛ جَعَل يَحتجُّ بإبطالِه، فكتَبْنَا ما قال، وذَهَبْنَا به إلى الشّافعيّ، فنَقَضَهُ الشّافعيُّ، وتَكَلَّم بإبطالِه، ثمّ كتبناه، ثمّ جِئنا به إلى ابنِ عُليّة، فنقَضَه، ثمّ جئنا به إلى الشّافعيّ، فقال: إنَّ ابن عُليَّة ضالٌّ، قد جَلَسَ بباب الضَّوال يُضِلّ النّاس.

[٤٣١] قال الشّافعيُّ: مَن تَعلَّم القرآنَ: عَظُمَتْ قيمتُهُ، ومَن تَكلَّمَ في الفِقه: نَمَا قَدْرُه، ومَن كَتَبَ الحديثَ: قويتْ حُجَّتُه، ومَن نَظَرَ في اللُّغَةِ: رَقَّ طَبْعُه، ومَن نَظَرَ في الحسابِ: تجزّلَ رأيُه، ومَن لم يَصُن نَفْسَه: لمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُه.

[٤٣٢] قال المُزنيّ: كنتُ أنظرُ في الكلام قَبْلَ أن يَقْدُم الشّافعيّ، فلمّا قَدِمَ الشّافعيُّ؛ أَتيتُه، فسألتُه عن مسألةٍ في الكلام. فقال لي: تَدْرِي أينَ أنت؟ قال: قُلتُ: نَعَم، أنا في المسجد الجامع بالفسطاط. فقال لي: أنت في تاران.

قال الرَّاوي: و(تاران): مَوضِعٌ في بحر القُلْزُم لا يَكادُ تَسلَمُ منه سفينةٌ[3].

وقال: ثمّ أَلْقَى عَلَيَّ مسألةً في الفقه، فأجبتُ فيها، فأدخل شيئاً أفسد جوابي،

---

(١) أبو بكر الأصمّ؛ هو: شيخ المعتزلة، كان يقولُ بخَلْقِ القرآن، والعياذ بالله.

(٢) وهو اسمُ بابٍ كان بجامع مصر.

(٣) قلتُ:

مَن كان هذا حالُه، فإنّه تتلاطَم به أمواج الشُّبهات والأهواء، في بحرٍ لجيٍّ يَغشاهُ الهوى وحبّ الأنا، في تيهٍ وحَسرةٍ، لا يكادُ يَسلَمُ منه إلّا مَن شاء اللهُ ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾.

فأجبتُ بغير ذلك، فأَدْخَلَ شيئاً أَفسَدَ جوابي، فجَعَلْتُ كُلَّما أجبتُ بشيءٍ أَفسدَهُ. قال: ثمّ قال لي: هذا الفِقهُ الذي فيه الكتابُ والسُّنّة وأقاويل النّاس يَدْخُلُه مثلُ هذا، فكيف الكلامُ في ربِّ العالمين، الّذي الزَّلَلُ فيه كُفْر؟! فتركتُ الكلام، وأَقْبَلْتُ على الفِقْه[1].

(١) قلتُ:

وإنْ تَعْجَب فَعَجَبٌ قولُ مَن يقول: أنا شافعيٌّ المذهب، أشعريٌّ المعتقَد، أو مَن قال: أنا حنبليٌّ في الفروع، معتزليٌّ في الأصول، ونحو هذا مِن مُخالفَةِ الإمام في العقيدة.

ولهذا؛ نَقَلَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميّةَ في «الفتاوى» (٤/ ١٧٦) عن أبي الحسن الكَرَجي في ردِّه على أهلِ البدع:

«ووجهٌ ثالثٌ لا بُدّ مِن أنْ نبيِّنَ فيه فنقولُ: إنّ في النّقل عن هؤلاء -يعني: الأئمة- إلزاماً للحُجَّةِ على كلِّ مَن ينتحلُ مذهب إمامٍ يخالفُه في العقيدةِ، فإنَّ أَحدَهُما لا محالَةَ يُضلِّلُ صاحبَه، أو يُبدِّعُه، أو يُكفِّرُه، فانتحالُ مذهبِه -مع مخالفتِه له في العقيدة- مُستنكر -واللهِ- شرعاً وطبعاً!!

فمَن قال: أنا شافعيُّ الشرع، أشعريُّ الاعتقاد، قلنا له: هذا مِن الأضداد، لا بل مِن الارتداد، لمْ يكُن الشافعيُّ أشعريَّ الاعتقاد، ومَن قال: أنا حنبليٌّ في الفروع، معتزليٌّ في الأصول، قلنا: قد ضَلَلْتَ إذاً عن سواءِ السبيل فيما تزعمه؛ إذْ لمْ يَكُنْ أحمدُ معتزليَّ الدين والاجتهاد.

قال: وقد افتُتِنَ أيضاً خَلْقٌ مِن المالكيّةِ بمذاهب الأشعريَّةِ، وهذه -واللهِ- سُبَّةٌ وعارٌ، وفلتةٌ تعودُ بالوَبال والنَّكالِ وسوءِ الدار على مُنتحِل مذاهبِ هؤلاءِ الأئمةِ الكبار؛ فإنَّ مذهبَهُم ما رويناه: مِن تكفيرِهم: الجهميَّة، والمعتزِلة، والقدريَّة، والواقفيَّة، وتكفيرِهم اللفظيَّة...». =

[٤٣٣] قال المُزنيّ: سألتُ الشّافعيَّ عن مسألةٍ في الكلام، فقال: سَلْنِي عن شيءٍ إذا أخطأتُ فيه قلتَ: أخطأتَ، ولا تَسألْنِي عن شيءٍ إذا أخطأتُ فيه؛ قلتَ: كَفَرْتَ(١)!

[٤٣٤] قال المُزنيّ: سمعتُ الشّافعيّ يقول للرّبيع: يا ربيع! اقْبَلْ منّي ثلاثة أشياء: لا تخوضنَّ في أصحاب رسول الله ﷺ؛ فإنَّ خصمَك النّبيُّ ﷺ يوم القيامة، ولا تشتغِل بالكلام؛ فإنّي قد اطّلعت مِن أهل الكلام على التَّعطيل.

زاد المُزنيّ: قال: ولا تَشتغلُ بالنُّجوم، فإنّه يجرّ إلى التَّعطيل.

[٤٣٥] عن حسين الكرابيسيّ، قال: سُئلَ الشّافعيُّ عن شيءٍ مِن الكلام، فغضِبَ، وقال: سَلْ عن هذا حَفْصاً الفردَ وأصحابَه -أخزاهم الله-!

= قلتُ:

وكذَا قولُ أفراخِهم -في هذا الزّمان على هذا النّمط مِن أهل البدع-: أنا سَلَفِيُّ العقيدةِ، إخوانيُّ المنهج! أو تبليغيُّ المنهج! وهكذا مما يُنادِي به على نفسِه بالجهل والتيه والحسرة؛ إذْ لا عقيدة سَلَفِيَّة إيمانية إلّا ومنهج السَّلَفِ قد أحاطَها وحماها وحفِظَها مِن الانحراف والخُروج عن جادَّة الطريق الذي رَسَمَهُ حِبُّنا ﷺ؛ فالعقيدةُ السّلفيَّة مع المنهج السَّلَفِيّ كالروح مع الجسد، ومَن حُرِمَ المنهجَ السَّلَفِيَّ؛ حُرِمَ خيراً كثيراً.

(١) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «الفتاوى» (١٦/ ٤٧٣) -بَعْدَ ذِكرِه ذمَّ الشافعي لأهل الكلام-:

«وقد بُسِط تفسيرُ كلامِه وكلامِ غيرِه في مواضعَ، وبُيِّن أنَّ مُرادَهم بالكلام هو كلام الجهميَّةِ الذين نفوا به الصفات، وزعمُوا أنهُم يُثبِتُون به حدوثَ العالم، وهي طريقة الأعراض».

[٤٣٦] قال الشّافعيُّ: لَأَنْ يَلْقَى اللهَ العبدُ بكلِّ ذَنْبٍ ما خَلَا الشّرك بالله خيرٌ له مِن أَنْ يَلقاهُ بشيءٍ مِن الأهواء.

[٤٣٧] قال الشّافعيُّ: مذهبي في أهل الكلام تقنيعُ رؤوسهم بالسّياط، وتشريدهم مِن البلاد.

[٤٣٨] قال الشّافعيّ: حُكْمِي في أهل الكلام أنْ يُضرَبُوا بالجريد، ويُحمَلُوا على الإبِل، ويُطافَ بهم في العشائر والقبائل، ويُنادَى عليهم: هذا جزاءُ مَن تَرَكَ الكتابَ والسُّنّة، وأَقْبَلَ على الكلام[1]!

[٤٣٩] قال الشّافعيُّ: ما ناظرتُ أحداً إلّا على النّصيحة.

[٤٤٠] قال الشّافعيُّ: ما ناظرتُ أحداً في الكلام إلّا مرّةً، وأنا أستغفِرُ الله مِن ذلك.

[٤٤١] قال الشّافعيُّ: إذا سمعتَ الرّجلَ يقولُ: الاسمُ غير المُسَمَّى[2]،

---

(١) صحيح. انظُر «المناقب» (١/ ٤٦٢) للبيهقيِّ.

(٢) قلتُ:

المقصودُ بذلك بعض الجهميَّة والمعتزلة الذي مِن قولهم: (الاسم غير المسمّى)! أيْ: أنّ أسماءَ الله غيرُه، وما كان غيره فهو مخلوق!

قال شيخُ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٨٦):

«وهؤلاء هُم الذين ذمَّهُم السَّلَفُ، وغلَّظُوا فيهم القول؛ لأنّ أسماءَ الله مِن كلامه، وكلام الله غير مخلوق، بل هو المتكلِّمُ به، وهو المسمِّي لِنَفْسِه بما فيه مِن الأسماء... ».

إلى أنْ قال عن الجهميّة: «بل قد يقولون: إنه تكلّم به، وسمَّى نَفْسَه بهذه الأسماء،=

والشَّيءُ غيرِ الشَّيء؛ فاشْهَدْ عليه بالزَّندقة.

[٤٤٢] قال الشّافعيُّ في كتابِه «الوصايا»: لو أنَّ رَجُلاً أَوْصَى بكتبُه مِن العِلْم لآخَر -وكان فيها كُتُب الكلام- لمْ تَدخُل في الوصيَّة؛ لأنّه ليس مِن العِلْم.

=بمعنى أنّه خَلَقَها في غيرِه لا بمعنى أنّه نفسه تكلَّمَ بها الكلامَ القائمَ به، فالقولُ في أسمائه هو نوعٌ مِن القول في كلامِه... ».

إلى أن قال:

«والمقصودُ هنا أنّ المعروفَ عن أئمّةِ السُّنَّة إنكارُهم على مَن قال: (أسماءُ الله مخلوقةٌ)، وكان الذين يُطلِقونَ القولَ بأنّ (الاسم غير المسمّى) هذا مُرادُهم.

فلهذا يُرْوَى عن الشّافعيِّ والأصمعيِّ -وغيرهما- أنّه قال: إذا سمعتَ الرَّجلَ يقول: الاسم غير المسمّى؛ فاشْهَدْ عليه بالزَّندقة!».

ثُمَّ ذَكَرَ -رَحِمَهُ اللهُ- الخلافَ بين السَّلف: (هل الاسمُ هو المسمَّى؟)، وبَسَطَ القولَ فيه، وَذَكَرَ كلامَهُم فانظُرْه؛ فإنّه مهم جدًّا. «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٨٧).

ومُرادُ الجهميَّةِ مِن قولهم: (إنّ الشّيءَ غير الشَّيء): أنَّ اللهَ لا شيء.

كما قال بعضُ الذين جاوَرُوا جَهْماً فيمَا نَقَلَهُ عثمانُ بن سعيد في «الرَّدِّ على المريسيّ العنيد فيما افترَى على الله في التَّوحيد»:

«قد عَلِمْتُ مُرادَكَ أيّها الأعجميّ وتعني أنّ الله لا شيء؛ لأنّ الخلقَ كلُّهم عَلِمُوا أنّه ليس شيءٌ يَقَعُ عليه اسم (الشَّيء) إلّا وله حدٌّ وغايةٌ وصفةٌ، وأن لا شيء ليس له حدٌّ ولا غاية ولا صفة؛ فالشَّيء أبداً موصوف لا مَحالة، ولا شيءَ يُوصفُ بلا حدٍّ ولا غاية، وقولك: لا حدّ له؛ تعني أنّه لا شيء!».

انظُر «نقض عثمان بن سعيد على بِشْر المريسيّ العنيد» (ص٢٣)، وتحقيق الأنصاري للأصل.

[٤٤٣] قال الرّبيع: كان الشّافعيُّ قد جزَّأَ اللّيلَ ثلاثةَ أثلاثٍ: الثُّلُثُ الأوّل: يَكْتُبُ الحديث، والثّاني: يُصلِّي، والثّالث: يَنام.

[٤٤٤] قال الشّافعيُّ: الكلام يَلْعَنُ أهلَ الكلام.

[٤٤٥] قال الشّافعيُّ: كُلّ ما قُلْتُ فكان عن النّبيّ ﷺ خِلاف قولي ممّا يَصِحّ، فحديثُ النّبيِّ ﷺ أوْلَى.

[٤٤٦] قال الرّبيعُ: لمّا كَلَّمَ الشّافعيُّ حَفْصاً الفردَ، قال حفصٌ: القرآنُ مخلوقٌ. فقال له الشّافعيُّ: كَفَرْتَ بالله العظيم[1].

[٤٤٧] قال الرّبيعُ: سَمِعْتُ الشّافعيَّ وأَشْرَفَ علينا يوماً، وفي الدّار قَوْمٌ قد أَخذُوا في شيءٍ مِن الكلام، يقولُ: إمَّا أنْ تُجاوِرُونا بخير، وإمّا أنْ تَنْصَرِفُوا عنّا.

[٤٤٨] قال الشّافعيُّ: لو عَلِمَ النَّاسُ ما في الكلام والأهواء؛ لَفَرُّوا منه كما يَفرُّون مِن الأسد.

---

(١) قال العلّامةُ البيهقيُّ في «السُّنَن الكُبرَى» (١٠/ ٢٠٧): «والذي روينا عن الشافعي وغيره من الأئمة من تكفير هؤلاء المبتدعة فإنّما أرادوا به كُفراً دُون كُفر، وهو كما قال اللهُ -عزَّ وجل-: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، قال ابن عبّاس: إنّه ليس بالكفر الذي تذهبون إليه إنّه ليس بكفر ينقل عن مِلَّة ولكن كُفر دون كُفر».

قُلتُ: هذا الأصل في كلام السلف، ولكن إذا بان كُفرٌ أكبر مُخرج مِن الملّة وتحقّقت شُروط التكفير، وانتفت الموانع مع قيام الحُجّة الرِّسالة، فالتحقيق آنذاك تكفيرهم وخروجهم مِن المِلّة، وانظُر في ذلك: «الفتاوى» (٧/ ٦١٩) و(٢٨/ ٥٠٠).

[٤٤٩] عن الشّافعيِّ: أنّه كان يَكْرَهُ الصّلاةَ خَلْفَ القَدَرِيِّ.

[٤٥٠] قال البويطيُّ: سألتُ الشّافعيَّ: أُصلِّي خلف الرَّافضيّ؟ قال: لا تُصلِّ خلفَ الرّافضيّ، ولا خلفَ القدريّ، ولا المُرجِئ، قال: فقُلْتُ: صِفْهم لنا. قال: مَن قال: إنّ الإيمانَ قولٌ؛ فهو مُرْجِئٌ، ومَن قال: إنّ أبا بكرٍ وعُمَرَ لَيْسَا بإمامَيْن؛ فهو رافضيٌّ، ومَن جَعَلَ المشيئةَ إلى نَفْسِه؛ فهو قَدَرِيٌّ.

[٤٥١] أنشدَنا الشّافعيُّ في ذَمِّ الكلام:

لمْ يَبْرَحِ النّاسُ حتّى أَحدَثُوا بِدَعاً ... في الدِّينِ بالرّأيِ لمْ تُبْعَثْ بها الرُّسلُ
حتّى اسْتَخَفَّ بدِينِ الله أَكثرُهم ... وفي الّذي حُمِّلُوا مِن حَقِّه شُغلُ

[٤٥٢] قال بِشْرٌ الحافي: النّظرُ إلى أهل الأهواء يُوَرِّثُ القَلْبَ القساوةَ، والنّظرُ إلى الفاسقِ يُطفِئُ نورَ الإيمان(١).

[٤٥٣] قال أحمدُ بنُ الوزير القاضي: قلتُ لأبي عمر الضّرير: الرّجلُ يَتعلَّمُ شيئاً مِن الكلام يَرُدُّ به على أهلِ الجهل. فقال: الكلامُ كُلُّه جهلٌ!! وإنّك كُلّما كُنْتَ بالجهل أعلمَ كُنْتَ بالعلم أَجهلَ!

[٤٥٤] عن عليِّ بنِ المدينيّ، قال: يَحتاجُ صاحبُ الحديث إلى ثلاثةِ أشياء: أَنْ يكونَ صاحبَ سُنَّة، وأَنْ يكونَ صَدُوقاً، وأَنْ يَكُونَ يُعْرَفُ بالطَّلَب.



(١) قُلتُ:
والنَّظَرُ إلى أهلِ الحديث يُورث القلبَ الرَّحمةَ ونُورَ الإيمان.

ذِكْر إنكار إسحاق بن راهويه عليهم

[٤٥٥] قال إسحاقُ بنُ إبراهيم: لا يَجُوزُ الخوضُ في أَمْرِ الله كما يجوزُ الخوضُ في فِعْلِ المخلوقين؛ لِقَوْلِ الله -تعالى-: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، ولا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَوَهَّمَ على الله بصفاتِه وفِعالِه بِفَهْمٍ، كما يجوزُ التّفكُّرُ والنّظرُ في أَمْرِ المخلوقِين، وذلك أنّه يُمْكِنُ أَنْ يكونَ اللهُ -عز وجل- مَوصوفاً بالنُّزولِ كلَّ ليلةٍ إذا مَضَى ثُلُثُهَا إلى السّماءِ الدُّنيا كما يشاء، ولا يُسأَلُ: كيف نُزوله؟ لأنّ الخالق يَصْنَعُ ما شاء كما يشاء.

[٤٥٦] قال قُتيبةُ بنُ سعيد: إذا رأيتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ سفيانَ، ومالكاً، وابنَ المبارَك، ويحيى بنَ يحيى، وأحمدَ بنَ حنبل، وإسحاقَ بنَ إبراهيم، فاعْلَم أنّه على الطّريق[1].

---

(١) قلتُ:

وإذا رأيتَ الرّجُلَ يُحِبُّ عبدَ العزيز بنَ باز، ومحمداً ناصرَ الدين الألبانيَّ، ومحمدَ بنَ صالح العُثَيْمِين؛ فاعلَمْ أنه على الطريق.

نَعَم؛ نَحْنُ لا نَدَّعِي لهم العِصمةَ، بل كلٌّ يُخطِئ ويُصيبُ إلّا النبيَّ ﷺ المُسَدَّدَ بالوحيِ مِن ربِّ العالمين، لكن هؤلاء أعلامٌ على المنهج الحقِّ، ولِذا؛ نَمتحِنُ بهم الأشخاص -مع معرفة ضوابط وشروط (الامتحان)- مِن غير إِفراط أو تفريط، أمّا أن نجعلَ للأُمّة صَنماً يُعبَدُ مِن دون الله، فهذا مِن غُلُوِّ أهل البدع.

ولهذا؛ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ مُقرِّراً ومُحرِّراً لهذا الأصل كما في «الفتاوى» (٢٠/ ١٦٤): =

[٤٥٧] قال عليُّ بنُ خشرم: دَخَلَ إسحاقُ بنُ إبراهيم على عبدِ الله بنِ طاهر، فسألَهُ عن حديثِ رسولِ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يَنزِلُ إلى السّماء الدُّنيا»: كيف يَنزِلُ؟ فقال: يَقْدِرُ أَنْ يَنزِلَ بلا كيف؟ قال: نَعَم، يَقْدِرُ أنْ يَنزِلَ، قال: ولا يَخْلُو منهُ مكان؟ قال: نَعَم(١).

= «ولهذا؛ تَجِدُ قوماً كثيرين يُحِبُّون قوماً ويُبغِضونَ قوماً لأجلِ أهواءٍ لا يَعرِفُونَ معناها ولا دليلَها، بل يُوالون على إطلاقِها، أو يُعادُون مِن غير أن تكون منقولةً نَقلاً صحيحاً عن النبيِّ ﷺ وسَلَفِ الأُمّة، ومِن غير أنْ يكونوا هُم يَعقِلونَ معناها، ولا يعرفون لازِمَهَا ومُقتضاها.

وسَبَبُ هذا: إطلاقُ أقوالٍ ليست مَنصوصةً، وجَعْلُها مذاهبَ يُدْعَى إليها، ويُوالَى ويُعادَى عليها، وقد ثَبَتَ في «الصحيح» أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول في خُطبتِه: «إنّ أصدقَ الكلام كلامُ الله... -الخ-»، فدِين المسلمين مَبنِيٌّ على اتِّباع كتابِ الله وسُنَّةِ نبيِّه، وما اتَّفَقَت عليه الأُمّة، فهذه الثلاثة هي أصولٌ معصومةٌ، وما تنازعَت فيه الأُمّة؛ رَدُّوه إلى الله والرسول، وليسَ لأحدٍ أنْ ينصب للأُمّةِ شَخصاً يدعو إلى طريقتِه، ويُوالي ويُعادِي عليها غير النبي ﷺ، ولا ينصب لهم كلاماً يُوالي عليه ويعادِي عليها، غير كلام الله ورسوله، وما اجتمعَت عليه الأُمّةُ، بل هذا مِن فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يُفرِّقُون به بين الأُمّة، يُوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون».

(١) صحيح. انظر «مُختصَر العُلُوّ» (٢٣٥) لشيخِنا الإمامِ الألبانيِّ.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «الفتاوَى» (٥/ ٤١٥):

«والمقصودُ -هنا- الكلام على مَن يقول: (يَنْزِل ولا يَخلُو منه العرش)، وأنَّ أهلَ الحديث في هذا على ثلاثةِ أقوال».

ثُمَّ قال: =

[٤٥٨] قال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ: ليس في النُّزول وَصْفٌ.

[٤٥٩] عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الحنظليِّ في الحديث الّذي فيه: «**يَجِيءُ القرآنُ يومَ القيامة في صُورةِ الرّجلِ الشّابِّ الشّاحبِ**»[1] قال: إنّما يَجيءُ ثوابُ عَمَلِه وهو خيالٌ كالرّجل، ليس خَلْقاً مَخلوقاً، وجاء في الحديث: «**الحَجَرُ الأسود يومَ القيامةِ له عَينان ولِسان**»[2]، ولقد جاءنا عن النّبيّ ﷺ: «**إذا أُدخِلَ الرَّجُلُ الصّالحُ القَبْرَ، أتاهُ عَمَلُهُ الصّالحُ على أحسنِ صُورَةٍ، فيقول: أنا عَمَلُك الصّالِح**»[3]، إنّما يجيءُ ثوابُ عملِه وهو خيال، كيف يُدرَك صفة هذا بالعقول،

= «والقولُ الثالث -وهو الصواب، وهو المأثور عن سَلَفِ الأُمَّةِ وأئمتها -: أنه لا يزال فوقَ العرش، ولا يَخلُو العرشُ منه مع دُنُوِّه ونُزولِه إلى السماء الدنيا ولا يكون العرش فوقه، وكذلك يومَ القيامةِ كما جاء به الكتابُ والسُّنَّة، وليس نُزولُه كنزولِ أجسام بني آدم مِن السطح إلى الأرض، بحيث يَبْقَى السقف فوقَهُم، بل الله مُنَزَّهٌ عن ذلك».

وقال أيضاً في نفس الموضع (٥/ ٣٩٦):

«وفي الجملة: فالقائلونَ بأنه يَخلُو منه العرش طائفةٌ قليلةٌ مِن أهل الحديثِ وجمهورهم على أنه لا يَخلُو منه العرشُ، وهو المأثور عن الأئمة المعروفين بالسُّنَّة، ولمْ يُنْقَلْ عن أحدٍ منهم بإسنادٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ أنَّ العرشَ يَخلُو منه...».

(١) حديثٌ حَسَن. انظُر ما قاله شيخُنا العلّامةُ الألبانيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في تخريجِ أحاديث «شرح العقيدة الطَّحاويَّة» (١٢٣).

(٢) إسنادُه صحيح. انظُر «مشكاة المصابيح» تحقيق شيخنا الألبانيّ رقم (٢٥٧٨).

(٣) صحيح. وهو قطعةٌ مِن حديث البَراء بنِ عازب، انظُر «صحيح الجامع» (١٦٧٦).

وقد نُهينَا عن تَكَلُّف عِلْم هذا؟! وإنّما علينا التّعبُّدُ والاستسلامُ(١).

---

(١) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «الفتاوى» (٨/ ٤٠٨ - وما بعدَها):

«ولـمّا احْتَجَّ الجَهْمِيَّةُ على الإمام أحمدَ وغيرِه مِن أهل السُّنَّةِ على أنَّ القرآن مخلوقٌ بقول النبيِّ ﷺ: «**تأتي (البقرةُ) و(آلُ عمران) كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان مِن طير صواف، ويأتي القرآنُ في صورة الرجل الشاحب**» -ونحو ذلك-.

قالوا: ومَن يأتي ويذهبُ لا يكونُ إلّا مخلوقاً!

أجابَهُم الإمام أحمد: بأنَّ الله -تعالى- قد وَصَفَ نَفْسَهُ بالمجيء والإتيان بقولِه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام:١٥٨]، وقال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢].

ومع هذا؛ فلم يكن هذا دليلاً على أنه مخلوقٌ بالاتفاق، بل قد يقول القائل: جاءَ أمرُه، وهكذا تقولُ المعتزلةُ الذين يقولون: القرآنُ مخلوقٌ، يَتأوَّلون هذه الآية على أنّ المراد بمجيئه: مجيء أمره، فلِمَ لا يَجُوزُ أنْ يتأوَّلَ مجيء القرآن على مجيءِ ثوابه؟ ويكون المراد بقوله تجيء (البقرة) و(آل عمران) بمجيء ثوابها، وثوابُها مخلوق.

وقد ذَكَرَ هذا المعنى غيرُ واحدٍ، وبيَّنوا أن المراد بقوله: «**تجيء (البقرةُ) و(آلُ عمران)**» أيْ: ثوابها؛ ليجيبوا الجَهْمِيَّةَ الذين احتجُّوا بمجيءِ القرآن وإتيانه على أنه مخلوق، فلو كان الثوابُ أيضاً يجيءُ في صورة غمامة أو صورة شاب غير مخلوق؛ لم يَكُنْ فرقٌ بين القرآن والثواب، ولا كان حاجة إلى أن يقولوا: يَجيءُ ثوابُه؟ ولا كان جوابهم للجهميَّةِ صحيحاً، بل كانت الجهمية تقول: أنتم تقولون: إنه غير مخلوق، وإن ثوابه غير مخلوق، فلا يَنْفَعُكم هذا الجواب.

فعُلِمَ أنَّ أئمةَ السُّنَّةِ مع الجَهْمِيَّةِ كانوا مُتَّفِقِين على أنَّ ثوابَ قراءة القرآن مخلوق، فكيف يكونُ سائرُ الأعمال، وهذا بيِّن؛ فإنَّ الثواب والعقاب هو ما وَعَدَ اللهُ به عبادَه، وأوعدهم=

[٤٦٠] قال إسحاقُ بنُ إبراهيم: أَعْرِفُ مكانَ مئةِ ألفِ حديثٍ كأنّي أَنْظُرُ إليها، وأَحفظُ سبعينَ أَلْفاً صحيحةً، وأربعةَ آلافِ حديثٍ مُزوَّرة. فقيل له: ما معنى حفظ المزوَّرة؟ قال: إذا مَرَّ بي حديثٌ منها في الأحاديث الصّحيحة عَرَفْتُه.

[٤٦١] عن الحسن السُّلميّ، قال: حَبَسَ هشامُ بنُ عبيدِ الله رَجُلاً في التَّجهُّم، فتَابَ، فجِيءَ به إلى هشام لِيَمتَحِنَه، فقال: الحمدُ لله على التّوبة، أَتَشْهَدُ أنَّ اللهَ على عَرْشِه بائنٌ مِن خَلْقِه؟ قال: أَشهَدُ أنّ اللهَ على عَرْشِه، ولا أدري ما بائِنٌ مِن خَلْقِه؟! فقال: رُدُّوه إلى الحَبْس، فإنّه لم يَتُب!



=به، فالثوابُ هو الجنة بما فيها، والعقابُ هو النار بما فيها، والجنة بما فيها مخلوق، والنار بما فيها مخلوق.

وقد ذَكَرَ الامامُ أحمدُ هذه الحُجَّة فيما كتبه في «الرّد على الزنادقة والجهمية»، فقال:

«باب ما ادَّعَت الجَهْمِيَّةُ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ مِن الأحاديث التي رُوِيَت أنّ «القرآن يجيءُ في صورة الشاحب، فيأتي صاحبَه فيقول: هل تعرفُني؟ فيقول له: مَن أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أظمأتُ نهارَك وأسهَرْتُ ليلَك، قال: فيأتي به الله، فيقول : يا رب!».

فادَّعَوْا أنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فقُلنا لهم: إنّ القرآن لا يجيء بمعنى أنه جاء: مَن قرأ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فله كذا وكذا، ألا ترون مَن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا يجيئه، بل يجيء ثوابه، لأنّا نقرأُ القرآنَ فنقول لا يجيء، ولا يتغيَّر مِن حالٍ إلى حال».

فبيَّن أحمدُ أنّ الثوابَ هو الذي يَجيءُ، وهو المخلوق من العمل، فكيف بعقوبة الأعمال التي تتغيَّرُ مِن حالٍ إلى حال، فإذا كان هذا ثواب: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وهو ثواب القرآن فكيف ثواب غيره!!

الطبقة السابعة
وفيهم نَجَمَت الكُلاَّبية

[٤٦٢] قال عثمانُ بنُ سعيد الدّارميّ: لا نُكيِّفُ هذه الصّفات، ولا نُكذِّبُ بها، ولا نُفسِّرها[1].

[٤٦٣] قال المُزَنِيُّ: القرآنُ كلامُ الله غير مخلوق، وما دِنْتُ اللهَ بغير هذا قطّ، ومَن قال: مخلوقٌ؛ فهو كافرٌ، ولكنَّ الشّافعيَّ كان يَنْهَى عن الكلام.

[٤٦٤] قال عبدُ الرّحمن بنُ أبي حاتم: كان أبي وأبو زُرْعَة يَنهيان عن مُجالَسة أهل الكلام، والنَّظَر في كُتُب المتكلِّمين، ويقولان: لا يُفلِحُ صاحبُ الكلامِ أبداً، ويَهجُرانِ أهلَ الزَّيغ والبدع، ويُغلظان فيه أشدّ التّغليظ، ويُنكِرَان وَضْعَ الكُتُب بالرّأي بغيرِ آثار، ويَأمُران بهجرانهم[2].

---

(١) قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «درء التعارض» (١/ ٢٦٤): «فكما نحن لا نكيِّف هذه الصفات، لا نُكذِّب بها كتكذيبِكم ولا نُفسِّرها كباطل تفسيركم».

قلتُ: أيْ: تكييف وتكذيب وتفسير أهل البدع.

(٢) أسندَ حافظُ المغرب ابنُ عبدِ البَرّ في «جامع البيان» (٢/ ١٣٠) بسندِه إلى خُويزَمِنداد -أحد فقهاء المالكيّة- في (كتاب الإجارات) من كتابه في الخلاف:

«قال مالك: لا تجوزُ الإجارة في شيءٍ مِن كُتُب أهل الأهواء والبدع والتنجيم... وذَكَرَ كُتُباً؛ ثمّ قال: وكُتُبُ أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كُتُبُ أصحاب الكلام مِن المعتزِلَة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك، وكذلك كُتُبُ القضاء بالنجوم وعزائم الجن، وما أشبه ذلك. =

[٤٦٥] قال إبراهيمُ الحربيُّ: إذا لمْ يَكُن عند الرّجل: فلانٌ عن فُلان؛ فاغسِل اليَدَيْن منه!

[٤٦٦] قال الزَّجَّاجُ النَّحويُّ: مَن أَفْنَى عُمُرَه في طَلَبِ الخلاف؛ لَمْ يَصْلُحْ له مَأوىً يأويه، ولا محَل يكون فيه، فإنْ أخذَ بظاهر الكتاب؛ سَلِمَ في الآخِرَة مِن العِتَاب[1].

= وقال في (كتاب الشهادات) في تأويلِ قول مالك: لا تَجوزُ شهادةُ أهل البدع، وأهل الأهواء، قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هُم أهل الكلام؛ فكُلُّ مُتكلِّم فهو مِن أهل الأهواء والبدع، أَشعرِيًّا كان أو غير أشعري، ولا تُقبَلُ لهم شهادةٌ في الإسلام، ويُهجر ويؤدَّب على بدعته، فإنْ تمادَى عليها؛ استُتِيب منها».

(١) أقول:

مَن أفنَى عُمُرَه في الرُّدود والتَّعقُّبات، وشراء كُتُب وأشرطة الرُّدود في بداية طَلَبِه للعلم؛ لمْ يصلح له مأوى يأويه، ولا محمل يكون فيه، فإنْ أخذَ بالتَّأصيل في الطَّلب وحسن السِّيرة والسَّريرة، مع المحافظة على هَدْي النَّبيِّ ﷺ في العبادة وتزكية النفس؛ سَلِمَ في الدنيا والآخِرة.

والنّاظرُ في حال طَلَبَةِ العلم -لا بل طُوَيْلِبِي العلم!!- لَوَجَدَ النّاشئَ يَنْشَأُ ويَتربَّى على الجرح والتّجريح والطّعن في العلماء باسم (النَّصيحة)! -زَعَمُوا-، بل لَعلَّه لا يُفرِّقُ بين المبتدأ والخبر، ولا يُحسِنُ قراءة الفاتحة! فأصبحَ طلب العلم عند كثيرٍ من هؤلاء الشباب بشراء الكتب، والسَّمْت الأجوف، دون مراعاة صلاح القلوب، والسَّيْر إلى علّام الغُيوب -سُبحانه وتعالى- على طريق النبيِّ ﷺ المرغوب، ظاهراً وباطناً -رُحماك يا ربَّاه رُحماك- ولا حولَ ولا قوّة إلّا بالله العليِّ العظيم.

[٤٦٧] قال الحسنُ بنُ شجاع: بَلَغَ بعضَ الزّنادقةِ أنَّ النّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أجنحتَها لِطالِبِ العِلْم رِضاً بِما يَصْنَعُ»، فقال: لَأَطَأَنَّ أجنحةَ الملائكة! وأخذَ نَعْلَيْهِ وجَعَلَ فيهما مساميرَ الحديد!! وغَدَا إلى مَجلِسِ مالكِ بنِ أنس، وهو يَدقُّ الأرضَ دَقًّا، ويقول: لَأَكْسِرَنَّ أجنحةَ الملائكة! فعثر، فسقط، فلمْ يُمْكِنْهُ القيام، فحُمِلَ إلى مَنزِلِه، فوَقَعَت الأكلةُ في رِجلَيْه حتّى قُطِعَتَا.

قال سُفيان: فأنا رأيتُه كالغزال، ثمّ صار زَمِناً إلى أَنْ مات.

[٤٦٨] قال زكريّا بن يحيى السّاجي: كُنَّا نَمشِي في بعضِ أَزِقَّة البصرة إلى بعضِ المحدِّثين، فأَسْرَعْنَا المشيَ، ومعنا رَجُلٌ ماجِنٌ مُتَّهَمٌ في دِينِه، فقال: ارْفَعُوا أَرْجُلَكم عن أَجنِحَةِ الملائكةِ لا تَكْسِرُوها! كالمُستهزِئ، فلَم يَزَلْ مِن مَوْضِعِه حتَّى جفت رِجلاه وسَقَط.

[٤٦٩] أنشدَ القُتَيبيُّ في صِفَةِ أهل الكلام:

دَعْ مَن يَقُودُ الكلامَ ناحيةً ... فما يَقُودُ الكلامَ ذُو وَرَعِ
كُلُّ فريقٍ بَدْؤُهُم حسنٌ ... ثُمّ يَصيرونَ بَعْدُ للشّنع
أكثرُ ما فيه أَنْ يقالَ له: ... لَمْ يَكُ في قولِهِ بِمُنْقَطِعِ

[٤٧٠] أَنْشَدَ القُتَيبيّ لِعبدِ الله بنِ مصعب:

تَرَى المرءَ يُعجِبُهُ أَنْ يقولَ ... وأَسْلَمُ للمرءِ أَنْ لا يَقولَ
فأمسِكْ عليكَ فضولَ الكلامِ ... فإنَّ لكلِّ كلامٍ فُضولَا

ولا تَصْحَبَنَّ أخَا بِدعةٍ ... ولا تَسْمَعَنَّ لهُ الدَّهْرَ قِيلَا
فإنَّ مَقالَتهم كالظِّلالِ ... يُوشِكُ أَفياؤُهَا أنْ تَزُولَا
وقدْ أَحْكَمَ اللهُ آياتهِ ... وكَانَ الرَّسُولُ عليها دَلِيلَا
وأَوْضَحَ للمُسلِمِينَ السَّبيلَ ... فَلَا تَتْبَعَنَّ سِواهَا سَبِيلَا

[٤٧١] عن الحسن، قال: مَن طَلَبَ الحديثَ يُريدُ به وَجْهَ الله؛ كان خيراً ممّا طَلَعَت عليه الشّمسُ.

[٤٧٢] قال الجُنيدُ بن محمّد: أَقَلُّ ما في الكلام سُقوطُ هَيبةِ الرَّبِّ مِن القلبِ، والقلبُ إذا عري مِن الهيبةِ مِن الله -عز وجل- عَرِيَ مِن الإيمان.

[٤٧٣] قال محمّدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ: مَنْ لمْ يَقُلْ: إنَّ اللهَ في السّماء على العرشِ استوى؛ ضُرِبَتْ عُنُقُه، وأُلقِيَتْ جِيفَتُه على مزبلةٍ بعيدةٍ عن البلد؛ حتّى لا يَتأذّى بِنَتَنِ رِيحِها أحدٌ مِن المسلمين ولا المُعَاهَدِين.

[٤٧٤] قال سَهْلُ بنُ عبدِ الله في قوله -تعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة:٢]؛قال: على الإيمان والسّنّة، ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]؛ قال: الكُفْر والبدعة.

[٤٧٥] قال أبو عثمان: مَن أمَّرَ السُّنّةَ على نَفْسِه قَولاً وفِعلاً؛ نَطَقَ بالحكمة، ومَن أمَّرَ الهوَى على نَفْسِه؛ نَطَقَ بالبدعة. وقرأ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النُّور:٥٤].

[٤٧٦] قال أبو محمّد المرتعش: وسُئل أبو حفص: ما البدعة؟ قال: التّعدّي في الأحكام، والتّهاون بالسُّنن، واتّباع الآراء والأهواء، وترك الاقتداء والاتّباع.

[٤٧٧] قال أبو سعيد الإصطخريُّ، وجاءه رجلٌ وقال له: أيجوزُ الاستنجاءُ بالعَظْم؟ قال: لا. قال: لِمَ؟ قال: لأنّ رسول الله ﷺ قال: «**هو زادُ إخوانِكُم مِن الجنّ**»[1]. فقال له: الإنس أفضل أم الجنّ؟ قال: بل الإنس. قال: فلِمَ يجوز الاستنجاء بالماء وهو زاد الإنس؟ قال: فنزَا عليه وأخذَ بحَلْقِه، وهو يقول: يا زنديق! تُعارِضُ رسولَ الله ﷺ؟! وجعل يَخْنُقُهُ، فلولَا أنّي أَدْرَكْتُه؛ لَقَتَلَهُ -أو كما قال-.

[٤٧٨] قال أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ أبي سعدان: مَن جَلَسَ للمُناظَرةِ على الغَفْلَة؛ لَزِمَهُ ثلاثة عيوب: أوّله: جِدالٌ وصياح، وأوسطه: حُبُّ العُلُوِّ على الخَلْق، وآخِره: حِقْدٌ وغضب، ومَن جَلَسَ لِلمُناصَحَة، فأوّلُ كلامِه: مَوعظةٌ، وأوسَطُه: دِلالَةٌ، وآخرُه: بَرَكةٌ.

[٤٧٩] قال أبو الخير محمّدُ بنُ عبد الله الفَسَوِيُّ: رأيتُ النّبيَّ ﷺ في المنام فقلتُ: يا رسول الله! مَنِ الفِرْقَةُ النّاجيةُ مِن ثلاثٍ وسبعين فِرْقَة؟ قال: أَنتُم يا أصحابَ الحديثِ.

[٤٨٠] قال أبو عَمْرو بنُ مطر: سُئلَ ابنُ خزيمةَ عن الكلامِ في الأسماء والصّفات؟ فقال: بدعةٌ ابْتَدَعُوها، ولمْ تَكُن أئمّةُ المسلمينَ وأربابُ المذاهب

(١) أخرجَ مُسلِمٌ في «صحيحه» (١٠٠٦) نحوه.

وأئمّةُ الدِّينِ مِثلُ: مالكٍ، وسُفيانَ، والأوزاعيِّ، والشّافعيِّ، وأحمدَ، وإسحاقَ، ويحيى بنِ يحيى، وابنِ المبارَكِ، ومحمّدِ بنِ يحيى، وأبي حنيفةَ، ومحمّدِ بنِ الحسن، وأبي يوسف، يَتكلَّمُونَ في ذلك، ويَنْهَوْنَ عن الخوض فيه، ويَدُلُّون أصحابَهُم على الكتابِ والسُّنَّةِ، فإيّاكَ والخوضَ فيه والنّظرَ في كُتُبِهِم بحال.

[٤٨١] قال أبو بكر بن بِسْطام: سألتُ أبا بكر بن سيَّار عن الخوض في الكلام؟ فنهاني عنه أشدَّ النَّهي، وقال: عليكَ بالكتابِ والسُّنّةِ، وما كان عليه الصّدرُ الأوّل مِن الصَّحابةِ والتّابعينَ وتابعِي التّابعين؛ فإنّي رأيتُ المسلمينَ في أقطارِ الأرضِ يَنْهَوْنَ عن ذلك ويُنكِرونَه، ويَأمُرون بالكتاب والسُّنّة.

[٤٨٢] قال عبدُ الرّحمن بنُ أبي حاتم الرّازيّ: علامةُ أهلِ البِدَع الوَقِيعةُ في أهلِ الأثرِ، وعلامةُ الزّنادقةِ تَسْمِيتُهم أهلَ السُّنّة: حشويّة[1] -يُريدُون إبطال الأثر-، وعلامةُ الجهميّة تَسمِيتُهم أهلَ السُّنّة: مُشَبِّهَة[2].

---

(١) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «الفتاوى» (١٢/ ١٧٦):

«وأمّا قول القائل: (حشوية)؛ فهذا اللّفظُ ليس له مُسمّى معروف، لا في الشرع، ولا في اللُّغة، ولا في العُرْف العامّ، ولكنْ يُذْكَرُ أنَّ أول مَن تكلَّمَ بهذا اللفظ عمرُو بنُ عُبَيْد، وقال: كان عبدُ الله بنُ عُمَر حشويًّا.

وأصل ذلك: أن كل طائفة قالَت قولاً تُخالِفُ به الجمهور والعامّةَ يُنْسَبُ إلى أنه قول الحشويَّة، أي: الذين هُم حشو في الناس، ليسوا من المتأهّلين عندهم، فالمعتزِلة تُسمّي من أَثبتَ القَدَر: حشويًّا، والجهميَّةُ يُسمُّون مُثبِتَةَ الصفات: حشويَّة، والقرامطة -كأتباع الحاكم- يُسمُّون مَن أوجبَ الصلاةَ والزكاةَ والصيامَ والحجَّ: حشويًّا!!».

(٢) قلتُ:

=

....

= دَأَبَ أهلُ العلم منذ القديم على بيان علامات أهل البدع لِيُحْذَرُوا، ولهذا أقولُ مِن علاماتهم أنَّهم:

١ – حزبية؛ أصحاب إمارة وبيعة فيما بينهم، ممَّا نتجَ عنه تفرُّقهم شَذَرَ مَذَر.

٢ – الجهل واتباع الهوى؛ فصارُوا إلى المتشابه، فهلَكُوا.

٣ – الأخذ بالقرآن، وتَرْك السُّنَّة.

٤ – الأخذ بالمتواتر، دون الآحاد في العقيدة!

٥ – التكفير أو الطعن بالصحابة الكرام، والطعن بالعلماء الربانيِّين.

٦ – الحبّ والبُغض للحزب والجماعة، لا لله ورسوله ﷺ.

٧ – تكفير أهل المعاصي أو المُخالِفين لهم.

٨ – عدم العناية بالحديث الصحيح.

٩ – إثارة الفتن والقلاقل في بلاد المسلمين وغيرها.

١٠ – إطلاق الألقاب القبيحة على أهل الحق (أهل الحديث).

١١ – مُظاهَرَة الكفار على أهل السنة، وموالاة الكفار، والعيش في ديار الكفر.

١٢ – السِّرِّيَّة دون العامَّة.

١٣ – رَفْع السيف على رقاب الأُمَّة.

١٤ – يَذكُرون الذي لهم، ولا يَذكُرون الذي عليهم.

الطبقة الثامنة
وفيهم نَجَمَت الأشعرية

[٤٨٣] قال أحمدُ بنُ الحسن أبو الأشعث: قال رَجُلٌ لِبِشْرِ بنِ أحمدَ أبي سهل الإسفراييني: إنّما أَتَعَلَّمُ الكلامَ لِأَعرِفَ به الدِّين. فغضِبَ، وسَمِعْتُه قال: أَوَكانَ السَّلَفُ مِن علمائنا كُفّاراً؟!

[٤٨٤] قال الجريريّ: الجلوسُ للمُذاكَرة: فَتْحُ باب الفائدة، والجلوسُ للمُناظَرَة: غَلْقُ باب الفائدة.

[٤٨٥] سمعتُ الحسينَ بنَ محمّد الباسانيَّ يقول: حَضَرْتُ عليَّ بنَ عيسى، فذُكِرَ بَيْنَ يديه مِن كلام الكَرَّاميّة شيءٌ، فقال: اسْكُتُوا، لا تُنَجِّسوا مَسجِدِي!!

[٤٨٦] قال إبراهيمُ الخوَّاص: ما كانت زَنْدَقَةٌ ولا كُفْرٌ ولا بِدْعَةٌ ولا جُرْأَةٌ في الدِّينِ إلّا مِن قِبَلِ الكلامِ والجدالِ والمِراءِ والعُجْبِ، فكيفَ يَجترِئُ الرَّجُلُ على الجدالِ والمِراءِ واللهُ -تعالى- يقول: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر:٤].

[٤٨٧] قال محمّدُ بنُ عثمان النّجيميُّ: كان الحسينُ بنُ الشّمّاخ الحافظُ لا يَدَعُ أحداً مِن أهلِ الرّأيِ يَكتُبُ عنه، فنَشَدَهُ رَجلٌ مِن أَهْلِ المغرِب بالله، وذَكَرَ له طولَ الرِّحلَةِ، فرَوَى له شيئاً مِن مَساوئِ أبي حنيفة، ولمْ يُحدِّثْه بحديث!

الطبقة التاسعة

[٤٨٨] قال سَهْلُ بنُ محمّدٍ الصُّعْلُوكيُّ: أقلُّ ما في الكلام مِن الخَسارة: سُقوط هيبة الله مِن القلب.

[٤٨٩] قال محمّدُ بنُ عبدِ الرّحمن الدّبّاسُ: رأيتُ أبا منصور الحاكم ذُكِرَ بَيْنَ يدَيْه شيءٌ مِن الكلام، فأَدْخَلَ إصبعيه في أُذُنَيه.

[٤٩٠] قال يحيَى بنُ عمّار: العلومُ خمسةٌ: عِلْمٌ هو حياةُ الدِّين؛ وهو: عِلْمُ التَّوحيد، وعِلْمٌ هو قُوتُ الدِّين؛ وهو: العِظَة والذِّكْر، وعِلْم هو دواء الدِّين؛ وهو: الفقه، وعِلْمٌ هو داءُ الدِّين؛ وهو: أَخْبارُ فِتَنِ السَّلَف، وعِلْمٌ هو هلاكٌ للدِّين؛ وهو: عِلْمُ الكلام، وأراهُ ذِكْر النُّجوم.

[٤٩١] قال أحمدُ بنُ أبي نَصْر المالينيُّ: دخلتُ جامعَ عمرِو بنِ العاص -رضي الله عنه- بِمِصْرَ في نَفَرٍ مِن أصحابي، فلمّا جَلَسْنَا؛ جاء شيخٌ، فقال: أنتُم أهلُ خُرَاسان أهلُ السُّنَّة، وهذا هو مَوضِعُ الأشعريَّةِ، فقومُوا!!

[٤٩٢] قال عبدُ الله بنِ أبي نَصْر المؤدِّب: ما صلّى أبو نصر الصّابونيُّ على أبيهِ للمَذهب.

[٤٩٣] وقال أبو عبدِ الله محمّدُ بنُ مَنْدَه: ليتَّقِ امرُؤٌ وَلْيَعْتَبِرْ بمَن تَقَدَّم ممّن كان القولُ باللفظ[١] مذهبَه ومَقالتَه، كيفَ خَرَجَ مِن الدُّنيا مَهجوراً مذموماً

---

(١) قُلتُ:

أيْ: مَن قال: (لَفظِي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق)، وهذه مقالة مُجمَلَة تحتملُ الحقَّ=

مطروداً مِن المجالس والبلدان، لاعتقادِه القبيح، وقولِهِ الشَّنيع المخالِفِ لِدِين الله؟! مثل: الكرابيسيِّ، والشّواطِ، وابنِ كُلّاب، وابنِ الأشعريِّ، وأمثالِهم ممّن كان الجدالُ والكلامُ طريقَه في دِينِ الله -عز وجل-.

قال المؤلّفُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

«ثمّ إنّي لا أَعْلَمُ أنّي سمعتُ في عُمري بَشَراً واحداً في بَلْدَتِنا يُقرُّ على نَفْسِه بذلك المذهب، أو يُصرِّحُ بشيء مِن الكلام، وهو يَعْرِفُهُ أو يُظْهِرُ شيئاً مِن كُتُبِهِم، إلّا مِن أَحَدِ وُجوهٍ أربعة:

أحدها: أَنْ يكونَ رَجُلٌ عُلِمَ منه أنّه قَرَأَ الكلامَ، فهو يَحْلِفُ أنّه إنّما قَرَأَه لِيَصُولَ به على خَصْمٍ، لا لِيَدِينَ به دِيناً.

والثّاني: رَجُلٌ أَخَذَ على أُستاذٍ مُتَّهم به، فهو يَحْلِفُ بالله أنّه إنّما أَخَذَ عنه الفِقْهَ لا الكلامَ.

=والباطل، فكان المصيرُ إلى ألفاظ الشّرع واجب.

ولِذا؛ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «الفتاوى» (١٢/ ١٧٠):

«وهكذا أنكرَ الأئمةُ مَن قال: (لَفظِي بالقرآن مَخلوقٌ، أو غير مخلوق)، وقالوا: مَن قال: (هو مخلوقٌ)؛ فهو: جَهميٌّ، ومن قال: (غير مخلوق)؛ فهو: مُبتدع، وكذلك قالوا في (التلاوة والقراءة)؛ لأن اللفظ والتلاوة والقراءة يُراد بها المصدر الذي هو فعل العبد، وأفعال العباد مخلوقةٌ، فمَن جعلَ شيئاً مِن أفعالهم وأصواتهم، وغير ذلك مِن صفاتهم غيرَ مخلوق؛ فهو مبتدع، ويُراد بـ(اللَّفظ) نفس الملفوظ، كما يُراد بالتلاوة والقراءة نفس الكلام، وهو القرآن نفسه، ومن قال: (كلام الله الذي أنزله على نبيِّه ﷺ وقرأهُ المسلمون مخلوق)؛ فهو: جَهْمِيٌّ».

والثّالث: قومٌ لحِقَهُم داءٌ مِن الصُّحبةِ حتّى لحَظَتْهُم الأعيُنُ بالهوان بصُحبةِ أهل التُّهمة والرُّكون إليهم، فهُم إذا خَلَوْا يتناجَوْن، وإذا بَرَزُوا يَتهاجَوْن.

والرّابع: رَجُلٌ ظَهَرَ عليه شيءٌ مِن كُتُبِ الكلام بخَطِّهِ، أو قِراءتِه، أو أَخَذَهُ حيًّا أو مَيتاً.

فكلُّهم يَحمِلُ مِن أَعباءِ الذُّلِّ والهجرانِ والطّردِ ما لا يَحْمِلُهُ عَيَّار ولا يُعالجه ماجِن ولا مُخنَّث، ولا مريضُهم يُعاد، ولا جنائزُهم تُشيَّع، على أنَّك لا تعدم منهم قِلّةَ الورعِ، وقسوةَ القلب، وقلّةَ الوِرْد، وسوءَ الصّلاة، والاسْتِخفافَ بالسُّنّة، والتّهاوُنَ بالحديث، والوضعَ مِن أَهلِه، وتَرْكَ الجماعات، والشَّماتةَ بفواجِعِ أهلِ السُّنّة والهزوء بهم.

[٤٩٤] قال عمرُ بنُ عبدِ العزيز -رَحِمَهُ اللَّهُ-: إذا رَأَيْتَ قوماً يَتناجَوْنَ في أَمْرِ دِينِهم بشيءٍ؛ فاعْلَمْ أنّه تأسيس ضلالة(١).



---

(١) قلتُ:

فكيف بالتّنظيم السِّرّيّ، والإمارة، والبيعة لبعض قيادات الجماعات الإسلاميّة، فيسمُّونَه بـ(فقه الحركة) مُشابِهين في ذلك (الماسونيَّة) في هياكلِها، وتنظيمِها، وغموضِها، وتهافتها، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليِّ العظيم.

الباب السادس عشر

أيُلعن أهل البدع؟!

بابُ لَعْن المُحْدِثِينَ، والمُتكلّمينَ، والمُخَالِفينَ[١]

[٤٩٥] عن سَلَمَة بنِ الأَكْوَعِ، قال: بَيْنَا رَجُلٌ مِن أَسْلَمَ يَأْكُلُ عند النّبيِّ ﷺ، فجَعَلَ يَأْكُلُ بشمالِه، فقال ﷺ: «**كُلْ بيمينِك**». قال: لا أستطيعُ. قال: «**لا اسْتَطَعْتَ**»!! قال: فما وَصَلَت يمينُه إلى فيه[٢].

---

(١) قال -مُحَقِّقُ الكتاب- أبو جابر الأنصاريّ:

«عَقَدَ المصنِّفُ هذا البابَ إعلاماً منه جواز لَعْن المُحْدِثِين والمتكلِّمين والمخالِفين، وأَوْرَدَ فيه مِن الأدلّة ما يَدُلّ على ما بوَّبَ له، وأشار بها أوردَهُ مِن الأدلّة على جواز اللَّعْن بشقَّيْه المُطلَق والمعيَّن فيمن استحقّ ذلك، وقد اقتصرَ المؤلِّف على ذِكْر بعض الأدلّة مِن السُّنّة النّبويّة، وما يستأنس به مِن أقوال السّلف -رحمهم الله-.

وفي البابِ ما يدلُّ على ما بوَّبَ له المؤلِّف غير ذلك كثير مِن الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة والآثار السّلفيّة، والمسألة قد وَقَعَ الخلافُ فيها قديماً بَيْن السَّلَف؛ فمِن مُجيزٍ ومِن مُحرِّم، لا سِيَّما فيما يَخُصُّ لَعْن المُعَيَّن».

والمسألةُ قد استوفاها -بحثاً وتحقيقاً- الشّيخُ الفاضل إبراهيم بن عُمَر الرّحيليّ في كتابه الطّيِّب النّافع «موقف أهل السُّنّة والجماعة من أهل الأهواء والبدع» (٢/ ٢٣٧-٢٧٨)؛ فانظُرْهُ فإنّه مفيدٌ جدًّا.

(٢) أخرجَهُ مسلمٌ في «صحيحه» (٥٢٣٦).

قُلتُ: وتتمَّةُ الحديث: «ما مَنَعَهُ إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه».

[٤٩٦] قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أَحْدَثَ حَدَثاً أو آوَى مُحْدِثاً؛ فعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله والملائكةِ والنّاسِ أجمعين، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفاً ولا عَدْلاً»[1].

[٤٩٧] عن أمِّ سَلَمَة -رضي الله عنها-: أنَّها كانتْ تُحدِّثُ أنَّها سَمِعَت رسولَ الله ﷺ يقولُ على المِنبَرِ وهي تَمْتَشِط: «أيُّها النّاس!». فقالَت لماشطتِها: لُفِّي رأسي. قالت: فَديتُك! إنَّما يقول: أيُّها النّاس! قالت: ويحَك! أَوَلَسْنَا مِن النّاس؟! فلفَّت رأسَها، وقامَت في حُجْرَتِها، فَسَمِعتْهُ يقول: «أيُّها النّاسُ! بينما أنا على حوضي إذا مُرَّ بكُم زُمَراً، فافترَقَت بكُم الطُّرُق، فناديتُكم: ألَا هَلُمَّ إلى الطَّريق، فينادِي منادٍ: إنَّهم بدَّلُوا بعدَك. فأقول: ألَا سُحْقاً، ألَا سُحْقاً»[2].

[٤٩٨] عن أبي حازم، قال: سَمِعْتُ سَهْلاً -رضي الله عنه- يقول: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أنا فَرَطُكُم على الحوض، فمَن وَرَدَ شَرِبَ، ومَن شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أبداً، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرِفُهم ويَعرِفُونَني؛ فيحال بيني وبينهم»[3].

---

(١) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (١٨٦٧)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٣٣١٠).
قال النَّوويُّ في «شرح مسلم» (٩/ ١٤٤):
«قال المازريّ: اختلفُوا في تفسيرهما، فقيل: الصَّرْفُ: الفريضةُ، والعَدْلُ: النّافلةُ. وقال الحسن البصريّ: الصَّرْفُ: النّافلةُ، والعَدْلُ: الفريضةُ. عكس قول الجمهور» -انظُرْهُ؛ فإنّه مُهِمٌّ-.

(٢) أخرجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (٥٩٣٠).

(٣) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٧٠٥٠-٧٠٥١)، ومُسلمٌ في «صحيحه» (٥٩٢٦). =

[٤٩٩] عن أبي هُريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**وإنّي لَأَصُدُّ النّاسَ عنه كما يَصُدُّ الرّجلُ إِبِلَ النّاسِ عن حوضِهِ**»(١).

[٥٠٠] قال عمارة بن رُؤَيْبَة الثّقفيّ -رضي الله عنه- وكانت له صحبة-: لَعَنَ اللهُ اليُدَيَّتَين -لِيَدَيْ بِشْر بن مروان-.

وقال مالكُ بنُ أنس: لَعَنَ اللهُ عَمْراً -يعني: ابن عُبيد-(٢).

= قال النوويُّ (١٥/ ٥٣): «(أنا فَرَطُكُم على الحوض)؛ قال أهل اللغة: (الفَرَط) بفتح الفاء والراء، و(الفارط): هو الذي يتقدَّم الوارد ليصلح لهم... فمعنى: (فَرَطُكُم على الحوض): سابقُكم إليه، كالمهيِّئ له».

(١) أخرجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (٥٨٠).

قلت: وجهُ الاستدلال مِن هذا الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ لَـمَّا طَرَدَ أهلَ البدع عن حوضِه؛ دلَّ ذلك على جوازِ لَعْنِهم؛ لأنَّ اللعن هو الطرد والإبعاد مِن رحمةِ الله، وقد تكون الرحمة في الشرب مِن الحوض فهذه يُحرَمُها أهل البدع، وقد تكونُ الرحمة في الجنة فهذه لا يُطردون منها -ما دامت البدعة غير مُكفِّرة-.

وعليه؛ فليس كلّ مَن وُصِفَ باللَّعْنِ على مَرتبةٍ واحدة، فمنهم مَن لُعِنَ لِكُفْرِه، أو لفسقه، أو لبدعته، ومنهم من يُبعَد عن الرحمة في وقتٍ مِن الأوقات، وهكذا، فليسوا سواءً، والله -تعالى- أعلم.

(٢) قلتُ:

عمرُو بنُ عُبيد بن باب، البصريّ المعتزليّ القدَريّ، كان يَشتم الصَّحابة! ويَكذِبُ في الحديث وَهْمًا لا تعمُّداً.

انظُر: «ميزان الاعتدال» للدارقطني (٦٤٠٤-دار التوحيد)، و«أخبار عمرو بن عبيد».

وقال الشّافعيُّ: أخزاهُم اللهُ -لِحَفْص الفَرْد وأصحابِه-(١).

[٥٠١] قال عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبل: عُدَّ على عثمانَ بنِ أبي شَيْبَةَ قُضاةُ الكوفة، فقال: وغسَّان لَعَنَهُ اللهُ.

قال: وكان جَهْمِيًّا.



(١) قلتُ:

وهو حَفْص الفرد، مبتدِعٌ ضالٌّ، كان يقول بخَلْقِ القرآن، وقد كَفَّرَهُ الشافعيُّ في مناظرتِه. انظر «ميزان الاعتدال» (٢١٤٣).

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «درء تعارُض العقل والنقل» (٧/ ٢٧٥):

«إنَّ كلامَ الإمام الشافعيِّ -رضي الله عنه- ونحوه مِن الأئمةِ تَضمَّن ذمَّ كلام حفص الفرد وأمثاله في مسألةِ القرآن، والكلام في ذلك مَبنيٌّ على نَفْيِ قيام الأفعال به .... وقد بيَّنَّا أنَّ ذمَّ الشافعيِّ لكلام حفص وأمثاله لم يَكُن لأجل إنكار القَدَر، فإنَّ حفصاً لا يُنكِرُه، وإنَّما كان لإنكار الصفات والأفعال المبنيِّ على دليل الأعراض».

الباب السابع عشر

التحذير من الأخذ عن أهل البدع

باب كراهية أخذ العلم عن المتكلّمين وأهل البدع

[٥٠٢] عن إبراهيمَ، قال: إنّ هذا العلمَ دِينٌ؛ فانظُروا عمّن تأخذونه.

زاد في روايةٍ: كنّا إذا أتينا الرَّجُلَ لِنأخُذَ عنه؛ نَظرنا إلى سَمْتِه وإلى صلاتِه، ثمّ أخذنا عنه.

[٥٠٣] قال أبو عبد الرّحمن المُقرئ: سمعتُ ابنَ لهيعة يَذكُر أنّه سَمِعَ رَجُلاً مِن أهلِ البدع رَجَعَ عن بِدْعَتِه، فجعل يقول: انظُروا هذا الحديث عمَّن تأخُذونَه، فإنَّا كُنَّا إذا رأينا رأياً جعلناهُ حديثاً!

[٥٠٤] قال بهز: دِينُ الله أحقُّ ما طُلِبَ له العُدول.

[٥٠٥] قال خالدُ بنُ خدّاش: ودَّعْتُ مَالِكَ بنَ أنسٍ، فقلتُ: أَوْصِني يا أبا عبد الله! قال: تقوَى الله، وطلب العلم مِن عند أهله.

[٥٠٦] قال وكيع وذُكِرَ وَهْب بنُ إسماعيل، فقال: هو رجلٌ صالح، وللحديث رجال.

[٥٠٧] قال يحيى بنُ معين: آلةُ الحديث: الصِّدْقُ، والشُّهرةُ في طَلَبِه، وتَرْكُ البِدَع، واجتنابُ الكبائِر.

[٥٠٨] قال الشّافعيُّ: لا يَكْمُلُ الرّجلُ في الدُّنيا إلّا بأربعةٍ: بالدّيانةِ، والأمانةِ، والصّيانةِ، والرّزانةِ.

[٥٠٩] قال محمّدُ بنُ حبّان: رأيتُ أبا يعقوب المُقرِي يُصلِّي ولا يَرْفَعُ يديه في الرّكوع والرّفع منه، فَحرَّمْتُ على نفسي الرِّوايةَ عنه.

[٥١٠] عن أبي أُميَّةَ اللخميّ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ مِن أشراطِ السّاعة: أَنْ يُلْتَمَسَ العِلمُ عند الأصاغر**»[1].

قال ابنُ المبارك: (**الأصاغر**): أهلُ البدع.

[٥١١] عن ابنِ مسعود -رضي الله عنه- قال: لا يزالُ النّاسُ بخيرٍ ما أتاهم العِلمُ مِن قِبَلِ أصحابِ محمّدٍ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ورضيَ عنهم- وأكابرِهم، فإذا أتاهُم مِن قِبَلِ أصاغرِهم؛ فذاكَ حين هَلَكُوا[2].

---

(١) إسنادُه جيِّد. انظُر «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة» (٦٩٥) لشيخنا الألبانيّ -رَحِمَهُ اللهُ-.

(٢) صحيح.

قال ابنُ قتيبة في شرح هذا الأثر: «يريد: لا يزال الناس بخيرٍ ما كان علماؤُهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأَحْداث؛ لأنّ الشيخ قد زالت عنه مُتْعَةُ الشباب، وحِدَّتُه، وعجلتُه، وسَفَهُه، واسْتَصْحَبَ التَّجرِبة والخبرة، فلا يَدخُل عليه في عِلْمِهِ الشُّبْهَة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يَميلُ به الطمعُ، ولا يَستزِلُّه الشيطان استزلال الحَدَث، ومع السّن الوقار والجلال والهَيْبَة، والحَدَث قد تَدخُل عليه هذه الأمور التي أُمِنَتْ على الشيخ، فإذا دَخَلَت عليه وأفتَى؛ هلك وأهلك». =

وقد قدَّمْتُ في الأبواب المتقدِّمة أشياءَ تَدخُلُ هذا البابَ كثيرة كَرِهْتُ الإطالةَ بتكريرِها ها هنا:

منها: قول أحمد في كتاب «مناقبِه»: لا يُروى عمَّن كان داعياً إلى بِدعةٍ، وهو مذهب عبد الرّحمن بن مهدي.

ومنها: أنَّ أحمدَ كتب إلى أبي سليمان الجُوزَجانيّ: إِنْ أمسكتَ عن كُتُب الرَّأي سَمِعْنا منكَ كُتبَ الحديث.

ومنها: أنَّ أحمدَ أرسلَ إلى يحيى بنِ صالح الوحَاظيّ الحِمصيّ: إنْ تركتَ الرّأيَ؛ أتيناك فسمِعنا منك.

ومنها: أنَّ الشّافعيّ قال: لا يحلُّ لأحدٍ مِن أهل الرَّأي أَنْ يُفْتيَ، فإِنْ حلَّ فلمُحمّدِ بنِ الحسن.

[٥١٢] قال يحيى بنُ عمّار: لو كَتَبَ يحيى بنُ عمّار عن أحدٍ مِن أهلِ الرَّأي حديثاً فقَطَعَ اللهُ أصابعَه.

[٥١٣] قال حربُ بنُ إسماعيل: قال لي أحمدُ بنُ حنبل -رَحِمَهُ اللهُ-: لا تَسألْ أصحابَ الرّأي عن شيءٍ البتَّة.

[٥١٤] قال الشَّعبِيُّ، وسعيد بن جبير، وعطاء: إيّاكم وأصحابَ:(أرأيت).

[٥١٥] قال الشَّعبيُّ: ما حدَّثك هؤلاء عن أصحاب محمّد -صلّى اللهُ عليه

= انظُر -لِمَا تقدّم-: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/ ٣٠٩-٣١٠) لشيخِنا الإمام الألباني - رَحِمَهُ اللهُ-، و«سلسلة الآثار الصحيحة» (١/ ٢٧) لآل زهوي.

وسلَّم، ورضيَ عنهم- فَشُدَّ يداً به، وما حدّثوك عن رأيِهم، فأَلْقِه في الحشّ[1].

[٥١٦] قال محمّدُ بنُ النّضر: مَن أصغَى بسَمْعِه إلى مُبتدِع؛ خَرَجَ مِن عصمة الله -عز وجل-[2].

---

(١) صحيح.

والحشُّ؛ هو: النَّخل المُجتمع أو البُستان، ويُكنَّى به عن مواضع الغائط؛ لأنَّهُم كانُوا يَقضُون حوائجهم في البساتين.

وانظُر «الإعلام» (٦/ ٢٩) -لابنِ القيِّم- بتحقيقِ شيخِنا مشهور حسن.

(٢) قلتُ:

ذلكُم لِـمَا للسّماع لأهل البدع والأهواء مِن محاذير منها:

الأول: التّدليس على العامّة، والتّعميةُ عليهم، وظنّهم أنَّ المبتدع الّذي يُؤخَذُ عنه العِلْم أنّه مِن أهل العِلْم، وليس كذلك.

الثّاني: الوقوع في نَتَن بدعتِه ولو بعد حين، فمَن ذا الّذي يَأْمَنُ على قلبِهِ مِن غوائل البدع! فالقلوب ضعيفةٌ والشُّبه خطّافَة، وليس الدِّين لِـمَن غلب.

الثَّالث: التَّغْرِير بالمبتدِع، فيزداد ظنُّه بنَفْسِه أنَّه على الحقِّ المُبينِ! وهو غَارِقٌ في أَوْحَال الضَّلال المشِين.

الرّابع: تكثير سواد أهل البدع! -لا كثَّرهم الله-.

الخامس: السَّعي في تمكينِهم، ونَشْرِ مذهبِهم!

وهذا مُخالِفٌ لِـمَا كان عليه السَّلَفُ الصّالح مِن التّحذير والهجر و.... و.... و.... للمبتدِعة، فكيف يُمكِّنُ لهم، فواحدةٌ ممّا تقدَّم كفيلة بالمنع للأخذ عنهم، فكيف بها مجتمعة!! وأخصُّ بالذِّكر في هذه الأعصار تحت ظلّ التّقدّم العلميّ المذهل، فها هي العلوم والفنون بجميعِ أشكالها وألوانها مِن تفسير وأصوله، وحديث وأصوله، وفقه وأصوله،=

....

=ولغة وأصولها و..... و..... إلّا وهي موجودة على أقراص الحاسوب، أو الأشرطة، أو الإنترنت لأهل الحديث الطّائفة المنصورة فلا حُجَّة لك -أيّها القارئ الكريم- بأَنْ تأخذَ على مُبتدِع، وإِنْ كان عُود أراك، فاتَّبع أمرَ ربِّك، واحْذَرْ أنْ تكونَ حيث نهاك.

ما تقدَّم هو الأصل الأصيل الّذي ينبغي أن يُعوَّلَ عليه، ويُرْجَعَ إليه؛ ولكن سلطان البدع وتيسير هذه الأمور -من الوسائل العصريّة- يتفاوت قلّةً وكثرة، مدًّا وجزراً، مِن بلدٍ لآخَر، ومِن وقتٍ لوقت -فعليه فإنَّ الأخذَ على أهل البدع قد يكونُ بقدره وبحَدِّه- إذا خُشِيَ اندراس الدّين مِن باب استجلاب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها.

ولِذا؛ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «الفتاوى» (٢٨/ ٢١٢):

«لَـمّا كَثُرَ القَدَرُ في أهل البصرة، فلو ترك رواية الحديث عنهم لانْدَرَس العِلْم والسُّنَن والآثار المحفوظة فيهم، فإذا تَعذَّرَ إقامة الواجبات مِن العلم والجهاد وغير ذلك: لا بمن فيه بدعة مضرّتها دون مضرّة ترك ذلك الواجب: كان تحصيلُ مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً مِن العكس».

الباب الثامن عشر

الدال على الخير كفاعله

باب تعظيم إثم من سنَّ سُنَّة سيِّئة، أو دعا إليها

[٥١٧] عن أبي هريرةَ -رضي الله عنه-، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«مَن دعَا إلى هُدى: كان لهُ مِن الأجرِ مِثلُ أُجورِ مَن تَبِعَهُ، ولا ينقص ذلك مِن أجورِهم شيئاً، ومَن دعَا إلى ضلالةٍ: فعليه من الإثم مِثلُ آثام مَن تَبِعَهُ، ولا ينقص مِن آثامِهم شيئاً»**[1].

---

(١) أخرجَهُ مسلمٌ في «صحيحه» (٦٧٤٥).

قلتُ: هذا الحديثُ شارحٌ للحديث الآخَر، ومُبيِّنٌ له، وهو قوله ﷺ: «مَنْ سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً... ومَن سنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئةً.... ». أخرجَهُ مُسلمٌ (٦٧٤١).

فليس فيه شُبْهَةُ دليل، أو تعلُّقٌ وتعليل، على تحسين البدع إلا بطريق التَّضليل.

ولِذا؛ قال الإمامُ الشّاطبيُّ الجليل في «الاعتصام» بتصرُّف (١/ ٣٠٣) -تحقيق شيخنا العلاّمة مشهور حسن آل سلمان-النبيل-:

«ليسَ المرادُ به الاختراع ألبتَّة، ... وإنّما المرادُ به العملُ بما ثبتَ مِن السُّنَّة النّبويَّة، وذلك مِن وجهَيْن:

أحدهما: أنَّ السَّببَ الّذي لأجله جاء الحديثُ هو الصَّدَقة المشروعة؛ بدليل ما في «الصَّحيح» من حديثِ جابرِ بنِ عبدِ الله -رضي الله عنهما- قال: كُنّا عند رسول الله ﷺ في صَدْرِ النّهار، فجاءه قَومٌ حُفاةٌ عُراةٌ مُجتَابُو النِّمار -أو القباءِ- مُتَقَلِّدُو السُّيُوف، عامَّتُهم مِن= =مُضَرَ -بل كُلُّهُم من مُضَرَ-، فتَمعَّرَ وَجْهُ رسول الله ﷺ لِـمَا رأى بهم من الفَاقَةِ، فدخل، ثمَّ خَرَج، فأمَرَ بلالاً فأذّن وأقام، فصلَّى، ثمّ خطب، فقال:

[٥١٨] عن عبدِ الله بنِ مسعود -رضي الله عنه-، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِن نَفْسٍ تُقتَلُ ظُلماً إلّا كان على ابنِ آدم الأوّل كِفْلٌ مِن دَمِها بأنّه أوّل مَن سنَّ القتلَ»[١].

[٥١٩] عن ابنِ عباس -رضي الله عنهما- في قوله -تعالى-: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ

«﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]، والآية التي في سورة الحشر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر:١٨] تصدَّق رجلٌ؛ مِن ديناره، مِن دِرهمه، مِن ثَوبه...»، فجاء رجلٌ مِن الأنصار بِصُرَّةٍ كادتْ كَفُّهُ تَعجزُ عنها، بل قد عَجَزتْ، قال: ثمّ تتابع النّاسُ حتّى رأيتُ كومين من طعام وثياب، حتّى رأيتُ وجه رسولِ الله ﷺ يَتَهَلَّلُ وكأنّه مُذْهَبَةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «مَن سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً؛ فلهُ أَجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بها، ومَن سنَّ سُنَّةً سيِّئةً؛ كان عليه وزرُها ووزرُ مَن عَمِلَ بها مِن بَعدِه...».

فتأمّلوا أين قال رسول الله ﷺ: «مَن سنَّ سُنَّةً حسنةً»، و«مَن سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً».... فَدَلَّ على أنّ السُّنَّة -ها هنا- مثل ما فعل ذلك الصّحابيُّ، وهو العمل بها ثبت كونه سُنَّةً.

والوجه الثّاني: لا يُمكِنُ حَملُه على الاختراع مِن أصل؛ لأنّ كونها حَسَنةً أو سيِّئةً لا يُعرَفُ إلّا مِن جهة الشّرع... فلزم أنْ تكون السُّنَّة في الحديث إمّا حَسنة بالشّرع، وإمّا قبيحة بالشّرع، فلا تَصَدُقَ إلّا على مثل الصَّدقةِ المذكورةِ وما أشبهها مِن السُّنَن المشروعة، وتَبقى السُّنَّةُ السَّيِّئةُ منزَّلة على المعاصي الّتي ثبتَ بالشّرع كونها معاصي، كالقتل المنبَّه عليه في حديث ابن آدم، حيثُ قال: «لأنّه أوّلُ مَن سَنَّ القتل»، وعلى البدع؛ لأنّه قد ثبت ذمُّها والنّهيُ عنها بالشّرع».

(١) أخرجَهُ البخاريُّ في «صحيحه» (٣٣٣٥)، ومسلمٌ في «صحيحه» (٤٣٥٥).

﴿مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار:٥] قال: ما قدَّمَت مِن العَمَل، وأخَّرَت مِن سُنَّة يعمل بها.

[٥٢٠] عن زرزر بن صالحٍ السَّدوسيّ، قال: قلتُ لجَهْم بنِ صفوان: هل نَطَقَ الرَّبُّ؟ قال: لا. قلتُ: فيَنْطِقُ؟ قال: لا. فقلتُ: فمَن يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ ومَن يَرُدُّ عليه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦]؟ فقال: لا أدرِي، زادُوا في هذا القرآن ونقصوا!!



الباب التاسع عشر

باب في ذِكْر كلام الأشعري(١)

ولـمّا نَظَرَ المُبَرِّزون مِن علماء الأمّة وأهلِ الفَهْم مِن أهل السُّنّة طوايَا كلام الجهميَّة، وما أَوْدَعَتْهُ مِن رُموز الفلاسفة ولمْ يُوقَفْ منهم إلّا على التَّعطيل البَحْت(٢).

وأنَّ قُطْبَ مَذهبِهم ومُنتَهى عقدتهم ما صرَّحَتْ به رُؤوسُ الزَّنادقة قَبْلَهُم أنَّ الفُلكَ دوّار والسّماء خالية.

وأنّ قولَهم: إنّه -تعالى- في كُلِّ موضِعٍ وفي كلِّ شيءٍ! ما استثنوا جَوْفَ كَلْبٍ، ولا جَوْفَ خِنزيرٍ، ولا حُشًّا، فِراراً مِن الإثبات، وذهاباً عن التَّحقيق.

---

(١) قلتُ: وقد نَقَلَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ هذا الباب برُمَّتِهِ في «بيان تلبيس الجهميَّة» (٢/ ١٩٤).

(٢) قال شيخُ الإسلام في «الفتاوى» (٦/ ٣٥٩):

«إنّ المعتزلة مخانيث الفلاسفة، والأشعريّة مخانيث المعتزلة.

وكان يحيى بن عمّار يقول: المعتزلة الجهميّة الذكور، والأشعرية الجهميّة الإناث، ومُرادُهم: الأشعرية الذين يَنفُون الصفات الخبرية، وأمّا مَن قال منهم بكتاب «الإبانة» الذي صنَّفَهُ الأشعري في آخرِ عمره، ولمْ يُظهِرْ مقالةً تُناقِض ذلك؛ فهذا يُعَدّ مِن أهل السُّنَّة، لكنْ مُجرَّد الانتساب إلى الأشعري بِدْعَة».

وأنَّ قولَهم: (سميعٌ بلا سَمْع، بَصيرٌ بلا بَصَر، عليمٌ بلا عِلْم، قادرٌ بلا قُدرة، إلهٌ بلا نَفْس ولا شَخْص ولا صُورة).

ثمّ قالوا: (لا حياةَ له).

ثمّ قالوا: (لا شيءَ؛ فإنّهُ لو كان شيئاً لأَشْبَهَ الأشياء)[١].

حاوَلُوا حول مقال رؤوس الزَّنادقة القدماء إذ قالوا: (الباري لا صفةَ ولا لا صفة)[٢].

---

(١) لِذا؛ قالوا -هروباً ممّا أُلزِمُوا به مِن كُفْر!- أنّ الله في كلِّ مكان لا كالشيء في الشيء، ولا كالشيء على الشيء، ولا كالشيء خارجاً عن الشيء ولا مُبايناً للشيء!!

قال الإمامُ المبجَّل أحمدُ بنُ حنبل -رَحِمَهُ اللهُ- في «الرد على الجهميّة والزنادقة» (٧١): «وقلنا هو شيء، فقالوا: هو شيء لا كالأشياء، فقلنا: إن الشيء الذي كالأشياء قد عَرَفَ أهلُ العقل أنه لا شيء؛ فعند ذلك تبيَّن للناس أنهم لا يُثبِتُون شيئاً، ولكنَّهُم يَدفعون عن أَنفُسِهم الشُّنْعَة بما يقرون مِن العلانية».

انظُر: «الفتاوى» لشيخ الإسلام (٥/ ٣١٦).

(٢) وهي مقالة القرامِطة الذين يَنْفُون عنه -سبحانه وتعالى- النقيضَيْن، فلا يقولون: موجود، ولا لا موجود، ولا حي، ولا لا حي! قالوا: لأنّ وصفَه بالإثبات تَشبيهٌ له بالموجودات، ووَصْفَهُ بالنفيِ فيه تشبيهٌ له بالمعدومات، فآلَ بهم إغراقُهم في نفي التشبيه إلى أنْ وَصَفُوه بغاية التعطيل، ثم إنّهم لمْ يخلصوا ممّا فرُّوا منه بل يَلْزَمُهم على قياس قولهم أنْ يكونوا قد شَبَّهُوه بالمُمتنِع الذي هو أخس مِن الموجود والمعدوم المُمكِن».

انظُر «الفتاوى» (٥/ ٣٢٧).

خافُوا على قُلوبِ ضَعْفَى المسلمين، وأهلِ الغَفْلَة، وقلّةِ الفَهْمِ منهم، إذْ كان ظاهرُ تَعلُّقِهم بالقرآن وإنْ كان اعتِصاماً به مِن السّيف واجتناباً به منهم.

وإذْ هُم يَرَوْنَ التَّوحيد؛ أي: يُخالطونَ المسلمينَ ويفاوِضُونَهم، ويَحمِلون الطّيالِسة، فأَفصَحُوا بمعايِبِهم، وصاحُوا بسُوءِ ضمائرِهم، ونَادَوْا على خَبايَا نُكتِهم.

فيا طول ما قلقوا في أيامِهم مِن سيوف الخُلفاء، وألسُن العلماء، وهجران الدَّهماء!! فقد شحنت كتاب «تكفير الجهميّة» مِن مقالات علماء الإسلام فيهِم، ودأب الخلفاء فيهم، ودقّ عامّة أهل السُّنّة عليهم، وإجماع المسلمين على إخراجهم مِن الملّة.

ثَقُلَت عليهم الوَحشة، وطالَت عليهم الذِّلَّة، وأَعْيَتْهُم الحِيلة إلّا أنْ يُظهِروا الخلافَ لِأَوَّلِيهم والرّدّ عليهم، ويصبغوا كلامَهم صبغاً يكون ألوحَ للأفهام، وأنجعَ في العوامّ مِن أساس أوّليهم؛ ليجدُوا بذلك المساغ ويتخلّصوا مِن خِزْيِ الشّناعة.

فجاءَت بمخاريقَ تراءى للغبيّ بغير ما في الحشايا، يَنْظُرُ النّاظرُ الفَهِمُ في جَذْرِها، فيرَى مخّ الفلسفةِ بكساء لحاءِ السُّنّة، وعقد الجهميَّة بنحل ألقاب الحكمة.

يَرُدُّون على اليهود قولَهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤] فيُنكِرونَ الغُلّ وينكرون اليد، فيكُونون أَسْوَأَ حالاً مِن اليهود؛ لأنَّ اللهَ -تعالى- أثبتَ الصِّفةَ، ونفَى العيبَ، واليهود أثبتَت له الصّفةَ وأثبتَت العيبَ.

وهؤلاء نَفَوا الصِّفةَ كما نَفَوا العيبَ.

ويَرُدُّون على النّصارى في مقالهم في عيسى وأُمِّه فيقولون: لا يكونُ في المخلوقِ غير المخلوق فيُبطلون القرآن[١].

فلا يخفَى على ذوِي الألباب أنّ كلامَ أوَّلِيهم وكلام آخِرِيهم كخيط السُّحَارة[٢].

فاسْمَعُوا الآن يا ذوِي الألباب، وانظُروا ما فَضْلُ هؤلاء على أولئك، أولئك قالوا -قبَّح اللهُ مقالتَهم-: إنَّ اللهَ موجودٌ بكلِّ مكان، وهؤلاء يقولون: ليس هو في مكانٍ، ولا يوصف بـ(أين؟)!

وقد قال المُبلِّغ عن الله -عزّ وجلّ- لجارية معاوية بنِ الحكم -رضي الله عنه-: «أين الله»؟[٣].

---

(١) أيْ: قولكم أشنع وأبشع مِن قول النصارى، وذلك بأنهم قالوا-والعياذ بالله-: إنّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- حلّ في عيسى، وعيسى بَدَن إنسان واحد فكفروا بذلك، وقيلَ لهم: ما عظَّمتُم الله؛ إذْ جَعلتُموه في بطن مريم، وأنتم تقولون: إنّه في كل مكان وفي بطون النساء كلهنّ! وبدن عيسى وأبدان الناس كلهم!!

قال -نحوَه- شيخُ الإسلام في «الفتاوى» (٥/ ٣١٦).

(٢) وهي شيءٌ يَلعبُ به الصبيانُ إذا مُدَّ؛ خَرَجَ على لَوْن، وإذا مُدَّ مِن جانبٍ آخَر؛ خَرَجَ على لونٍ آخَر مُخالِفٌ للأول.

انظُر «تهذيب اللغة» للأزهري (٤/ ١٧١ - دار إحياء التراث العربي).

(٣) أخرجَهُ مسلمٌ في «صحيحه» (٨٣٦).

وقالوا: هو من فوق كما هو من تحت، لا يُدرَى أينَ هو! ولا يُوصَفُ بمكان! وليس هو في السماء، وليس هو في الأرض!![1]

وأنكرُوا الجِهَةَ والحدَّ[2].

وقال أولئك: ليس له كلامٌ، وإنّما خَلَقَ كَلَاماً.

وهؤلاء يقولون: تكلَّمَ مرَّةً فهو مُتكلِّمٌ به منذ تكلَّم، لمْ يَنقطِع الكلام[3] ولا

---

(١) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٣٢٢):

«وكما يَتخيَّلُون ويَتوهَّمُون، أنّه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا كذا، ولا كذا، ممَّا هو عند أهل العقول السليمة خيالات باطلة وأوهام فاسدة، لا تنطبق: لا على المعدوم، بل على الممتنع، ولهذا يُوجَدُ في هؤلاء مَن يَعبُد المخلوقات، ومَن يعتقِد في كثيرٍ مِن المخلوقات أنّهُ الله أضعاف أضعاف ما يوجد في أهل الإثبات».

(٢) لفظ (الجهة) و(الحدّ) ونحو ذلك مِن الألفاظ المُجمَلة التي ليس لها أصلٌ في كتاب الله، ولا سُنّة رسول الله، ولا قالها أحدٌ مِن سلف الأمة وأئمتها في حقِّ الله، لا نَفياً ولا إثباتاً، وحينئذٍ فإطلاق القول بنَفيها أو إثباتها ليس مِن مَذهب أهل السُّنَّة والجماعة بلا ريب، ولا عليه دليل شرعي، بل الإطلاق مِن الطرفين ممّا ابتدعَهُ أهلُ الكلام الخائضون في ذلك».

انظُر «الفتاوى» لشيخ الإسلام (٥/ ٣٠٥) و(٦/ ٣٨).

(٣) وأوّل مَن قال بهذه المقالة المبتَدَعة في الإسلام الجعدُ بنُ درهم؛ فقد زَعَمَ أنَّ اللهَ لمْ يُكلِّم موسى تكليماً، ثم أخذَها عنه جَهْمُ بنُ صَفوان، ووافقَهُ عليها المُعتزِلةُ أصحابُ عَمرِو ابنِ عُبيد، وضَمُّوا إليها بدعاً أُخرَى في القَدَر وغيرها، ثُمَّ أَخذَها الأشعريَّةُ -الذين يَنفُون عن الله الحكمة-، فقالوا: إن الكلام معنى قائمٌ بذات المتكلم؛ أيْ: لمْ يتكلّم به حقيقةً، بل=

يُوجد كلامه في موضع ليس هو به.

ثمّ يقولون: ليس هو في مكان، ثمّ قالوا: ليس له صوتٌ ولا حُروف[١].

وقالوا: هذا تاج المِداد وورق، وهذا صوف وخشب، وهذا إنّما قُصِدَ به النّقش، وأُرِيدَ به النَّفس، وهذا صوت القاري، أمَا ترى أنّه منهُ حَسَن وغير حسن؟! وهذا لَفظُه، أَوَمَا تراهُ يجازَى به؟!

حتّى قال رأسٌ مِن رُؤوسِهم: أَوَيكون قرآن مِن لِبْد؟!

وقال آخَر: مِن خشب؟![٢]

=تكلَّم به مجازاً، وهذا قول جمهورهم، ولذا؛ مآل قولهم يَرجعُ إلى القول بخَلْقِ القرآن، بل صرَّح به بعضُهم!!

انظُر «الفتاوى» لشيخ الإسلام ابنِ تيميَّةَ (١٢/ ٥٠٢).

(١) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ في «الفتاوى» (١٢/ ٢٤٤):

«وأنَّ اللهَ -تعالى- يَتكلَّمُ بصوتٍ كما جاءت به الأحاديثُ الصِّحاح، وليس ذلك كأصواتِ العباد، لا صوت القارئ ولا غيره، وأنَّ اللهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يُشبِهُ عِلْمُه وقُدْرَتُه وحياتُه عِلْمَ المخلوق وقُدرَتَهُ وحياتَه، فكذلك لا يُشبِهُ كلامُه كلامَ المخلوق، ولا مَعانيه تُشبِهُ معانيه، ولا حُروفُه تُشبِهُ حُروفَه، ولا صَوتُ الربِّ يُشبِهُ صَوتَ العبد، فمَن شَبَّه اللهَ بخَلْقِه؛ فقد أَلْحَدَ في أسمائه وآياتِه، ومَن جَحَدَ ما وَصَفَ به نَفْسَه؛ فقد أَلْحَدَ في أسمائِه وآياته».

(٢) قُلتُ:

الكلامُ كلامُ الباري، والصوتُ صوتُ القاري، كما قال الملك المتعالي: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ =

فراوغوا؛ فقالوا: هذا حكاية عبَّر بها عن القرآن، واللهُ تَكلَّم مرّة، ولا يتكلَّم بعد ذلك.

ثمّ قالوا: غير مخلوق، ومَن قال مخلوق؛ كافر.

وهذا مِن فخوخهم، يصطادون به قلوبَ عوامّ أهل السُّنّة، وإنّما اعتقادُهم القرآن غير موجود لفظته الجهميَّة الذّكور بمرّة، والأشعريَّة الإناث بعشر مرّات.

وأولئك قالوا: لا صفةَ، وهؤلاء يقولون: وجه؛ كما يقال: وجه النّهار، ووجه الأمر، ووجه الحديث، وعين؛ كعين المتاع، وسَمْعٌ؛ كأُذُن الجدار، وبَصَرٌ؛ كما يُقال: جداراهما يتراءيان، ويد؛ كيد المنّة والعطيّة، والأصابع؛ كقولهم: خُرَاسان بين أصبعَي الأمير، والقدَمان؛ كقولهم: جعلت الخصومة تحت قدمَي، والقبضة؛ كما قيل: فلانٌ في قبضتي؛ أي: أنا أملِكُ أمْرَه[1].

=﴿ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

وكقولِ النبيِّ ﷺ: «زَيِّنُوا القرآنَ بأصواتِكم»؛ فالصفةُ لا تُفارِقُ الموصوفَ، وتحلّ بغيرِه، لا صفة الخالق، ولا صفة المخلوق، فإذا سَمِعَ الناسُ كلامَ المُعتزِلَةِ، ثُمّ نَقَلُوه عنهم؛ كان الكلامُ كلامَهم، والأصواتُ أصوات المُلقِين؛ لأنّ الكلامَ كلامُ مَن قالَه مُبتدِئاً لا كلام مَن قالَه مُبلِّغاً مُؤدِّياً، وإلّا فهو الضلالُ المبينُ، والعياذُ بالله ربّ العالمين.

انظُر «الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٥١٨).

(١) قُلتُ:

هذا مِن باب الإضافات، وهي في كُلِّ محلّ بحسَب ما يُضاف إليه، فإنْ أَضَفْتَ الوجهَ إلى النَّهار كان أوّله، والعين إلى المتاع كان ذاته... وهكذا في كُلّ الإضافات، فالصِّفة=

وقال: الكرسيُّ: العِلمُ[1].

=الواحدة تختلِفُ معانيها بحَسَبِ إضافاتها سواء كان الموصوف مُختلِفاً -في الخِلْقَة- كرأس المسألة، ورأس الجبل، ورأس الإنسان، أو كان مُتَّفقاً -في الخِلْقَة- مِن جنسٍ واحد، فرأس زيد ليس كرأس عمرو، فرأس المسألة يختصُّ بها، ورأس الجبل يختصُّ به، ورأس زيد يختصُّ به، وهكذا.

فكيف إذا أضفتَ الصِّفَةَ إلى مَن هو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، فكلُّ صفةٍ تتناسَبُ والموصوف، فصفات الخالِق تَليق بالخالِق العظيم، وصفات المخلوقِين تليقُ بالمخلوق الضَّعيف الفقير إلى الخالِق العظيم ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

ثُمَّ هذه الإضافات التي تُضاف إلى الخالق، إمّا أنْ تكونَ إضافة صفة للموصوف، أو إضافة تشريف واختصاص، وضابط ذلك ما قالَه شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «الجواب الصَّحيح» (٢/ ٦٧):

«والمُضافُ إلى الله إنْ كان صفة لَمْ تَقُم بمخلوق؛ كالعلم، والقدرة، والكلام، والحياة: كان صفة له، وإنْ كان عَيْناً قائمةً بنفسِها، أو صفةً لغيرِه؛ كالبيت، والنَّاقة، والعبد، والرُّوح: كان مخلوقاً مملوكاً مُضافاً إلى خالقِه ومالكِه، لكن الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفاتٍ يَتميَّزُ بها عن غيره حتى استحقَّ الإضافة».

فبِظُلْمٍ مِن المُبتدِعة، وجَهْلٍ مُركَّب منهم ظنُّوا أنّ ما قالوه حُجَّة على نَفْي الصّفات وتحريفها، بل ما هو إلّا حُجَّة عليهم في إثبات صفات الجلال والجمال، لذي العرش والكمال.

(١) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «الفتاوى» (٦/ ٥٨٤): «وقد نُقِلَ عن بعضِهم: أنَّ «كُرسيّه»: عِلْمُه، وهو قولٌ ضعيف؛ فإنّ عِلم الله وسِع كُلّ شيءٍ كما قال: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]، واللهُ يَعْلَمُ نَفْسَهُ ويَعْلَمُ ما كان وما لَمْ يَكُن، فلو قيل:

والعـرشُ: المُلْـكُ(١). والـضَّحِكُ: الرِّضـا(٢). والاسـتِواءُ: الاسـتيلاءُ(٣).

=وسِعَ عِلْمُه السَّماوات والأرض؛ لم يكن هذا المعنى مُناسِباً، لا سِيَّما وقد قال -تعالى-: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥]؛ أي: لا يُثقِلُه ولا يكرثه، وهذا يُناسِب القُدرة لا العِلم، والآثار المأثورة تقتضي ذلك».

(١) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في «بيان تلبيس الجهميـة» (٣/ ٢٧٨) في كلامِـه عـلى حَمَلَة العَرْش:

«ثم إنّ قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ [غافر:٧]، وقوله: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٧]؛ يُوجِبُ أنّ لله عَرشاً يُحمَل، يُوجِبُ أنّ ذلك العرشَ ليس هو المُلْك كما تقولُ طائفةٌ مِن الجَهْمِيَّة».

ثمّ ما هو قول مَن يزعم هذا الزَّعم الباطل في قوله -تعالى-: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾[هود:٧]؛ هل يزعم أنّ المُلك كان على الماء؟! مع أنّ الماء مِن مُلكِه!!

(٢) أَلْزَمَ المُحرِّف نَفْسَهُ وَصفاً مَذموماً للـضَّحِك، فنفـاه، وإلّا فالـضَّحِك في موضـعه المناسِب له صفة مدح وكمال، ولذا الذي يضحك أكمـل مـن الـذي لا يـضحك بـل تـركَ الضّحِك بالكُلِّيَّة والعبوس مِن الكبر والتجبُّر وسوء الخُلُـق وكثرتـه مـن الخفّـة والطَّـيش، والاعتدال هو الكمال الذي لا نقص فيه بوجهٍ مِن الوُجوه فكان في حـقِّ الله أَوْلَى، وإنْ كـان الضَّحِك فينا مُستلزِماً لشيءٍ مِن النَّقص فالله مُنزَّهٌ عن ذلك كُلِّه.

انظُـر: «الفتـاوى» (٦/ ١٢١) لـشيخِ الإسـلام ابـن تيميَّـة، و«الـصَّواعِق المُرسَـلَة» (١/ ٢٣٦) لابن القيِّم.

(٣) قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّـة في «الفتـاوى» (٥/ ١٢١): «كـما أنَّ الاسـتِواء عـلى العَرش لو كان المُرادُ به الاستِيلاء عليه لكان مُستوياً على جميع المخلوقات، ولكـانَ مُـستوِياً على العرش قبل أن يخلقه دائماً، والاستواء مُختصٌّ بالعرش بعد خَلْقِ السَّماوات والأرض كما أخبرَ بذلك في كتابِه؛ فدلّ على أنّه تارةً كان مُستوياً عليه، وتارةً لم يكُن مُستوياً عليه».

والنّزولُ: القَبُولُ[١]. والهرولةُ مثلُه[٢].

---

(١) قُلْتُ: قائلُ هذا إما أن يكونَ غير مُقِرّ بأنّه -سُبحانه- مُستوياً على عرشِه، أو أنّه مُقرٌّ أنّه على العرش.

فإنْ كان غير مُقِرٍّ أنّه فوقَ العَرش فيُقالُ له: ممّن يكونُ القَبول؟ وما عندكم فوق العالَم شيء أيكونُ مِن العَدَم المَحْض!! وإن كان مُقِرًّا أنّه فوق العرش ويقول: إن الله فوق العرش ولا ينزل إلى السماء الدنيا حقيقةً، بل يقول: بالقبول أو نزول الأمر الذي هو مأمورٌ به، وهو مخلوقٌ مِن مخلوقاته فيجعل النزول مفعولاً مُحْدَثاً يُحدِثُهُ اللهُ في السَّماء، وما وقع هؤلاء في هذا المحظور إلّا لِظَنِّهِم أنّهُم إذا قالوا ينزلُ الرَّبُّ -سُبحانَه- حقيقةً أنّه يَخلُو منهُ العرشُ، وإنّما زَلُّوا في هذا القول المُبتدَع أنّهم شبَّهُوا الخالِق بالمخلوق، واللهُ -جلَّ وعلَا- ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، فهو على عرشِه وينزلُ إلى السَّماء الدُّنيا في ثُلُثِ اللَّيلِ الآخِر دون أن يَخلُو منهُ العرشُ، ولا يكونُ العرشُ فوقَه، ولكنَّهُم ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، لِذا ينبغي أنْ نَعْلَمَ: أنّ أحكامَ الأرواح مُخالفة لأحكام الأبدان، فكيف بأحكام الملائكة، فكيف بربّ العالِمين -سُبحانه وتعالى-، وأن نَعْلَمَ أنَّ اللهَ على عرشِهِ ويقرب مِن خَلْقِه كيف يشاء، كذا هو على عرشِه وينزلُ إلى السَّماء الدُّنيا إذا شاء وكيف شاء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وانظُر: «شرح حديث النُّزول» (٥/ ٣٢١).

(٢) قالَ شيخُنا الفَقيه محمد بنُ صالح العُثيمين -رَحِمَهُ اللهُ- في «القواعد المُثلَى» (٧٢):

«فأيُّ مانعٍ يَمنعُ مِن القول بأنّه يقرب مِن عبدِه كيف يشاء مع عُلُوِّه؟

وأيُّ مانعٍ يَمنعُ مِن إتيانِه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل؟

وهل هذا إلّا مِن كمالِه أنْ يكونَ فعّالاً لما يُريد على الوَجه الذي به يليق؟

وذهبَ بعضُ النّاس إلى أن قولَه -تعالى- في هذا الحديث القدسي: «**أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»: يُرادُ به سُرعة قَبُول الله -تعالى- وإقباله على عَبدِه المُتقرّب إليه المتوجِّه بقلبِهِ وجوارِحِه. =

فشبَّهُوا مِن وَجْهٍ، وأنكرُوا مِن وَجْهٍ، وخالَفُوا السَّلَفَ، وتَعَدَّوا الظّاهر، ورَدّوا الأصل، ولمْ يُثبِتُوا شيئاً، ولمْ يُبْقُوا موجوداً، ولمْ يُفرِّقُوا بَيْن التَّفسير والعبارة بالألسنة، فقالوا: لا نُفسِّرُها، نُجرِيها عربيَّةً كما وَرَدَت.

وقد تأوَّلُوا تلك التّأويلات الخبيثَة أرادُوا بهذه المخرقة أَنْ يكونَ عوامّ المسلمين أبعدَ غياباً عنها، وأَعْيَا ذهاباً منها، ليكونُوا أوحشَ عندَ ذِكْرِها، وأشمسَ عند سماعها، وكذبوا؛ بل التّفسيرُ أَنْ يُقالَ: وجهٌ، ثمّ يقال: كيف؟ وليس (كيف؟) في هذا الباب مِن مقال المسلمين.

فأمّا العبارةُ؛ فقد قال اللهُ -تعالى-: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة:٦٤]، وإنّما قالُوها هُم بالعبرانيّة، فحكاها عنهم بالعربيّة، وكان يَكتُب رسولُ الله ﷺ كتابَهُ بالعربيّة فيها أسماء الله وصفاتِه، فيُعبَّرُ بالألسِنَةِ عنها، ويَكتُب إليه بالسّريانيّة، فيُعبِّره له زيدُ بنُ ثابت -رضي الله عنه- بالعربيّة، واللهُ -تعالى- يُدْعَى بكلِّ لسانٍ باسمِه فيُجِيبُ، ويُحلَفُ بها فيلزم، ويَنْشُد فيجار، ويُوصف فيعرف.

ثمّ قالوا: ليس ذات الرسول ﷺ بحُجَّة. وقالوا: ما هو بعدَ ما مات بمُبلِّغ،

= وما ذهب إليهِ هذا القائلُ له حظٌّ مِن النَّظَر، لكن القول الأول أظهَر وأسلَم وأليَق بمذهبِ السَّلَف.

ويُجابُ عمّا جَعَلَهُ قرينةً مِن كَوْنِ التَّقَرُّب إلى الله -تعالى- وطلب الوُصول إليه لا يختصُّ بالمشي، بأنّ الحديث خرجَ مَخرج المِثال لا الحَصْر، فيكون المعنى: مَن أتاني يمشي في عبادةٍ تفتقرُ إلى المشي لتوقُّفِها عليه يكون وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة أو من ماهيتها كالطواف والسعي، واللهُ -تعالى- أعلم».

فلا يَلْزَمُ به حُجَّة.

[٥٢١] عن محمّدِ بنِ كَعْبٍ في قولِه -تعالى-: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩] قال: مَن بلغه القرآنُ؛ فقد بلغه محمّد ﷺ.

[٥٢٢] عن حُذيفةَ -رضي الله عنه-، قال: إنّا آمنّا ولمْ نَقرَأْ، وسيَجِيئونَ قومٌ يَقرؤونَ القرآنَ ولا يُؤمِنون.

[٥٢٣] قال ابنُ عُمَرَ -رضي الله عنه-: كُنّا نُؤتَى الإيمان قَبْلَ القرآن.

[٥٢٤] عن ابنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-، قال: إنّا كنّا صدورَ هذه الأمّة، وكان الرَّجُلُ مِن خيارِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ وصالِحِيهم ما يُقيم إلّا سُورةً مِن القرآن، أو شِبه ذلك، وكان القُرآنُ ثقل عليهم، ورُزِقُوا عِلماً به أو عَمَلاً، وإنَّ آخِرَ هذه الأمّة يُخَفَّف عليهم القرآنُ، حتّى يَقرأَهُ الصّبيُّ والعجميُّ لا يَعْلَمُونَ مِنْهُ شيئاً[1].

---

(١) قلتُ: قال الحافظُ ابنُ رجب في «فضل عِلم السَّلَف» (٥٢):

«أصل العِلم: العِلم بالله الذي يُوجِبُ خَشْيَته، ومَحبّته، والقُرب منه، والأُنْس به، والشوق إليه، ثُمّ يَتلُوه العِلم بأحكام الله، وما يُحبُّه ويرضاه مِن العبد، من قولٍ، أو عملٍ، أو حالٍ، أو اعتقاد، فمَن تحقّق بهذَيْن العِلْمَيْن؛ كان عِلمُه علماً نافعاً، وحَصَلَ لهُ العلم النافع، والقلب الخاشع، والنَّفْس القانعة، والدعاء المسموع.

ومَن فاتَهُ هذا العلمُ النافع؛ وَقَعَ في الأربع التي استعاذَ منها النبيُّ ﷺ، وصارَ عِلْمُه وَبالاً عليه، وحُجَّةً عليه، ولمْ يَنتفِعْ به؛ لأنّه لمْ يَخْشَع قَلْبُهُ لِربِّه، ولمْ تَشبَعْ نَفسُه مِن الدنيا، بل ازدادَ عليها حِرصاً، ولها طلباً، ولمْ يُسمَعْ دُعاؤُه؛ لِعَدَمِ امتثالِه لأوامرِ ربِّه، وعدم اجتنابه لِمَا يُسخِطُه ويَكْرَهُه....».

غربة أهل الحق

ومن المهلكات على لسان المصطفى ﷺ: إعجابُ كلِّ ذي رأي برأيه، وهوىً متّبع

[٥٢٥] عن أنسٍ -رضي الله عنه-، عن رسولِ الله ﷺ قال: «ثَلاثٌ مُهلِكَات: شُحٌّ مُطاع، وهوىً مُتَّبَع، وإعجابُ المَرْءِ بنَفْسِه»(١).

(١) حَسَن. انظُر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٨٠٢) لشيخنا الإمام الألباني -رَحِمَهُ اللهُ-.

قال العلّامةُ ابنُ القيِّم في «مدارج السّالكين» (٤/ ١١٠٤):

«ومِن صفات هؤلاء الغرباء -الذين غَبطَهُم النبيُّ ﷺ- : التمسُّكُ بالسُّنَّة، إذا رغب عنها الناس، وتَرْك ما أَحْدَثُوه، وإنْ كان هو المعروف عندهم، وتجريد التوحيد وإنْ أنكرَ ذلك أكثر الناس، وتَرْك الانتساب إلى أحدٍ غير الله ورسوله، لا شيخ، ولا طريقة، ولا مذهب، ولا طائفة، بل هؤلاء الغرباء مُنتسِبون إلى الله بالعبوديَّة له وحده، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحدَه، وهؤلاء القابضون على الجمر حقًّا، وأكثر الناس - بل كلهم- لائمٌ لهم، فلغربتهم بين هذا الخلق، يعدونهم أهل شذوذ وبدعة، ومفارقة للسواد الأعظم.

... بل الإسلام الحق - الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه- هو اليوم أشدّ غُربة منه في أول ظهوره، وإنْ كانت أعلامُه ورسومُه الظاهرة مشهورة معروفة.

فالإسلام الحقيقي غريب جدًّا، وأهلُه غرباء أشدّ الغربة بين الناس، وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدًّا، غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات، ومناصب=

[٥٢٦] عن عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز في قولِـه -تعـالى-: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]؛ قال: عليكُم بالأمر بالمعروف والنّهي عـن المنكـر، لا يَضرُّكم مَن قَبِلَ ومَن لَمْ يَقبلْ.

[٥٢٧] عن أبي هُريـرةَ -رضي الله عنـه-، قـال: قـال رسـولُ الله ﷺ: «**إنّ الإسلامَ بَدَأَ غَرِيباً، وسيعودُ كما بَدَأ؛ فطُوبَى للغُرباء**»[١].

=وولايات، ولا يقومُ لها سوق إلا بمُخالَفة ما جاء به الرسول، فإنّ نفس ما جاء به: يُـضادّ أهواءَهم ولذّاتِهم، وما هم عليه مِن الشُّبُهات والبِدَع التي هي مُنتَهى فـضيلتهم وعلمهـم، والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإرادتهم!

فكيف لا يكونُ المؤمنُ السائر إلى الله على طريق المتابعة غريبـاً بـين هـؤلاء الّـذينَ قَـد اتَّبَعُوا أهواءَهُم، وأطاعوا شُحَّهم، وأُعجِبَ كلٌّ منهم برأيه...

ولهذا؛ جُعِلَ للمسلم الصادق في هذا الوقـت - إذا تمسَّك بدينِـه- أجـر خمـسين مِـن الصحابة، ففي «سُنَن أبي داود» و«الترمذي» - مِن حديث أبي ثعلبة الخُشَني- قال: سـألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآيـة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، فقال: «**بل ائتمِرُوا بالمعروف، وتناهوا عن المُنكَر، حتّى إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعاً، وهوىً مُتَّبَعاً، ودُنيا مُؤثَرة، وإعجاب كلّ ذي رأيٍ برأيه؛ فعليك بخاصَّة نفسِك، ودَع عنـك العوامَّ**، فإنّ مِن ورائِكُم أيام الصبر، الصبر فيهنَّ مثل قبضٍ على الجمر، للعامـلِ فـيهنَّ أجـر خمسينَ رَجُلاً يَعملونَ مثلَ عملِه»، قلتُ: يا رسـولَ الله! أجـر خمـسين مـنهم؟ قـال: «أجـر خمسين منكم»، وهذا الأجر العظيم إنما هو لغُربتِه بَيْن الناس، والتمسُّك بالسُّنَّة بَيْن ظلـمات أهوائِهم وآرائهم».

(١) أخرجَهُ مُسلِمٌ في «صحيحه» (١/ ١٣٠-١٣١).

[٥٢٨] عن سَهْلِ بنِ سعدٍ -رضي الله عنه-، قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنّ الإسلامَ بَدَأَ غَريباً، ولَيَعُودَنَّ كما بَدَأَ؛ فطُوبَى للغرباء**». قالوا: يا رسول الله! وما الغرباء؟ قال: «**الّذِينَ يُصلِحُون عند فسادِ النّاس**»(١) .

[٥٢٩] عن ابنِ عُمَرَ -رضي الله عنه-، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بدأ الإسلامُ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بَدَأ، ولَيَأْرِزنّ الإسلامُ بين المسجدَيْن كما تَأرِزُ الحيّةُ في جُحْرِها**»(٢) .

---

(١) أخرجَهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (١/ ١٣٠-١٣١) مِن حديث أبي هريرة دون قوله: «قيل: يا رسول الله! وما الغرباء... »، وهي زيادة صحيحة لها شواهد عن عددٍ مِن الصحابة. انظُرها في «صفة الغرباء» -للآجُرّي-، تحقيق الشيخ بدر البدر (٢٠) فإنّه مُهِمّ.

قلتُ:

قال أبو بكرٍ الطُّرْطُوْشيّ -رحمه الله- في «الحوادث والبدع» (٣٢): «ومَعنى هذا الحديثِ: أنّه لـمّا جاءَ اللهُ بالإسلام، فكان الرَّجلُ إذا أسلَمَ في قَبِيلَتِهِ وحَيِّهِ غريباً فيهم، مُستَخْفِياً بإسلامِهِ، قد جَفاهُ الأهلُ والعشيرةُ، فهو بينهم ذليلٌ حَقيرٌ خائفٌ يتَفَصَّصُ بجُرَع الجفاءِ والأذَى، ثمّ يعودُ غريباً؛ لكَثْرةِ الأهواءِ المُضِلّةِ، والمذاهِبِ المختَلِفَةِ، حتّى يَبقى أهلُ الحقِّ غُرباءَ في النّاسِ؛ لقِلّتِهم وخوفِهم على أنفسِهم».

(٢) أخرَجَهُ مُسلمٌ في «صحيحِه» (١/ ١٣١).

* وقفة مع الغريب:

جاء في «صفة الغُرباء مِن المؤمنين» للحافظ الآجُرِّيّ (٣٩-٤٠) تحقيق الشيخ بدر البدر -ما صورتُه-:

«قال محمدُ بنُ الحسين -رحمه الله-: مَن أحبَّ أنْ يَبْلُغَ مَراتبَ الغرباء؛ فَلْيَصْبِرْ على جفاء أبَوَيْه، وزَوجتِه، وإخوانِه، وقرابتِه. =

[٥٣٠] عن أبي هريرةَ -رضي الله عنه-، أنّ النّبيّ ﷺ قال: «إنّ الإيمانَ ليَأْرِزُ إلى المدينةِ كما تأْرِزُ الحيّةُ إلى جُحْرِها»(١).

= فإن قال قائلٌ: فلِمَ يجفوني، وأنا لهم حَبيبٌ، وغمُّهم لِفَقْدِي إيّاهم إيّاي شديد؟!

قيل: لأنّك خالفتَهُم على ما هُم عليه مِن جَهْم الدنيا، وشدّة حرصهم عليها، ولِتَمَكُّنِ الشهوات مِن قلوبهم ما يُبالون ما نَقَصَ مِن دِينِك ودينِهم إذا سَلِمَتْ لهم بك دنياهم، فإن تابعتَهُم على ذلك؛ كنتَ الحبيبَ القريب، وإنْ خالفتَهم وسلكتَ طريق أهل الآخِرَة باستعمالِك الحقّ؛ جفَا عليهِم أمرُك، فالأبوان متبرِّمان بفعالِك، والزوجةُ بك مُتضجِّرة، فهي تحبُّ فِراقك، والإخوان والقرابة فقد زهدوا في لقائك، فأنت بينهم مكروبٌ محزون، فحينئذٍ نَظَرْتَ إلى نَفْسِك بعينِ الغُربة، فأَنِسْتَ ما شاكلَك مِن الغرباء، واستوحشتَ مِن الإخوان والأقرباء، فسلكتَ الطريق إلى الله الكريم وحدَك.

فإنْ صَبَرْتَ على خشونة الطريق أياماً يسيرة، واحتملتَ الذُّلَّ والمداراة مدة قصيرة، وزهدتَ في هذه الدار الحقيرة؛ أعقبَك الصبر أنْ وَرَدَ بك إلى دار العافية، أَرضُها طيِّبة، ورياضها خَضِرَة، وأشجارُها مُثمِرَة، وأنهارُها عذبة، فيها ما تَشتهِي الأنفس وتلذّ الأعيُن، وأهلُها فيها مُخلَّدون:

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ . خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ . وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففون٢٥-٢٨].

يُطافُ عليهم بكأسٍ مِن مَعِين:

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ . وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ . جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة:١٩-٢٤].

(١) أخرجهُ مُسلمٌ في «صحيحه» (١/ ١٣١).

[٥٣١] قال الثّوريُّ: الرّجلُ أحوجُ إلى العِلمِ منه إلى الخبز واللَّحم.

[٥٣٢] عن عبدِ الله بنِ سَلَمَة، قال: كان مِن دُعاءِ عليٍّ بنِ أبي طالب -رضي اللهُ عنه-: اللهمّ ثبِّتْنَا على كلمةِ العَدْلِ والهُدَى والصّواب، وقوام الكتاب، هادِينَ مَهديِّين، راضِين مرضيِّين، غيرَ ضالِّين ولا مُضلِّين.

لم يَذكُرْ شُعبة (الهدى).





فهرس فوائد الحواشي

الفائدة | الصفحة

الفائدة | الصفحة

الفائدة | الصفحة



فهرس الموضوعات

الموضـوع — الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع الصفحة




تم بحمد الله


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com